السبت 4 حزيران 2022
العدد 4645 السنة السادسة عشرة
Samedi 4 Juin 2022 nº 4645 16ème année

24 صفحة
5000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

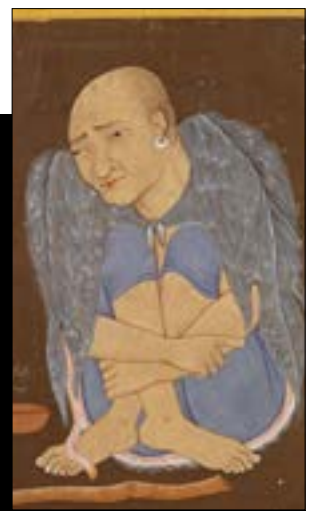

تراث المتصوّفة من الأندلس حتى خراسان

جنبلاط سيشارك في الحكومة بوزيرين... وجعجع وحيداً

عون يطرح بدائل لميقاتي [2]

اطلب القوس مع الأخبار

بعلبك أسيرة الشراونة وغياب الدولة

[4 ـ 5]

(هيثم الموسوي)

البلاد

ملف

وجه الجولان الجديد

[12-15]

قضية

وزارة التربية للأساتذة: **لا نصف راتب، لا حوافز... انهوا العام الدراسي**

6

قضية اليوم

جنبلاط سيشارك في الحكومة بوزيرين... وجعجع وحيداً

عون يطرح بدائل لميقاتي

(دالاتي ونهرا)

تتّجه الأنظار مطلع الأسبوع المُقبل إلى موعد الاستشارات النيابية الملزمة الذي سيُحدّده رئيس الجمهورية العماد ميشال عون لتكليف شخصية بتشكيل حكومة ما بين الانتخابات النيابية والرئاسية. وفيما أودعت الأمانة العامة لمجلس النواب المديرية العامة لرئاسة الجمهورية لائحة بأسماء النواب، بحسب الكتل البرلمانية والمستقلّين، (أرسلت أسماء النواب «التغييريين» بشكل منفرد بسبب عدم توحّدهم في كتلة)، رجّحت مصادر مطّلعة أن يدعو عون إلى الاستشارات بعد انتخابات اللجان النيابية.

وعلمت «الأخبار» أن رئيس

> رئيس الجمهورية يقترح لرئاسة الحكومة صالح النصولي الذي زار عين التينة

الجمهورية يدرس إمكان عقد لقاءات جانبية مع القوى السياسية، قبل الدعوة، لاستمزاج آرائها ومحاولة تقريب وجهات النظر، بما يؤدي إلى توافق مبدئي يجعل التسمية تتويجاً له، استناداً إلى سوابق التسمية التي كانت تنتهي غالباً بمهلة مفتوحة للرئيس المكلف تستنزف كثيراً من الوقت قبل التأليف، وخصوصاً أن البلد يمُرّ بمرحلة انتقالية في غاية الدقة والخطورة. وفي هذا الإطار، برزت معطيات عدّة؛ من بينها:

أولاً، التسويق لفكرة الإبقاء على حكومة الرئيس نجيب ميقاتي كما هي أو إعادة تعويمها من خلال مرسوم، باعتبار أن لا حاجة لتأليف حكومة لن تستمر أكثر من أشهر، وقد يستنزف تشكيلها ما تبقى من ولاية رئيس الجمهورية للاتفاق على توزيع الحقائب، وهو سيناريو يؤيده ميقاتي نفسه.

ثانياً، إعادة تكليف ميقاتي بتأليف حكومة جديدة، وهو أمر يؤيده الفرنسيون ولا يضع السعوديون فيتو عليه، مهمتها الإمساك بالبلد حتى موعد الانتخابات الرئاسية. وهذا خيار لا يعارضه حزب الله وحركة أمل. غير أن تسمية ميقاتي لا تزال موضع خلاف بين الثنائي والتيار الوطني الحر. إذ عاد رئيس الجمهورية والنائب جبران باسيل إلى طرح أسماء سبق أن اقترحاها قبل تكليف ميقاتي تشكيل الحكومة الحالية، من بينها جواد عدرا وصالح النصولي، وهو خبير اقتصادي ومالي عمل لفترة طويلة في صندوق النقد الدولي. وفي هذا الإطار، علمت «الأخبار» أن النصولي التقى رئيس مجلس النواب نبيه بري، وأن الزيارة نسّقها باسيل.

على مقلب «التغييريين» وقوى الاعتراض، لا تقلّ الصورة إبهاماً. فبعدَ إعلان رئيس حزب القوات سمير جعجع أنه لن يُشارك في حكومة يشارك فيها حزب الله، يبدو الأخير عاجزاً حتى الآن عن وضع نواب «التغيير» تحت جناحه تماماً، فيما تسود الخلافات بين هؤلاء بين راغب في التعاون مع القوات ورافض للاصطفافات السياسية، وداعٍ إلى التعاون مع كل الأطراف «على القطعة» وفي كل ملف على حدة. هذا الخلاف يُنذر بانفراط عقدهم، وخصوصاً أنهم فشلوا حتى في تشكيل مجموعة نيابية موحّدة. ليس نصاب حضور النواب - وكان كاملاً - تسبّب في الخلاف، ولا عدد الأصوات التي حازها المرشح. بل احتساب ما لم يسبق أن أثير مرة كمادة جدل دستوري مقدار ما اكتفت بتفسير دلالاتها السياسية والحرتقات التي تنطوي عليها. وهي الأوراق البيض والأوراق الملغاة.

كلّ منهما مختلفة عن الأخرى. ترمي الأوراق البيض الى تسجيل موقف سلبي اعتراضي، لا هو مع ولا هو ضد. أقرب الى الامتناع عن التصويت. اما الأوراق الملغاة، فتتوخى التسلية والدعابة والزكزكة والتنمر، اذ تتجاوز اسماء المرشحين الجديين الى اخرى غير مرشحة ولا دخل لها في الاقتراع، أو تستخدم عبارات تشير الى مضامين ذات بُعد مغاير او شعارات حتى. الأولى هي العرضة للتأويل والخلاف عليها، بينما الثانية فاقدة المعنى والمضمون الدستوريين.

هذه المرة - الاولى - كانت الاوراق البيض والملغاة، ما دامتا سلبيتين، هما المشكلة. ظهر ائتلافهما في الدورة الاولى لانتخاب رئيس المجلس، فاذا عددها 63 ورقة يساوي نصف نواب البرلمان الا واحداً، هو فارق فوز الرئيس نبيه برّي. في الانتخاب التالي لنائب رئيس المجلس للدورة الثانية، تدنى عدد الاوراق البيض والملغاة كي تبلغ ثلاثاً فقط بعدما حل التنافس محلها.

ليست الاوراق البيض والملغاة طارئة في الاقتراع. في الغالب ارقامها متواضعة، قليلة، غير ذات اهمية. تصبح اكثر من معبّرة، بل رسالة مؤذية حتى في استحقاقات دستورية كبيرة. ذلك ما حصل في جلسة انتخاب الرئيس ميشال عون في 31 تشرين الاول 2016، بأن أُنزلت في صندوقة اقتراع الدورة الاولى 42 ورقة بيضاء او لاغية، في مقابل حصوله على 84 صوتاً. في الدورة الرابعة من الاقتراع، بعد الغاء الدورتين الثانية والثالثة، ارتفع عدد الاوراق البيض والملغاة الى 43 ورقة، وتدنى عدد اصوات الفوز الى 83 صوتاً. لم تكن دلالات ما حدث خافية، ولا الفاعلون. ثلث المقترعين في جلسة الانتخاب صوّتوا ضد الرئيس الحالي. الحال نفسها تكررت اخيراً مع برّي. نصف المجلس اختار الورقة البيضاء واللاغية ضده، لتعذر عثور اصحابها على منافس شيعي له، فاذا هي المنافس الوهمي برقم حقيقي.

اما فحوى الجدل الدستوري، والسياسي في الاصل، في جلسة الثلثاء المنصرم، فدار من حول جواز احتساب الاوراق البيض والملغاة في اصوات الاقتراع او استثنائها منها. مجرد السجال حاز تفسيره: طُرح عفوياً بفعل هذا الكمّ الكبير من الاصوات البيض والملغاة، أم كان مدروساً سلفاً بغية تبديد الانطباع السلبي المفضي اليه اقتراع غير مسبوق في انتخاب رئيس المجلس اولاً، وبرّي بالذات ثانياً؟

بَدا طبيعياً أن الرسالة الموجهة الى رئيس الجمهورية قبل اكثر من خمس سنوات، هي نفسها وُجهت اخيراً، بلاعبين آخرين، الى رئيس البرلمان تعبيراً عن معارضته ومناوأة انتخابه. كل ذلك انقضى الثلثاء. حُسم الموقف والاقتراع في اوانه، دونما ان تُحلّ المشكلة الناجمة عن الجدل الدستوري الذي افتتحته المادة 44. قدّم برّي تفسيره، فأخذت به الهيئة العمومية بأن احتسبت الأكثرية المطلقة من مجموع النواب المشاركين في الاقتراع، بمَن فيهم المصوّتون لرئيس المجلس وأصحاب الأوراق البيض والملغاة. دُوّن ذلك في المحضر الرسمي. بيد ان ما انتهت اليه الجلسة ليس نهاية المطاف. فُتحت ابواب المادة 44 دونما ان توصد، كي تلحق بسجل المواد الاخرى ذوات السوابق.

لكن ثمة جانباً في الحقائق الدستورية لم تُصفَّ زمنها:

1 - تبعاً للمادة 43 من الدستور، السابقة لآلية انتخاب هيئة مكتب مجلس النواب، فهي تورد الآتي: «لمجلس النواب ان يضع نظامه الداخلي». مؤدى ذلك ان الدستور ناط بالبرلمان صلاحية مطابقة له، هي ان يضع نظامه الداخلي الذي يمتلك قوته ونفاذه مما استمده من الدستور

> بعد الأوراق البيض لانتخاب عون، وصلت الرسالة نفسها الى بزي

نفسه. يعزز قوة هذا التفويض، تأكيد العالم الدستوري الفرنسي اوجين بيار Traité de droit politique" في مؤلفه "électoral et parlementaire (الجزء الاول)، ان للنظام الداخلي للجمعية الوطنية الفرنسية تأثيراً كبيراً على عكس ما روّج له البخاري من انتصار في انتزاع الأكثرية من يد الحزب، وتقديم القوات والتغييريين والمستقلين فريقاً واحداً، وهو ما ظهر عكسه في الجلسة». المصادر نفسها جزمت بأن زيارة البخاري للرياض كانت «استدعاءً على خلفية الملف الانتخابي»، وعودته إلى لبنان لا تغيّر شيئاً في حقيقة الاستدعاء. وأكّدت أن «سفراء أجانب وعرب سمعوا من مسؤولين لبنانيين ملاحظات كثيرة على أداء السفير، وهذا الانطباع وصل الى مراكز القرار في الرياض».

(الأخبار)

في الواجهة

سابقة المادة 44: النظام الداخلي في منزلة الدستور؟

> أُقفلت جلسة انتخاب هيئة مكتب مجلس النواب على مشكلة دستورية. في الظاهر أنها انتهت للتو. الا أنها برسم أن تصحو في ما بعد. في كل مرة يثار نصاب الأكثرية المطلقة، الأكثر ورودا في متن الدستور، ينشأ سجال وخلاف من حوله. ولا يعثر على تفسير موحد قاطع

نقولا ناصيف

ليس معروفاً أن المادة 44 من الدستور (انتخاب رئيس مجلس النواب ونائبه وهيئة مكتب المجلس) من ذوات السوابق. اصحاب السوابق المعروفة المجرّبة وفيرة. منها المادة 33 (العقود الاستثنائية لاجتماع مجلس النواب)، والمادة 49 (انتخاب رئيس الجمهورية)، والمادة 52 (عقد المعاهدات الدولية وابرامها)، والمادة 53 (صلاحيات رئيس الجمهورية)، والمادة 57 (اعادة النظر في القوانين)، والمادة 64 (صلاحيات رئيس مجلس الوزراء)، والمادة 68 (استقالة الحكومة).

لأيام خلت دخلت المادة 44 في هذا السجل، بعد الجدل الذي رافق جلسة البرلمان الثلثاء الفائت بإزاء احتساب نصاب الفوز المنصوص عليه فيها، لمنصبي رئيس المجلس ونائبه، ليس نصاب حضور النواب - وكان كاملاً - تسبّب في الخلاف، ولا عدد الاصوات التي حازها المرشح. بل احتساب ما لم يسبق ان اثير مرة كمادة جدل دستوري مقدار ما اكتفت بتفسير دلالاتها السياسية والحرتقات التي تنطوي عليها. وهي الاوراق البيض والاوراق الملغاة.

كلّ منهما مختلفة عن الاخرى. ترمي الاوراق البيض الى تسجيل موقف سلبي اعتراضي، لا هو مع ولا هو ضد. أقرب الى الامتناع عن التصويت. اما الاوراق الملغاة، فتتوخى التسلية والدعابة والزكزكة والتنمر، اذ تتجاوز اسماء المرشحين الجديين الى اخرى غير مرشحة ولا دخل لها في الاقتراع، او تستخدم عبارات تشير الى مضامين ذات بُعد مغاير او شعارات حتى. الاولى هي العرضة للتاويل والخلاف عليها، بينما الثانية فاقدة المعنى والمضمون الدستوريين.

هذه المرة - الاولى - كانت الاوراق البيض والملغاة، ما دامتا سلبيتين، هما المشكلة. ظهر ائتلافهما في الدورة الاولى لانتخاب رئيس المجلس، فاذا عددها 63 ورقة يساوي نصف نواب البرلمان الا واحداً، هو فارق فوز الرئيس نبيه برّي. في الانتخاب التالي لنائب رئيس المجلس للدورة الثانية، تدنى عدد الاوراق البيض والملغاة كي تبلغ ثلاثاً فقط بعدما حل التنافس محلها.

ليست الاوراق البيض والملغاة طارئة في الاقتراع. في الغالب ارقامها متواضعة، قليلة، غير ذات اهمية. تصبح اكثر من معبّرة، بل رسالة مؤذية حتى في استحقاقات دستورية كبيرة. ذلك ما حصل في جلسة انتخاب الرئيس ميشال عون في 31 تشرين الاول 2016، بأن أُنزلت في صندوقة اقتراع الدورة الاولى 42 ورقة بيضاء او لاغية، في مقابل حصوله على 84 صوتاً. في الدورة الرابعة من الاقتراع، بعد الغاء الدورتين الثانية والثالثة، ارتفع عدد الاوراق البيض والملغاة الى 43 ورقة، وتدنى عدد اصوات الفوز الى 83 صوتاً. لم تكن دلالات ما حدث خافية، ولا الفاعلون. ثلث المقترعين في جلسة الانتخاب صوّتوا ضد الرئيس الحالي. الحال نفسها تكررت اخيراً مع برّي. نصف المجلس اختار الورقة البيضاء واللاغية ضده، لتعذر عثور اصحابها على منافس شيعي له، فاذا هي المنافس الوهمي برقم حقيقي.

اما فحوى الجدل الدستوري، والسياسي في الاصل، في جلسة الثلثاء المنصرم، فدار من حول جواز احتساب الاوراق البيض والملغاة في اصوات الاقتراع او استثنائها منها. مجرد السجال حاز تفسيره: طُرح عفوياً بفعل هذا الكمّ الكبير من الاصوات البيض والملغاة، أم كان مدروساً سلفاً بغية تبديد الانطباع السلبي المفضي اليه اقتراع غير مسبوق في انتخاب رئيس المجلس اولاً، وبرّي بالذات ثانياً؟

بَدا طبيعياً أن الرسالة الموجهة الى رئيس الجمهورية قبل اكثر من خمس سنوات، هي نفسها وُجهت اخيراً، بلاعبين آخرين، الى رئيس البرلمان تعبيراً عن معارضته ومناوأة انتخابه. كل ذلك انقضى الثلثاء. حُسم الموقف والاقتراع في اوانه، دونما ان تُحلّ المشكلة الناجمة عن الجدل الدستوري الذي افتتحته المادة 44. قدّم برّي تفسيره، فأخذت به الهيئة العمومية بأن احتسبت الأكثرية المطلقة من مجموع النواب المشاركين في الاقتراع، بمَن فيهم المصوّتون لرئيس المجلس وأصحاب الأوراق البيض والملغاة. دُوّن ذلك في المحضر الرسمي. بيد ان ما انتهت اليه الجلسة ليس نهاية المطاف. فُتحت ابواب المادة 44 دونما ان توصد، كي تلحق بسجل المواد الاخرى ذوات السوابق.

لكن ثمة جانباً في الحقائق الدستورية لم تُصفَّ زمنها:

1 - تبعاً للمادة 43 من الدستور، السابقة لآلية انتخاب هيئة مكتب مجلس النواب، فهي تورد الآتي: «لمجلس النواب ان يضع نظامه الداخلي». مؤدى ذلك ان الدستور ناط بالبرلمان صلاحية مطابقة له، هي ان يضع نظامه الداخلي الذي يمتلك قوته ونفاذه مما استمده من الدستور

> بعد الأوراق البيض لانتخاب عون، وصلت الرسالة نفسها الى بزي

نفسه. يعزز قوة هذا التفويض، تأكيد العالم الدستوري الفرنسي اوجين بيار Traité de droit politique" في مؤلفه "électoral et parlementaire (الجزء الاول)، ان للنظام الداخلي للجمعية الوطنية الفرنسية تأثيراً كبيراً على عكس ما روّج له البخاري من انتصار في انتزاع الأكثرية من يد الحزب، وتقديم القوات والتغييريين والمستقلين فريقاً واحداً، وهو ما ظهر عكسه في الجلسة». المصادر نفسها جزمت بأن زيارة البخاري للرياض كانت «استدعاءً على خلفية الملف الانتخابي»، وعودته إلى لبنان لا تغيّر شيئاً في حقيقة الاستدعاء. وأكّدت أن «سفراء أجانب وعرب سمعوا من مسؤولين لبنانيين ملاحظات كثيرة على أداء السفير، وهذا الانطباع وصل الى مراكز القرار في الرياض».

(الأخبار)

تقرير

انفراط عقد «نوّاب التغيير» تؤجّله انتخابات اللجان

ندى أيوب

تركت جلسة الثلاثاء النيابية ارتداداتها على «نواب التغيير»، الذين حرصوا في اليومين الماضيين على التواصل لمحاولة ترتيب ما أمكن من خلافات وتناقضات داخل «كتلتهم» التي لم يُبتّ في شأنها رسمياً حتى الساعة.

الاختبار الأول للعمل النيابي المشترك بين هؤلاء كان جلسة انتخاب رئيس وهيئة مكتب مجلس النواب الثلاثاء الفائت. وفيها ظهرت إلى العلن المنطلقات غير الموحّدة لمقاربة العمل البرلماني بين النواب الـ 13. رفض البعض التصويت للنائب غسان سكاف لموقع نائب رئيس المجلس، وتأييد البعض الآخر له كان انعكاساً لاختلاف وجهات نظرهم حول التنسيق والتعاون داخل المجلس مع «قوى السلطة» ممن يفترض أنهم خاضوا الانتخابات ضدها. وتفيد مصادر متابعة بأن «الانقسام يتمحور بين فريق متحمس للتنسيق مع قوى حليفة كحزب الكتائب وأخرى قريبة سياسياً كالقوات اللبنانية والحزب التقدمي الاشتراكي تشبههم في الخط السيادي، في وجه ما يسمّونه بمحور الممانعة. وفريق آخر يتحفّظ على هذا النوع من التنسيق خوفاً من تحوّل الكتلة التغييرية إلى طرف في الاصطفاف السياسي الحاصل. وجزء ثالث لا يعارض التنسيق بالمطلق ولا يسعى إليه، بمعنى أنه سيسير بطروحاته ومبادراته، وإذا لاقت قبولاً لدى الكتائب وحده وإنما مع كل القوى الضبابية لا تقتصر على طريقة العمل داخل البرلمان، هي ما زالت تحكم كذلك الصورة الأوسع، فغيما إلى داخل مجلس النواب، ليس مع الكتائب وحده وإنما مع كل القوى المشكّلة للندوة البرلمانية.

> لا توافق بين «التغييريين» بعد على الثوابت السياسية ولا على الشقّ الاقتصادي

علما أن الورقة السياسية التي يعمل عليها «نواب التغيير» باتت جاهزة، وإن العمل انطلق على الورقة الاقتصادية، التي يفترض أن تبثّ بعض بنودها العالقة في اليومين المقبلين، لتشكل هاتان الورقتان ركيزة تكتّلهم النيابي، أكدت المصادر أن «في ذلك مبالغة، ولا توافق حتى الساعة على الورقة والثوابت السياسية لينتقل الحديث الى الشق الاقتصادي»، مؤكدة أن «الصورة تتضح أكثر في اتجاه عدم انضواء النواب الـ 13 جميعهم في تكتل واحد. لكنهم يؤجّلون قدر الإمكان انفراط العقد المتوقّع إلى أبعد فترة ممكنة، لإمرار استحقاقات، أولها انتخاب اللجان بالدرجة الأولى.

أشيعت في الأسبوع الماضي أجواء عن أن الورقة السياسية التي يعمل عليها «نواب التغيير» باتت جاهزة، وأن العمل انطلق على الورقة الاقتصادية، التي يفترض أن تبثّ بعض بنودها العالقة في اليومين المقبلين، لتشكل هاتان الورقتان ركيزة تكتّلهم النيابي، أكدت المصادر أن «في ذلك مبالغة، ولا توافق حتى الساعة على الورقة والثوابت السياسية لينتقل الحديث الى الشق الاقتصادي»، مؤكدة أن «الصورة تتضح أكثر في اتجاه عدم انضواء النواب الـ 13 جميعهم في تكتل واحد. لكنهم يؤجّلون قدر الإمكان انفراط العقد المتوقّع إلى أبعد فترة ممكنة، لإمرار استحقاقات، أولها انتخاب اللجان بالدرجة الأولى.

وفي ما بعد يستكملون النقاش حول ما إذا كانوا سيتوحّدون على رؤية وطريقة وبرنامج عمل أو لا، وخصوصاً أن الخلافات كثيرة وعميقة على المستويين الاقتصادي والسياسي والتوجّهات والرؤى».

انطلاقاً من تجربتهم الأولى، وتحضيراً للمرحلة الثانية المتمثلة بانتخاب اللجان النيابية، التي يريدونها أكثر نجاحاً وتماسكاً، عقد النواب أمس اجتماعاً، جرى فيه الاتفاق بحسب المصادر «على الترشح لعضوية اللجان النيابية كافة لتثبيت الحضور فيها». إلا أنّ ما حسم حتى الساعة هو ترشّح النائبة نجاة صليبا عن لجنة البيئة والنائب مارك ضو عن لجنة المال والموازنة.

تقرير

9

نعم... البخاري استدعي إلى الرياض

حال من الإنكار يعيشها السفير السعودي في بيروت وليد البخاري، الموجود حالياً في الرياض لأخذ «قسط من الراحة» بعد أكثر من شهر من الانشغال بالانتخابات النيابية التي لا وجود لما يشبهها في بلاده. فإلى إنكاره فشل «الحملة الانتخابية» التي خاضها لمصلحة القوات اللبنانية إلى حدّ إعلانه فوز حزب سمير جعجع بالأكثرية في المجلس النيابي الجديد، دعا البخاري، عبر وسائل إعلام وصحافيين «مقرّبين» منه إلى لقاء مع إعلاميّين لم يُحدّد موعده، في دارته في البيرزة، في إشارة إلى عدم صحة ما نشرته «الأخبار» عن أن مسارعة السفير السعودي إلى افتعال اللقاء لـ«دحض الشائعات»، كما يقول مقرّبون منه، لا تغيّر شيئاً في حقيقة المأزق الذي يواجهه الدبلوماسي الذي يوصف حتّى من شخصيات لبنانية قريبة من الرياض بأنه مجبول بـ«اللخّة» بسبب «خرقه كل الأصول الدبلوماسية»، فضلاً عن «إدارته الفاشلة لملف الانتخابات».

وتأكيداً لما نشرته «الأخبار»، قالت مصادر على اطّلاع على أجواء الرياض إن «البخاري وُضع تحت المجهر قبل صدور نتائج الانتخابات»، إذ «إن هناك تياراً وازناً في الإدارة السعودية يطرح علامات استفهام حول أدائه، وخصوصاً أنه كان مساهماً أساسياً في سرذمة الطائفة السنية بعد انسحاب الرئيس سعد الحريري من المشهد». ويرى أصحاب هذا الرأي أنه «كان على البخاري أن يضع على رأس أولوياته لملمة البيت السني الذي أظهرت الانتخابات أنه في حال يُرثى لها، إلا أنه بدلاً من ذلك غالى في دعم القوات اللبنانية وفي تقدير قوتها، وهو ما بيّنت نتائج الانتخابات عدم صحته». وبحسب المصادر نفسها، فقد زادت النقمة على البخاري بعد

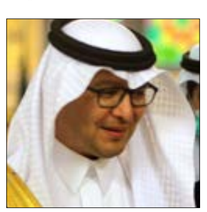

جلسة الثلاثاء الماضي لانتخاب رئيس لمجلس النواب ونائب له وأعضاء هيئة مكتب المجلس، إذ «ظهر أن حزب الله وحلفاءه يتحكّمون بالأكثرية على عكس ما روّج له البخاري من انتصار في انتزاع الأكثرية من يد الحزب، وتقديم القوات والتغييريين والمستقلين فريقاً واحداً، وهو ما ظهر عكسه في الجلسة». المصادر نفسها جزمت بأن زيارة البخاري للرياض كانت «استدعاءً على خلفية الملف الانتخابي»، وعودته إلى لبنان لا تغيّر شيئاً في حقيقة الاستدعاء. وأكّدت أن «سفراء أجانب وعرب سمعوا من مسؤولين لبنانيين ملاحظات كثيرة على أداء السفير، وهذا الانطباع وصل الى مراكز القرار في الرياض».

(الأخبار)

على الغلاف

بعلبك أسيرة الشراونة... وغياب الدولة

لا يكاد يغيب حي الشراونة عن الواجهة حتى يعود إلى صدارة الحدث، سواء باشتباكات عائلية أو ربطاً بجريمة خطف وثأر أو اشتباكات مع الجيش. الحي «لَبّيس» وقد اكتسب سمعته منذ منتصف التسعينيات حتى صار أشهر البؤر الخارجة عن القانون. لكن «روما من فوق غير روما من تحت»

رحيل دندش

منذ خمسينيات القرن الماضي، بدأ «الجعافرة» (عشيرة آل جعفر)، ككثيرين غيرهم، بالتوافد إلى بعلبك من قرية «الدار الواسعة» على سفوح السلسلة الغربية، والتي تبعد نحو 21 كلم عن المدينة. على ريفيتها، كانت بعلبك أقرب الفضاءات المدينية الى سكان القرى الكثيرة حولها، كونها تؤمّن مجالاً لفرصة عمل ما، و«طمعاً بالمدارس بالدرجة الأولى، لأن المشوار من الدار الواسعة إلى بعلبك على الدابّة كان شاقّاً ومكلفاً»، بحسب أحد وجهاء آل جعفر. لذلك، «استحلينا مشاعات للدولة سنة 1958». وكما تنمو الضواحي العشوائية حول كل مدن العالم الثالث، بدأت المناطق الخالية من العمران

> **حسم ملف العفو يحول دون تحوّل جيل جديد من المطلوبين بقضايا بسيطة إلى «طُفار» يرفدون العصابات بـ«دم جديد»**

المحيطة بالمدينة التاريخية، مع الوقت، بالاكتظاظ خصوصاً عند مدخلها الشمالي لتصبح ما يُعرف اليوم بـ«الشراونة»: «ضاحية» تمتد من تل الأبيض شمالاً إلى مستشفى الطوارئ جنوباً، وتحدّها غرباً منطقة الكيّال وبلدة إيعات، وتسكنها عائلات من الطائفتين السنية والشيعية (الشباح، وهبي، زعيتر، الكيال، صلح، نون...)، غير أنها التصقت بـ«الجعافرة» الذين يسكنون وحدهم أكبر أحيائها.

بين الستينيات والثمانينيات، بحسب أحد المطّلعين على تاريخ المدينة، عاشت غالبية سكان الحي الجديد على هامش الحياة التجارية والاقتصادية للمدينة، فيما لم تعرف إلا نسبة قليلة جداً منهم طريقها إلى وظائف الدولة. لم يكن أمام هؤلاء إلا زراعة حشيشة الكيف «التي غطّت كل سهل بعلبك - إيعات، ووصل الأمر إلى زرعها في حدائق المنازل». بقي الأمر على حاله، في ظل انحلال سلطة الدولة، حتى منتصف التسعينيات عندما بدأت القوى الأمنية سياسة تلف مصدر العيش الوحيد لهؤلاء من دون بديل. تسبّب ذلك في تراجع المستوى المعيشي لأهالي الحي وتزايد البطالة، قبل أن يجد كثيرون من الشبان «ضالّتهم» في «اقتصاد بديل» يقوم أساساً على فرض الخوّات وتأليف عصابات لسرقة السيارات والخطف مقابل فدية ونفوذها مع الوقت، وأضرّت بسمعة المدينة وقضت على أي أمل في إنعاشها اقتصادياً وسياحياً، حتى وصل الأمر إلى تجنّب البعلبكيين ممن يقيمون خارج مدينتهم زيارتها إلا في المناسبات. خلّف ذلك «انقساماً حاداً بين أهل المدينة الأصليين، وبين وافدين إليها لا يعدّونها مدينتهم ولا يهمّهم تاريخها وثقافتها، لهم فيها عالمهم الخاص، وليست بعلبك لهم سوى ساحة لإظهار السطوة»، كما يقول أحد أبناء المدينة. وزادت الأمور سوءاً أعراف التنافس العشائري التي حملها بعض الوافدين معهم، ما يسبب في أحيان كثيرة اشتباكات مسلحة، كما بين آل جعفر وآل زعيتر الذين يقيمون في حي تل الأبيض المحاذي، ما أدّى إلى هجرة كثيرين من أبناء الأحياء المجاورة، وحتى من أبناء الحي نفسه الذي يشهد اكتظاظاً خانقاً، إذ إن شبان العشائر والعائلات، رغم إمكاناتهم المادية الجيدة أحياناً، يفضّلون بناء بيوتهم فوق منازل أهاليهم، كون الإقامة بين أبناء العائلة أكثر أمناً، وخشية عمليات الدهم التي تطاول أحياناً حتى غير المطلوبين لمجرد أنهم من أبناء العشيرة. تقول «زهراء» التي غادرت عائلتها الحي أخيراً: «الواقع أن الأمور عادية جداً، لا بل آمنة، رغم تجوّل بعض الشبان بسلاح ظاهر والتشفيط بسيارات بلا لوحات. كل هذا اعتدناه، لكنّ الكارثة تقع عندما تندلع اشتباكات مسلحة بين العائلات ويتخللها إطلاق الرصاص والقذائف بغزارة. في السنوات الأربع الأخيرة لم يعد الأمر يطاق مع زيادة وتيرة الاشتباكات ما دفعنا إلى المغادرة».

غير أن الأخطر هو أن الحي السيئ السمعة الذي استقطب خارجين عن القانون و«زعرانا» من كل المذاهب والعائلات (وبعضهم من أبناء عائلات بعلبكية «أصلية») غالباً ما يوصم باسم عائلة واحدة أو يُنسب إلى طائفة معينة. فيما تشير «زهراء» إلى «أننا أقمنا في حي آل جعفر أربعين عاماً لم يتعرض فيه أحد لنا. ولا نزال نزور بيتنا هناك. رغم السرقات التي تحدث إلا أن الحي هناك آمن ولا أحد يجرؤ على دخوله».

يؤكد وجهاء عشائر أن «الواقع الكارثي لكل منطقة البقاع الشمالي هو نتيجة سياسات الدولة التي تستهدف إبقاء المنطقة خارج مظلة القانون عبر غياب الإنماء الحقيقي». فقد عرفت المنطقة القانون عبر القبضة الحديدية لمخابرات الجيش، وتلف الحشيشة من دون تأمين البدائل. «هذه السياسات أفهمت الناس وخصوصاً العشائر أن الدولة حكمت على المنطقة بالتهميش والإفقار، وعليكم أن تتدبّروا أموركم»، وأدّت إلى نشوء العلاقة الملتبسة تاريخياً بين الدولة والعشائر.

أقام الجيش اللبناني أول ثكنة عسكرية له في الشراونة، في حي بيت جعفر، سنة 2009 بعد كمين أقامه شبان من العشيرة لدورية عسكرية على طريق رياق - بعلبك وذهب ضحيته 4 شهداء من الجيش ثأراً لمقتل شابين من آل جعفر قبل أسبوعين من الكمين. بحسب أحد «الجعافرة»، الجيش «يقيم في بيوت لآل جعفر جعل منها ثكنات. لا نعرف الدولة إلا كمحلات، وأطفالنا لديهم عقدة من الجيش».

غياب السلطة إلا من ضربات خاطفة وقاسية في مناطق مهملة جعل من العشيرة الملجأ الآمن لأبنائها، وأدخلهم في شبكات غير شرعية لتأمين مصالحهم من «التهريب وتجارة المخدرات والسلاح ومافيا السرقات والغارات على الطرق الدولية بقصد السلب، وفرض الخوّات والربا والخطف لقاء فدية والكسب السريع» وفق مصادر أمنية. فيما لم تتعامل السلطة مع هذه الظواهر بالحزم المطلوب، وليس خافياً «أننا نلقّم عناصر أمنيين لقاء غضّ الطرف أو تسريب معلومات حول عمليات دهم قبل حدوثها»، وفق أحد أبناء العشيرة، ما رسّخ نفوذ بعض العصابات طوال العقود الماضية. وزاد الأمور سوءاً التبدل الذي طرأ على المنظومة العشائرية التي لم تعد تحتكم إلى الأعقل والأكبر سناً، بل صار التأثير لمن يملك المال ويحمل في سجله أكبر عدد من مذكّرات التوقيف. وبحسب أحد وجهاء العشائر: «وُلدت ثقافة لدى البعض مفادها: أن تصبح مطلوباً فأنت زلمي! وأذكى الإعلام ذلك حتى صار في البقاع اليوم مئات «شيخ جبل» و«روبن هود»، يستغلون عائلاتهم والفقراء لتغطيتهم عبر الإحسان إليهم. وصار كبار المطلوبين نجوم الـ Talk Show». إزاء هذا الواقع «الوضع ميؤوس منه. فلا الدولة فيها تعمل شي، ولا الأحزاب، ولا ابن جعفر بيموّن على ابن جعفر».

عودة إلى مسؤولية الدولة هنا أيضاً في تحويل مئات الشبان إلى مطلوبين. يقول وجيه من آل جعفر: «عندما يتشاجر اثنان نسارع إلى مصالحتهما حتى لا يتحوّلا إلى مطلوبين. مجرد أن تتحول إلى مطلوب ستتحول إلى طافر وتبدأ بمراكمة المذكّرات». يبدأ حل المسألة، من وجهة نظره، بحسم ملف العفو العام وحل مشكلة آلاف مذكرات وثيقة الاتصال. في حي الشراونة، مثلاً، من يصمون الحي بسمعته السيئة لا يتخطى عددهم 30 شخصاً وفق «الجعافرة»، وأقل من 100 بحسب مصادر أمنية. هؤلاء معروفون بأسمائهم وألقابهم وبعضهم قضى في معارك مع الجيش. حسم ملف العفو يسهم في إعادة الأمور إلى نصابها، والحؤول دون أن يتحول جيل جديد من المطلوبين بقضايا تتعلق بإطلاق نار في حفل زفاف مثلاً، إلى طفار يرفدون العصابات بـ«دم جديد»، لأن لا فارق لدى المطلوب إذا زاد مذكرة توقيف جديدة إلى تلك الصادرة في حقه. فيما تؤكد مصادر أمنية أن «المطلوبين الصغار لا أحد يقف عندهم، وقضاياهم تعالج عبر شطب الاسم. أما مسألة العفو فيأخذها كبار المطلوبين ذريعة ويستغلون الصغار ويحتمون بالبيئة الشعبية». فيما الأحزاب، في رأي الوجيه من آل جعفر، «ما بتقدر تموّن. ليس عملها فرض الأمن ولا المطلوبون يتبعون لها حزبياً. المطلوب هو الدولة، ولكن ليس عسكرياً فقط، بل إنمائياً واحتضاناً أيضاً». يقول أحد أفراد آل جعفر: «منطعمي ولادنا خبز نحنا. وعندما نثأر فلتحصين كرامتنا. لو كان ثمة دولة حقيقية لاحتكمنا إليها». وبسال: «هل نحن فقط من يملك سلاحاً؟ الأحداث التي تحصل هنا تحدث في طول البلاد وعرضها ولأهون الأسباب. ضعف الدولة حوّل البلد كله إلى شراونة كبيرة على امتداد 10452 كلم2».

(هيثم الموسوي)

أصل الاسم

ثمّة ثلاث روايات يتداولها البعلبكيّون حول أصل تسمية «شراونة». الأولى تنسبه إلى اسم الملك الفارسي كسرى الأول أنو شيروان الذي عَبَر منطقة بعلبك في إحدى غزواته واستقرّ في سهولها فترةً من الزمن. والثانية تشير إلى أن الشراونة بالسريانية هي اسم لشهرَي تشرين الأول وتشرين الثاني، حين يكون المناخ في هذه المنطقة أكثر برودة. أما الثالثة فتعود إلى أصل الكلمة بالعربية ومفردها «شرّاني»، أي كثير الشر، نسبة إلى أشرار سكنوها قديماً وسُمّيت المنطقة باسمهم.

تقرير

كبتاغون المطار
الموقوف السعودي يعمل لدى أمني كويتي!

لم تُختتم التحقيقات الأمنية بعد في توقيف السعودي عادل الشمّري في مطار بيروت الأحد الماضي، بعد العثور في حوزته على 18,3 كيلوغراماً من حبوب الكبتاغون، كان يحاول تهريبها إلى دولة الكويت. وقد اتّسعت مروحة التوقيفات لتطال سوريين ولبنانيين وأردنية وعراقياً. وبحسب مصادر أمنية، لم تكن لدى أيّ من الأجهزة الأمنية أيّ «إخبارية» مسبقة عن عملية التهريب، وأن الصدفة ويقظة العناصر الأمنية في دائرة التفتيش هما ما أدّيا الى ضبط الشمّري الذي كان يحمل بطاقة أمنية كويتية. وكشفت مصادر أمنية أنّ الموقوف السعودي اعترف في التحقيقات بأنّ قريباً له يخدم في الجيش الكويتي، طلب منه أن يُحضر الحقيبة المليئة بالكبتاغون من لبنان مقابل 17 ألف دولار، وزوّده برقم السيدة الأردنية التي بات في منزلها والتي لم تدلِ بعد بأيّ اعترافات، لكن القضاء أشار بإخلاء سبيل ابنتها العراقية.

كذلك توصّلت التحقيقات إلى تحديد هوية لبناني متورط في تأمين حبوب الكبتاغون، تبين أنّ الشمّري اتصل به فور وصوله إلى بيروت قبل يوم واحد من محاولته السفر. كما أشارت مصادر أمنية إلى أنّ التحقيقات أظهرت تورط سوداني يقيم خارج لبنان وآخرين يقيمون في الأردن في القضية. وقد عمد القضاء اللبناني إلى التواصل مع الأنتربول لإصدار بلاغات ضدّهم.

(الأخبار)

«صبحية» القبض على أحد أكبر تجار الممنوعات: شهيد للجيش و«أبو سلّة» يفرّ

رامح حمية، عبدالله قمح

من حيّ شعبي استحدثه في خمسينيّات القرن الماضي عدد من أبناء عشيرة آل جعفر من أهالي بلدة دار الواسعة، في سفوح السلسلة الغربية، تحوّل الشراونة إلى عنوان يومي في الأخبار العاجلة التي تربطه بعمليات خطف وسلب وإتجار بالمخدرات. أقلّ من 100 مطلوب للقضاء على صيتهم على آلاف الفقراء من آل جعفر وأبناء عائلات وعشائر أخرى، وحوّلوا الحي مرتعاً للفارين من العدالة. ع. م. زعيتر، الملقب بـ«أبو سلّة» واحد من هؤلاء. بعدما فرّ من منطقة الفنار في بيروت، لم يلبث إلى حي التل الأبيض حيث يقطن أبناء عشيرته، وإنما إلى الشراونة الملاصق له. وهو، بحسب مصادر أمنية، بمثابة المذكرات والوثائق الأمنية والأحكام الغيابية في جرائم تتنوّع بين الإتجار بالمخدرات وبيعها لطلاب الجامعات والمدارس وأعمال خطف وسرقة وتزوير وإطلاق نار على الأجهزة الأمنية والعسكرية.

منذ أربع سنوات، جعل زعيتر من «ديوانيّته»، كما يقول أحد أبناء الحيّ لـ«الأخبار»، «مركزاً» لاستقبال المتعاطين وبيعهم كل أنواع المخدّرات والحبوب المخدّرة من السيلفيا إلى الـ XTC وغيرهما. نفّذت الأجهزة الأمنية على اختلافها، ومنها مكتب المخدّرات المركزي ومخابرات الجيش، عمليات دهم عدّة لمنزله في الشراونة، إلا أنه كان «في كل مرة يتمكّن من الفرار من خروم الشبك». إذ يتحصّن في منزله المحاط بغرف حراسة يتولاّها شبان من آل زعيتر وآخرون سوريون، وزرع كاميرات مراقبة حول المنزل وعلى طول الطريق المؤدية الى الحيّ، ما يسمح له بكشف أيّ تحركات «مشبوهة» لسيارات عسكرية أو مدنية قد تستعملها الأجهزة الأمنية، فضلاً عن توزيع شبّان يعملون لمصلحته على محالّ تجارية وعربات الـ«إكسبرس» من جنوب بعلبك إلى شمالها لرصد أيّ حركة أمنية.

أمس، أيضاً، «زمط» زعيتر بعدما نجا بأعجوبة من عمليّة دهم نفّذتها مخابرات الجيش. كان الهدف من العملية توقيفه وسحبه بهدوء إلى خارج الحي. بعد تحريات وتشخيص دقيق للأماكن التي يتردد إليها، إستمرت بحسب معلومات «الأخبار» نحو 6 أشهر، أوكلت المهمة إلى قوة خاصة من مديرية المخابرات بعد التأكد من وصوله إلى منزله السابعة صباحاً. دخلت القوة الحي في سيارات رباعية الدفع مدنية مصفحة، غير انه لم يكن بالامكان الحفاظ على عنصر المباغتة بسبب رصد تحركات الجيش من خلال كاميرات المراقبة ومصادر بشرية تعمل لمصلحة زعيتر. أثناء إقتحام الوحدة للمنزل، ومع وصول أفرادها إلى إحدى طبقاته، فوجئت بتحصن مجموعة كبيرة من المسلحين داخله، ما أدى إلى وقوع إشتباك من مسافة صفر أحياناً، استخدمت فيه الأسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية. كما وقع إشتباك مع مجموعة الحماية المنتشرة خارج المبنى والتي استطاعت ضد هجوم مجموعة حاولت مساندة المطلوب واستهدفت العناصر الأمنية بقذائف صاروخية ما أدى إلى إصابات في صفوف العسكريين. استمرت الاشتباكات نحو ساعتين ونصف ساعة، مع المسلحين في المنزل ومع المجموعة المساندة خارجه، واستقدم خلالها الجيش تعزيزات عسكرية وطوافة ومسيّرة، وأوقف بعدها ثلاثة أشخاص. فيما تمكّن زعيتر من الفرار، ونشر تسجيلات صوتية أكّد فيها أنه «بخير» وبات في «مكان آمن»، وأن «النينو» و«البيبو» وقعا في قبضة الجيش. والأخيران هما «المعاونان» الرئيسيّان له والمسؤولان عن ترويج المخدرات. وبحسب مصادر أمنية، فإن «النينو» هو اللبناني ح. ف. د.،

> **كاميرات مراقبة وعناصر بشرية لرصد الجيش عطّلت عنصر المباغتة**

فيما «البيبو» سوري الجنسية غير معروف الهوية. كما أوقفت القوة المهاجمة ع. ف. زعيتر، وهو أحد الذين يعتمد عليهم «أبو سلة» في ترويج المخدرات. وترجح الأجهزة الأمنية بأن زعيتر فرّ الى الجرود الواقعة بين اليمونة – دار الواسعة وفرضت قوات من الجيش طوقاً أمنياً حول الشراونة والتل الأبيض ونفّذت عمليات دهم وإقامت حواجز أمنية ثابتة وظرفية على طريق بعلبك الدولية، وحرف «الدبوانية» التي يقصدها المدمنون لشراء المخدرات. وقالت مصادر عسكرية لـ«الأخبار» إن المطلوب فرّ تحت غطاء كثافة النيران التي باغتت الجيش بعدما حاصر منزله، ورجّحت أنه «تلقّى المساعدة من قاطني المنازل المجاورة التي لم يستهدفها الجيش». وأكّدت أن «أبو سلّة» واحد «من أكبر تجّار المخدرات في البقاع مع شبكة ترويجية ضخمة تضمّ فتيات وسائقي سيارات أجرة وفانات يعملون في نقل المخدرات وترويجها بين الطلاب في الجامعات والمدارس»، وهو معروف بـ«سخائه» بالمال على من يعملون معه، ما يجعلهم شديدي الوفاء له، ويمكّنه من الفرار عند كل مداهمة للأجهزة الأمنية.

واشتهر «أبو سلة» خلال إقامته في منطقة الفنار بتجارة المواد المخدرة على أنواعها من خلال «سلة» تتدلى من شقته. وبعد تحوله إلى المطلوب رقم واحد، غادر إلى البقاع وأقام في حي الشراونة. وهو يعد أكبر مصدر للمخدرات في العاصمة ومحيطها. ويعرف بألقاب أخرى كـ«علوش» و«الحاج». وإلى جانب الاتجار بالمخدرات، تؤكد الأجهزة الأمنية أنه يعمل أيضاً في تزوير العملة والاشراف على عصابات للسلب وسرقة السيارات بعد استئجارها، وفي حقه أكثر من استتابة قضائية بجرم إطلاق النار ومحاولة قتل عناصر من الجيش وقوى الأمن الداخلي والأمن العام.

ونعت قيادة الجيش – مديرية التوجيه أمس «العريف الشهيد زين العابدين شمص، وهو من مواليد 24 / 1 / 1994 بعلبك، متأهل وله ولدان. وينقل جثمانه اليوم إلى بلدته بوداي (بعلبك) ليواري الثرى.

تربية

لم ينتظر تلاميذ الصف العاشر في إحدى المدارس الرسمية خروج الناظرة من الصف ليبدؤوا بالتصفيق. الخبر الذي حملته لهم كان «مفرحاً»، فها هي تعلن ومن دون سابق إنذار أن «اليوم» (أول من أمس) هو آخر يوم دراسي لهم. أما الأستاذ، فقد وقف مذهولاً، يستمع إلى القرار ويفكر في ما تبقّى من المنهاج الذي لم يُستكمل

وزارة التربية تفاجئ الأساتذة

لا نصف راتب، لا حوافز، أنهوا العام الدراسي

الأساتذة وضعوا تحت ضغوط لا يمكن احتمالها (مروان بو حيدر)

فؤاد بزي

بلاغ الناظرة يأتي بعد صدور قرار وزير التربية بالموافقة على مقترح صادر عن مديري التعليم الابتدائي والثانوي بتقريب مواعيد الامتحانات النهائية من 20 حزيران المقبل، كما كان مقرّراً في مذكرة صدرت في آذار الماضي، إلى 9 حزيران بناءً على مطالبات مدراء المدارس والثانويات، بشرط «استكمال المناهج المقرّرة والالتزام بحقوق المتعاقدين والعاملين».

وعليه، انتهى العام الدراسي بشكل رسمي هذا الأسبوع في أكثرية المدارس والثانويات الرسمية في لبنان بمفاجأة وقعت على الأساتذة والتلاميذ، تقرّر فيها إجراء امتحانات نهاية العام الأسبوع المقبل، من دون الأخذ في الحسبان النقطة الأهمّ في قرار الوزير: استكمال المناهج، ولا سيّما في القطاع الرسمي الذي أنهكته الإضرابات والإقفالات القسرية التي وصل مجموعها إلى حوالى الأربعين يوماً، يُضاف إليها تأخير انطلاق العام الدراسي حتى شهر تشرين الثاني 2021 ما وضع التحصيل العلمي للتلامذة على المحك.

كلّ ما يُقال عن تعويض في الدروس، لم يجرِ في غالبية هذه المدارس والثانويات إلا لصفوف الشهادات الرسمية. أمّا بالنسبة إلى الصفوف العادية فكان الاتفاق الضمني بين الأساتذة على «تعليم الأهداف في بداية السّنة الدراسية المقبلة» حسب ما يقول ماهر، أستاذ تعليم ثانوي، وهذا الأمر انسحب على الكثير من المدارس والثانويات في المناطق المختلفة.

> كلّ ما يُقال عن تعويض في الدروس لم يجرِ في غالبية هذه المدارس

خطط يومية

في بداية العام الدراسي، وضع الأساتذة خططاً تعليميّة تستند إلى أمرين: الأول وضع المتعلّمين على أرض الواقع، والثاني قرارات وزير التربية القائمة على التعليم لـ24 أسبوعاً مقسّمة على الشكل التالي: 3 أسابيع مراجعة، 3 أسابيع مخصّصة للامتحانات و18 أسبوع تعليم. هذه الأخيرة لم تتجاوز في أحسن الأحوال العشرة، واختلفت أيام التعليم الفعلي بين مدرسة رسمية وأخرى لعوامل عدّة. والاختلافات كانت نافرة أكثر بالنسبة للأساتذة الذين خرقوا الإضرابات وقاموا بالتدريس باستخدام التعليم من بعد كوسيلة، فوجد زملاؤهم أنفسهم اليوم «أكلين الضرب» بحسب ملاك، أستاذة تعليم ثانوي في الجنوب، التزمت بالإضرابات على أمل أن تكون وسيلة ضغط لتحصيل حقوقها، فوجدت نفسها اليوم ملاحقة من قبل إدارتها لإنهاء الدروس في حين أنهى زملاؤها المناهج لعدم التزامهم بأيام الإضراب.

«غيّرنا مخطط التدريس أكثر من ثلاث مرات هذه السّنة وآخرها من أسبوعين حيث كانت الأخيرة تقتضي بالوصول إلى 17 حزيران كآخر يوم تعليم» تقول أستاذة ومنسّقة مادة الأدب العربي في ثانوية رسمية. وتضيف بأنّ «التعديل الأخير لم يأخذ في الحسبان المهلة الضرورية بين إنجاز المطلوب في المنهج وبين انطلاق الامتحانات النهائية ما سيضع التلامذة تحت ضغط إجراء الاختبارات خلال وقت قصير لا يكفي للمذاكرة». وتُشير إلى أنّ «الأساتذة وُضعوا تحت ضغوط لا يمكن احتمالها، فالخطط التعليمية تحوّلت من سنويّة إلى يوميّة بسبب الظروف الراهنة».

بالإضافة إلى ما سبق قام عدد من الأساتذة بـ«مراهنات»، حسب تعبير ملاك، إذ علّموا بناءً على التقليصات الجديدة للمناهج قبل صدورها فـ«نقشت معهم» واستطاعوا التقليل من الخسائر سيّما أنّ الوزارة تأخرت كثيراً في الإعلان عن التقليصات ما وضع الأساتذة في حرج شديد.

نصف الراتب في خطر

يرى أحد المطّلعين على مسار الأمور في رابطة التعليم الثانوي في قرار إنهاء العام الدراسي المفاجئ «شرّاً لا بدّ منه، فالأساتذة لم يعد باستطاعتهم الوصول إلى المدارس، وكذلك التلامذة، بالإضافة إلى الموازنات التشغيلية التي ترهق الإدارات دون القدرة على تأمينها والأسبوعين الإضافيّين لن يغنوا عن كلّ ما مضى». فـ«الكلّ منهك ويريد الخلاص» والتأجيل للعام الدراسي القادم. ويضيف «حتى وزير التربية ضحّى بالأهداف التعليمية بسبب عدم قدرته على تأمين حقوق الأساتذة من بدلات نقل لم تُقبض منذ بداية العام الجاري حتى اليوم». وحتى نصف الراتب الذي أقرّته الحكومة في خطر ولن يُصرف خلال فترة الصيف كما علمت «الأخبار» من بعض الحاضرين في اجتماع روابط التعليم الأخير مع وزير التربية كونه مشروط بالحضور في مراكز العمل! وهنا ينفع التذكير أنّ لا $90 (الحوافز الاجتماعية) بعد اليوم، وراتب أشهر الصيف لن يكون سوى الأساس فقط.

تأنيب الأساتذة!

تسير وزارة التربية اليوم نحو تسجيل إنجاز «كيف ما كان» اسمه الامتحانات الرسمية، وتستخدم في سبيل هذا كلّ وسائل الترهيب مع أساتذتها التي وصلت إلى حد «إصدار تأنيب» بحق الأساتذة نهار التّرّ. لأنها لم تستطع الوصول العام الماضي إلى مركز الامتحانات الرسمية للمراقبة بسبب أزمة البنزين. التّرّ التي فوجئت بقرار التأنيب يصلها بعد عام تقريباً على تغيّبها عن مراقبة امتحانات العام الماضي، تؤكد أنها لم تكن قادرة على تعبئة خزان سيارتها بالوقود، بسبب أزمة الطوابير، كما أنه لم يكن في حوزتها بدل أجرة الطريق الطويلة التي ناهزت الأربعمئة ألف ليرة يومياً ذهاباً وإياباً لمدة ثلاثة أيام.

فهل يشكل هذا التأنيب رسالة إلى الأساتذة المتردّدين اليوم في المشاركة بالامتحانات تحت طائلة البنود العقابية؟

(هيثم الموسوي)

قضية

الجريح «المجهول» يرى بعين واحدة مستقبلًا قاتماً

زينب حمود

قد لا تكون هذه المرة الأولى، لكنها حتماً من المرّات النادرة التي تنشر فيها «بورتريه» من دون صورة تعرّف عن صاحبها. ويبطل العجب عندما يكون السبب، بكلّ بساطة، أن صاحبها، الجريح في انفجار مرفأ بيروت الذي وقع قبل 22 شهراً، اختار أن يبقى مجهولاً.

عندما تواصلنا معه بهدف مقابلته، اشترط محمد ألا ننشر أي معلومة تدلّ على هويته، مبرّراً «لم أتقبّل بعد أنني، وفي عزّ شبابي، صرت معوقاً»، وتابع: «هناك أشخاص كانوا مقرّبين مني قبل الانفجار لا

> تمرّ أسابيع من دون أن يخرج من غرفته ويلتقي بأفراد العائلة

يعرفون شيئاً عن خسارتي لنظري». قبل وصوله إلى الموعد المحدّد، كان المخيّلة قد رسمت صورة عن شاب هزيل، سيصل متلمّساً الطريق بعصا أو يسلّم نفسه لشخص آخر يساعده في التنقل. لكن المفاجأة كانت بالتعرّف إلى شاب طويل، بنية جسده متينة ومفتول العضلات، وصل إلى الطاولة من دون مساعدة أحد. حتى أن عيناه بدتا للوهلة الأولى طبيعيّتين. لم ينتظر السؤال، بل بادر إلى الشرح: «لقد خسرت عيني اليمنى واستطيع النظر باليسرى. قليل من التدقيق وتلاحظين أنني أضع عيناً زجاجية».

خوف من الشفقة

إعاقة هذا العشريني «تكسره» وتشعره «بالدونية». لذا يتجنّب أن يحكي عنها «خوفاً من الشعور بالشفقة. فالمجتمع يبحث دائماً عما ينقصك ليظهر تعاطفاً لئيماً». ولأن هذه «الدونية» عارية، ومعروضة للفرجة، صار محمد انطوائياً، يقضي معظم أوقاته في منزله. تمرّ أسابيع من دون أن يخرج من غرفته ويلتقي أفراد العائلة. لماذا؟ لأن «رجل البيت اللي كان الكلّ شايف حاله فيه» لا يتقبّل أن يرى نفسه في عيون أحدهم ذلك الرجل المناقص والضعيف. وأكثر ما يزعجه محاولة البعض مساعدته لتسيير أموره الخاصة، «مثل قيادة السيارة بدلاً عني، علماً أنني أستطيع القيادة بعين واحدة».

يُدرك محمد أن أكبر عدوّ له هي ذاكرته التي لا تنفك ترميه بمقاطع سريعة لما حدث عند الساعة 6:07 في 4 آب، بينما كان مع والدته في زيارة لوالده المريض في مستشفى الجعيتاوي: «كيف طرت ووقعت على السرير، وكيف وقع الزجاج عليّ، وذلك الصوت العالي يتبعه هدوء مثل المسلسلات تماماً». وهو يركض بحثاً عن مستشفى، ظنّ أنه بمجرّد مسح الدم عن عينه المصابة سيرى فيها. لم يعلم أن الصور المتقطعة والألوان المتداخلة التي كانت تظهر له كلما أغمض عينه اليسرى ليختبر العين المصابة، «كما لو أنني أنظر من شاشة هاتف مكسورة»، هي آخر ما تلتقطه هذه العين.

خسارة الوالد

وصل محمد إلى مستشفى الرسول الأعظم مصاباً في جانبه الأيمن. جرت مداواة النّدوب في رأسه، ظهره، وأذنه. ثم استؤصلت عينه. لكن الخسارة الأكبر التي أوصلته إلى حالة من اللامبالاة تجاه أي مصيبة قد تطرأ هي خسارة والده. تأثرت رئتا الوالد بالدخان الذي ملأهما يوم الانفجار، ففارق الحياة بعد مواجهة مع المرض دامت لأسابيع. نسال محمد عن علاقته بوالده، فيفتح مظلّة الصمت، ويشرد. ثم يقول «بحياتي ما تركته، إلى حدّ كان الناس يسالونني باستمرار عن سبب التصاقي الدائم به». يحاول أن يستأنف الكلام عنه، لكنه لا ينجح فيستسلم لشروده.

يتمنى محمد لو أنّه توفي في الانفجار كلما عجز عن تحمّل أوجاعه أو إسكاتها لأنه لا يملك ثمن المسكنات. أخبره الطبيب أن لا حلّ لهذه الأوجاع، لأن المشكلة تعود إلى تضرّر أعصاب الرأس والضغط على عين واحدة. سدّد تكاليف مراجعات أطباء الظهر والأعصاب والعين، والأدوية، والعلاج النفسي، على نفقته الخاصة. وبعدما «حلّقت» أسعار المسكنات، صار عمه يرسلها إليه من ألمانيا. كما تكفّل صديق والده بتركيب عين زجاجية. ما يعني أن «الدولة فجّرت عينّي واستأصلتها ثم تركتني مسكوناً بأوجاعي»، كما يقول بصوت زادت قساوة الحياة من خشونته.

...وخسارة العمل

يحاول محمد أن يجعل الحياة محتملة بشكل من الأشكال. أحلامه نوعان: بعضها ولدت ميتة، وبعضها الآخر وأدتها ظروف البلاد الصعبة. يحلم، مثلاً، أن يعيد والده إلى الحياة ويعيد عينه كذلك. كما يحلم أن ينتزع الآلام التي لا تغادره. ينظر إلى المستقبل بعين واحدة، يجده قاتماً: «حلمي بالسفر إلى ألمانيا للعمل في مجال السيارات الذي أحب لن يتحقق. فأنا لا أستطيع ترك عائلتي التي لا تحتمل فراقاً آخر بعد فراق والدي». أما حلمه بإيجاد فرصة عمل في لبنان بعدما خسر عمله كسائق في شركة غادرت البلاد بعد الانفجار، «فليس إلا محض جنون، قد يكون أصعب من إعادة والدي إلى الحياة».

فضّل البقاء مجهولاً هرباً من الشفقة (أرشيف ـ مروان طحطح)

استراحة

كلمات متقاطعة 4042

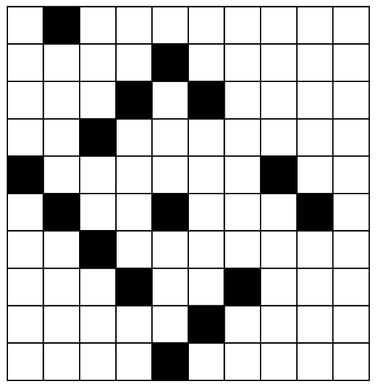

أفقيا

1- زعيم تنظيم القاعدة 2- جبل في شبه جزيرة سيناء - عنب مجفف 3- حلاق نسائي - يوم صافٍ لا مطر فيه 4- من العطور - ضعف ورقٍ 5- من الحبوب - إحدى الولايات المتحدة الأميركية 6- سهّل - عشرة بالأجنبية - 7- ضد الإختلاف - طعم الحنظل 8- نهار وليل - دقّ الجرس - ياتي بعد 9- عائلة فنان سوري - مطرقة 10- أسطورة كرة القدم - مدينة لبنانية

عمودياً

1- سلطان أيوبي شقيق صلاح الدين 2- مدينة سويسرية - راقصة وممثلة مصرية - 3- جذّاب ذكي ووديع - شركة سورية تهتم بصناعة مستحضرات التجميل4- عائلة طبيب أطفال ومحلل نفساني إنكليزي راحل - حرف جر 5- والد - عاصمة ولاية كولورادو الأميركية 6- خليج صغير - مقياس طول 7- من الحبوب - من المكسرات - صوّت الرصاص 8- بلمع ويتلألأ - حرف نصب - يسعل 9- يقوم بالحراسة - من الأشجار 10- مدينة سعودية- تُستخرج من الحليب وتؤكل مع العسل

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- المناعة - ام 2- بطمس - جحا 3- دراق - بال 4- يمرّ - بروس لي 5- كسل - مونو 6- اج - يوم 7- نوتي - تل - نو 8- يرش - سك - جام 9- البردوني 10- أوسترليتز

عمودياً

1- الديوانية 2- رم - جور 3- مبارك - تشاو 4- نطق - سبي - لس 5- أمّ - بلو - سبت 6- عُشّبر - متكرر 7- اوم - دل 8- جلسوا - جوي 9- اخ - لن - نانت 10- ماريو غوميز

sudoku 4042

8		3		2		6		
	7		5					9
5		1	9	8			7	
							3	7
	3			1			9	
4	8			7	5			
	4			6	8	9		5
9					3			
		2		4		8		3

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4041

7	9	6	3	1	4	5	2	8
2	4	8	5	9	6	7	3	1
1	3	5	2	7	8	4	6	9
3	5	9	1	6	2	8	4	7
6	2	7	4	8	9	3	1	5
4	8	1	7	5	3	6	9	2
9	6	3	8	2	5	1	7	4
8	7	4	9	3	1	2	5	6
5	1	2	6	4	7	9	8	3

مشاهير 4042

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

أديب مصري (1917-1978) كان وزيراً للثقافة. تولى عدد كبير من المناصب حتى وصل الى اعلاها. اغتيل في قبرص

5+6+3+2+1+7 = قناة مائية مصرية ■ 8+9+10 = خلاف اشترى ■ 11+4 = حرف جر

حل الشبكة الماضية: **فرجينيا وولف**

إعداد **نعوم مسعود**

جلسة الاستعراض التغييريّ في لبنان

أسعد أبو خليك *

لم آرَ نبيه برّي وهو (شبه) فاقد السيطرة على قاعة المجلس من قبل. بدا مرتبكاً، للمرّة الأولى منذ اعتلائه المنصّة قبل ثلاثة عقود. كانت سلطته مطلقة في داخل القاعة. نبيه برّي أقوى رئيس مجلس نيابي في تاريخ لبنان، وقوّته تنبع من غياب منافسين له. في الستينيّات والسبعينيّات كانت المنافسة محتدمة دائماً بين صبري حمادة وكامل الأسعد. الشهابيّة دعمت صبري حمادة فيما «الوسط» و«الحلف» دعما كامل الأسعد الذي أدار المجلس بغير طريقة حمادة. كان الأخير ألطف وأقرب إلى النوّاب وإلى الناس. لم يكن حمادة يحمل شهادات لكنّ ذكاءه كان فطرياً. وقبلهما، تنافس أحمد الأسعد مع عادل عسيران. الأخير كان جديّاً متخصّصاً في الإدارة وعلم السياسة (حاملاً لشهادة ماجستير في العلوم السياسيّة من الجامعة الأميركيّة) وأراد تطوير مجلس النوّاب وجعل التوظيف على أساس الكفاءة لا الواسطة. أدخل نظام الامتحانات لاختيار موظّفي المجلس للمرّة الأولى (على حد علمي، لكن يجب التحقّق من ذلك) في تاريخ إدارات الدولة في الخمسينيّات. تلك كانت تجربة استثنائيّة في إدارة مجلس النوّاب (لم يكن عسيران يسمح لحاملي السُبحة أو مُتشدّقي العلكة بالدخول إلى مجالسه). لم يكن نبيه برّي (الذي بالرغم من سنّه لا يزال يتمتّع بالتوقّد الذهني وسرعة البديهة) في الجلسة الأخيرة متمكّناً من النظام الداخلي في عقد الجلسات. طريقة التعاطي معه داخل المجلس أخرجته عن نمطه الواثق المعتاد. تواضع برّي من دون إرادته في إدارة تلك الجلسة. هذا، طبعاً، حسنٌ في التعاطي مع زعماء الفساد في لبنان. تمرّسوا في السلطة وتنفعوا بخيراتها إلى أجل طويل جداً وحان وقت تنحّيهم الطوعي طالما التنحّي القسري غير متوفّر—وفي زمن الثورات؟

حالة نبيه برّي في ولايته السابعة تفرض تغييراً جذرياً في متن الدستور من ضمن جملة تغييرات إصلاحيّة ضروريّة. من المعروف أنه كان للزعامات الإسلاميّة، قبل وأثناء الحرب، جملة من المطالب «التغييريّة»: رفعوا شعار «المشاركة» في السلطة لكن بدلاً من المشاركة (الطائفيّة) تمّ تعطيل صلاحيّات رئيس الجمهوريّة بالكامل (ربما بسبب عناد الزعامات الموارنة) التي لم تكن تعترف لا بهزيمتها في الحرب ولا بالتغيير الديموغرافي الهائل في الجسم اللبناني). أصبح رئيس الحكومة هو الأقوى فيما أصبح الشيعة على جعل مدة ولاية رئاسة المجلس متطابقة مع سنوات ولاية المجلس النيابي ككلّ. الفكرة كان مفادها أن اضطرار رئيس المجلس إلى طلب إعادة انتخابه تضعف من موقعه ومن صلاحيّاته. لكن رئيس المجلس منعم الصلاحيات، دستوريّاً، هو الحلقة الأضعف بين الرؤساء. لكن إذا كان الدستور غير المكتوب هو أقوى من الدستور المكتوب في تاريخ الجمهوريّة، فيمكن التعقيب بأن صلاحيات أي رئيس بين الرؤساء الثلاثة والإمارات وتل أبيب—لنفي صفة الوطنيّة عن كل الشيعة—باستثناء دزينة منهم تتوافق معهم في الرؤية التي يختلف معها الأكثرية العظمى من الجمهور. بهذا المعنى، إن تسمية نوّاب القوات لرجل متوفّي (لقمان سليم) هي إمعان في العقليّة الطائفيّة لأن ذلك يوحي بأنهم لم يجدوا شيعيّاً حيّاً يتوافق معهم في الرؤية الانعزاليّة المتوافقة مع حق الاحتلال الإسرائيلي في الأمان والسلام والهناء، بعيداً عن حق العرب في الأمان والسلام والدفاع عن النفس. التعاطي التغييري مع الشيعة مفاده: الشيعة جهّلة ومتخلّفون ولهذا فإن اختيارهم لنوّابهم هو باطل لأننا نحن—من غير الشيعة—يمكن لنا اختيار نوّابهم بالنيابة عنهم (ودليلهم أن واصف حركة يوافقهم الرأي). هذا تماماً ما كان ينبار الجميّل (الجدّ) يقوله إبّان الحرب: إن المسلمين غير راشدين وإن حريّة قرارهم واعتقاداتهم مسلوبة لأن منظمة التحرير صادرتها. لم يكن الجميّل الأب، الحريري طلب صلاحيات استثنائيّة من راعيه حافظ الأسد. إميل لحود كان أقوى كرئيس من ميشال سليمان، حتى بعد خروج الجيش السوري في لبنان. ميشال عون رئيس ضعيف بسبب سوء تعامله مع المنصب وتناقضات تيّاره. نبيه برّي، بسبب الولايات السبع، بات أقوى بكثير من موقع رئاسة المجلس. هذه ميزة لصالح الرئاسة الأضعف. مهما كان رئيس الجمهورية قوياً فإن تحديد ولايته يُضعف من قدراته. ورئيس الحكومة يعلم أن ولايته محدودة بحكم عدم استقرار الحكومات في لبنان. آجال الحكومات في لبنان باتت تشبه آجالها في إيطاليا بعد الحرب العالميّة الثانيّة.

يجب تحديد ولاية رئيس المجلس بولاية واحدة أو ولايتيْن في حد أقصى لأن عدم تحديد الولايات يجعل منه أقوى وأرسخ من الرؤساء الآخرين في الجمهوريّة وهذه ميزة طائفيّة ذات حظوة. حتى من دون صلاحيات، فإن توالي الشخص (الشيعي في هذه الحالة) يعطيه أفضليّة على رؤساء آخرين محكومين بولاية محدّدة. وتحديد ولاية الرئيس يمكن أن يعيد النقاش في صلاحيات الرؤساء. طبعاً، الحل الأفضل يكمن في نزع الصفة الطائفيّة عن كل المناصب من دون استثناء لأن ذلك ينصف الجميع من خلال التداور. ولو أن نزع الصفة الطائفيّة يمكن أن يعزّز التمثيل الإسلامي فهذا لا مفرّ منه لأن كوتا المناصفة الطائفيّة—كما رأينا في انتخابات الأشرفيّة—مضادة للديموقراطيّة وتعطي لطوائف تمثيلاً أكبر من تمثيل طوائف أخرى—وهذا يتناقض مع وعد المساواة في الدستور. الكوتا النسائيّة عادلة لكنّ الكوتا الطائفيّة ظالمة لأنها لا تساوي في الحقوق السياسيّة فيما النساء يمثّلن نصف المجتمع والكوتا لهنّ تعكس ذلك.

لكنّ محاولة التغييريّين إعادة النظر في طوائف الرؤساء لم تكن محاولة علمانيّة، لأنهم ركّزوا فقط على رئاسة المجلس لأن الثنائي نجح في الفوز في كل المقاعد الشيعيّة في المجلس. التغييريّون بدأوا العمل بالتنسيق والتحالف مع القوّات والحزب الجنبلاطي (من المهين للتقدميّة والاشتراكيّة استعمال اسم الحزب—الذي هجره مؤسّسوه في زمن كمال جنبلاط بعد انفضاح طائفيّته، اتحدّث هنا عن أسماء مثل كلوفيس مقصود وعبدالله العلايلي وغيرهما). إن التركيز على طائفة واحدة أو المطالبة بنزع الصفة الطائفيّة عن أي منصب دون غيره يوحي بالانحياز الطائفي، خصوصاً إذا أتت المطالبة من جهة لها مواقف طائفيّة. أحزاب التغيير لم تزر من ضرورة لنزع الصلاحية الطائفيّة إلا عن رئاسة مجلس النواب وليس عن رئاسة الجمهوريّة مثلاً. الحلّ طبعاً يكمن في نزع كل المتطلّبات الطائفيّة للمناصب والوظائف، بل في تحريم الصفات الطائفيّة كما فعلوا في رواندا بالنسبة إلى الاثنيّة التي زرعها المستعمر هناك وأدّت إلى حروب ونزاعات أهليّة عنيفة. المجموعات التغييريّة اندرجت في سياق الحرب الطائفيّة—التي انطلقت من السعودية والإمارات وتل أبيب—لنفي صفة الوطنيّة عن كل الشيعة—باستثناء دزينة منهم تتوافق معهم في الرؤية التي يختلف معها الأكثرية العظمى من الجمهور. بهذا المعنى، إن تسمية نوّاب القوات لرجل متوفّي (لقمان سليم) هي إمعان في العقليّة الطائفيّة لأن ذلك يوحي بأنهم لم يجدوا شيعيّاً حيّاً يتوافق معهم في الرؤية الانعزاليّة المتوافقة مع حق الاحتلال الإسرائيلي في الأمان والسلام والهناء، بعيداً عن حق العرب في الأمان والسلام والدفاع عن النفس. التعاطي التغييري مع الشيعة مفاده: الشيعة جهّلة ومتخلّفون ولهذا فإن اختيارهم لنوّابهم هو باطل لأننا نحن—من غير الشيعة—يمكن لنا اختيار نوّابهم بالنيابة عنهم (ودليلهم أن واصف حركة يوافقهم الرأي). هذا تماماً ما كان ينبار الجميّل (الجدّ) يقوله إبّان الحرب: إن المسلمين غير راشدين وإن حريّة قرارهم واعتقاداتهم مسلوبة لأن منظمة التحرير صادرتها. لم يكن الجميّل الأب، وهو العنصري، يقبل في أن خيار المسلمين (أو معظمهم آنذاك) توافق بملء إرادتهم مع خط منظمة التحرير، لأنهم استعانوا بها للدفاع عن أنفسهم بوجه الدولة الطائفية الظالمة وميليشيات إسرائيل في لبنان—ولتعزيز الموقع الطائفي (في الوطن؟) في الواقع الحالي مع حزب الله، استطاع التغييريّون وكل أتباع السعودية والإمارات استعارة حجّة بيار الجميّل ضد منظمة

(هيثم الموسوي)

> المهرجان في محطة آل المرّ كان تصريحاً بعلاقات «سفاح القربى» بين قوى المجتمع المدني وقطاعات الفساد في الإعلام والمصارف و«المنظومة»
>
> إن التغييريّين ليسوا طبقياً إلا صعوداً اجتماعياً جديداً لطبقة تريد موقعاً مميّزاً لها في السلطة نفسها، وليس في سلطة بديلة

التحرير لكن الحجّة تطلّبت نفي صفة الوطنية اللبنانيّة عن الحزب وذلك لرفض حقّه في الوجود، خصوصاً أنه يزعج إسرائيل. وإسرائيل هي حليفة راعي هؤلاء في الخليج—أفصح ديفيد أغناطيوس قبل أيام عن أخطر نظريّة مؤامرة (حقيقيّة ومثبتة لأن أغناطيوس يعتمد في مصادره على وكالات المخابرات الأميركيّة والشرق أوسطيّة) عندما قال: «نحن نعلم أن أخطر المؤامرات في الشرق الأوسط، وعلى مدى عقود، كانت تُحاك في هذه الاتصالات (السعودية-الإسرائيلية السرية)».

كانت إطلالة التغييريّين في غير صالحهم. هم دشّنوا عهدهم السياسي بمهرجان قبيح في برنامج أفسد إعلاميٍّ على واحدة من أفسد المحطات التي يديرها شخص، لنقل بأنه نقيض النسويّة. المهرجان الذي أعدّه لهم مارسيل غانم فضح ضحالة شعار «كلهم يعني كلهم». منذ البداية توجّس الكثير منا من الشعار واعتبروه تضليلاً مقصوداً ومحاولة لإقحام الحزب، أوّلاً وأخيراً (طبعاً، هذا لا يعني أن الحزب بقصوره السياسي منذ الانتفاضة لم يُقحم هو نفسه بنفسه وجعل نفسه مادّة خصبة للاستهداف من أعدائه—جماعة السعودية والإمارات وحتى الجالية الإسرائيليّة في لبنان. إن نفوذ الجالية الإسرائيليّة في لبنان يفوق أكثر بكثير ما يُسمّى بـ«الجالية الإيرانيّة» في لبنان، والمصطلح هو طائفي يهدف إلى نفي وطنيّة طائفة بحالها). المهرجان في محطة آل المرّ كان تصريحاً بعلاقات «سفاح القربى» بين قوى المجتمع المدني وقطاعات الفساد في الإعلام والمصارف و«المنظومة» الفاسدة. الكل مرتبط بالكل، وشعار «كلّهم يعني كلّهم» يجب أن يردّ ضد الذين رفعوه لأن الكثير منهم مرتبطون بخيوط وعلاقات وتمويل لا تنفصل عن المصالح الاقتصادية والأجندات السياسيّة لمعظم عناصر ما اصطلح على تسميته بالمنظومة.

إن التغييريّين ليسوا طبقياً إلا صعوداً اجتماعياً جديداً لطبقة تريد موقعاً مميّزاً لها في السلطة نفسها، وليس في سلطة بديلة. لا يطرح أيّ من التغييريّين (باستثناء «ممفد») تصوّراً للسلطة يناقض أو يختلف عن سمات السلطة القائمة. هؤلاء يريدون حصّة ومقاعد وليس ثورة. إن تسخيف شعار ومضمون «الثورة» القيّم ليس إلا عملاً مقصوداً يهدف إلى إسباغ شرعيّة على أعمال استعراضيّة لا جذريّة فيها. إن خلاصة نقد ميشال فوكو لمعارضة الدولة هي في ضرورة معارضتها ومجابهتها ليس فقط في مركزها (في ساحة النجمة) وإنما في أطرافها في كل شبكاتها، بما فيها الإعلام والمجتمع ونقابات المهنيّين وأجهزة الأمن وحتى البلديات. فكرة أن ملحم خلف هو مضاد للدولة لا يصدّقها ملحم خلف نفسه. هناك كتابات لجون وبرابرة إيرنرايخ منذ أواخر السبعينيّات عن صعود طبقة الإداريّين الحرفيّين في أميركا: وهي طبقة المديرين (والمديرات بنسب أقلّ) وهي طبقة كانت منذ صعودها في تضادّ مع الطبقة العاملة ومع الطبقة المتوسطة التقليديّة من أصحاب الأعمال الصغار. وصعدت بناءً على إيمان أفرادها العميق بأهمية الشهادات النخبويّة والاختصاصات غير المتاحة لخرّيجي المدارس الرسميّة. والهوّة بين هذه الطبقة وبين الطبقة المتوسّطة والفئات الاجتماعيّة الدنيا في لبنان تزداد لأن أفرادها لا يزالون—بحكم التعليم في جامعات أجنبيّة أو في وظائف في المجتمع المدني—يتلقّون مرتّباتهم بالدولار، خلافاً لعامّة الشعب. الطبقة هذه تريد إصلاح النظام الرأسمالي لا قلبه: تستطيع أن تقرأ في برامج كل مجموعات التغيير اعتناق فكر الاقتصاد الحرّ (الحرّية هنا تعني حصراً حرّية رأس المال في التراكم والاستغلال). هم إصلاحيّون وتغييريّون بقدر ما يسمح النظام الرأسمالي بالإصلاح. هم ثورة بالمعنى الذي رفع فيه صائب سلام شعار «الثورة من فوق لمنع الثورة من تحت» في السبعينيّات. تقرأ جون وبرابرة إيرنرايخ وتتبيّن السير الذاتيّة لمرشحي التغيير: طبقة الإداريّين الحرفيّين هي المديرون الإداريّون وأساتذة الجامعات (الخاصّة الغربيّة) والإعلاميّون والإعلاميّات والمحامون والأطبّاء والمهندسون والنقباء (لماذا لم يُطرح اسم عوني الكعكي مرشحاً تغييرياً؟ ما فارق أجندته عن أجندة «الخط الأحمر»).

توماس فرانك في كتاباته (خصوصاً «إسمع، يا ليبرالي») يلوم هذه الطبقة بالذات لأنها خانت ليس الطبقة العاملة التي لم تنتمِ إليها قطعاً بل الطبقة المتوسّطة التقليديّة من خلال اعتناق برامج تخلّ بالعدالة الاجتماعيّة (النظرة إلى حلّ مسألة المصارف و«الصندوق السيادي» وكبار المودعين، والضمان الاجتماعي والنقل العام والتعليم الرسمي...). وضرب العدالة الاجتماعيّة في دول الغرب جرى على أيدي هؤلاء الذين نجحوا في الاستيلاء على الأحزاب التي كانت مرتبطة بنقابات عمّالية لم يعد لها وجود أو هي خسرت (بفضل حروب طويلة عليها) نفوذها السياسي وحجمها التمثيلي. عبادة الاختصاص الناتج عن شهادات من جامعات غربيّة هو بنظر هؤلاء العدالة بعينها لأن مشكلة الرأسمالية هي تقنيّة فقط وتطبيقيّة عندهم.

إن الأداء المسرحي للتغييريّين في الأيّام القليلة التي تلت الانتخابات لا يجب أن يكون مفاجئاً لأحد. الإعلام الغربي يضجّ بالتهليل لما يسمّيه اليوم «المعارضة» بصرف النظر عن الخلفيّة السياسيّة لهؤلاء. المعارضة هي في الحريريّين أم في الارتباط بالأجندة الجنبلاطيّة، إذ إن جنبلاط بات يصدر أوامره لهؤلاء في تغريدات. ومارك ضو لا يخفي تحالفه مع جنبلاط ومع «القوّات» مثله مثل باقي أعضاء شلّة التغيير. والاقتراع للمرشح الجنبلاطي في نيابة رئاسة المجلس هو تسديد حسابات لأن جنبلاط والقوات لم يكونا يوماً هدفاً لحملات التغيير. يعتبر حزب «تقدّم» (الذي له نائبان، أي أكثر من الحزب الشيوعي والحزب القومي) في برنامجه الانتخابي أن «الهيمنة الإيرانية وطموح النظام السوري بالعودة يشكلان اليوم سبباً أساسيّاً في انهيار الجمهورية وضياع الهوية الوطنيّة». هاكم التفسير الطبقي للانهيار الذريع في لبنان. هذا التحليل يبرّئ المنظومة التي يكثر الحديث عنها. هذا هو تفسير الإدارة الأميركيّة للانهيار في لبنان. النظام الرأسمالي والمصارف وزعماء الفساد لا علاقة لهم بالانهيار. رفيق الحريري لا يرد اسمه عند أحد من التغييريّين (حتى لم يعد اسمه يرد في الخطاب المهدفي في السنتيْن الماضيتيْن إلا بتحفّظ شديد). الحرس الثوري الإيراني هو الذي سيطر على المصارف وأدار رياض سلامة في المصرف المركزي. والنظام السوري يريد العودة إلى لبنان المنهار لسبب ما. هذه تحليلات لا تقرأها حتى في الصحافة الإسرائيليّة التي يُفترض أن تكون ساحة خصبة لهذه النظريّات.

التغييريّون هم نتاج لمسار لحركة «طلعت ريحتكم»: هؤلاء الذين أرادوا زرع فكرة أن الصراع ليس صراع الطبقات بل صراع بين أصحاب الكفاءة، المتعلّمين في مدارس خاصّة وبين هؤلاء الذين لا يستحقّون السلطة. إن التعامل مع جنباط وجعجع هو غير التعامل مع وزراء الحزب، مثلاً. يشارك أقطاب الفساد نظرة التغييريّين أن هناك متعلّمين أقلّ كفاءة من غيرهم لأنهم من خلفيّات أفقر ويحملون شهادات أقلّ وجاهةً ولأنهم يختلفون في النظرة إلى المجتمع (لا إلى الدولة، وهذا معنى العبارة المتكرّرة أنهم «لا يشبهوننا»). من مسار «طلعت ريحتكم» تبيّن مدى الانسجام بين هؤلاء وبين أقطاب السلطة في 14 آذار. لم يعد أحد يتذكّر نهاد المشنوق أو محمد المشنوق. كل ذلك اندثر لأن ما يُجمع عليه كل التغييريّين من دون استثناء هو الإيمان بالاقتصاد الحرّ وبأن سلاح الحزب يجب نزعه كي يتسنّى لجوزيف عون وصحبه ردع إسرائيل وإذلالها على أرض المعركة بالطوّافات التي رمت الورود على تمثال حريصا هذا الأسبوع.

الظهور الأوّل للتغييريّين كان مهزلة، لنا ولهم. مارك ضوّ حمل صور شهداء انفجار المرفأ في حركة فاقعة في الاستغلال السياسي المبتذل. من يقرّر أنه هو—لا غيره—يحقّ له النطق باسم الأموات؟ أي استغلال لمشاعر الناس هو هذا؟ الصحافة السعوديّة تزخر بتغطية إيجابيّة مُتعاطفة مع التغييريّين. لكن متى كانت السعوديّة محتضنة للثورات؟ الأداء يبشّر بتكرار لتجربة سامي الجميّل وبولا يعقوبيان: استعراض مقرون بسياسات محافظة ورجعيّة لا تحيد عن خط المؤامرة الكبرى في لبنان. والمجموعة تضمّ خليطاً متنافراً متّفقاً فقط على نزع السلاح: منهم من يعارض المثليّة ومنهم من لا يعارضها. منهم من لا يمانع الزواج المدني (أو يقبله اختيارياً) ومنهم لا يقبل به حرصاً على مصالح رجال الدين في الطائفة والمرجع الديني الأوّل الطائفة الذي «لا مزح معه» في هذه الأمور. هناك نائبة تغييريّة على قائمة بولا يعقوبيان جاهرت بالدعوة لإبادة شعب بكامله. لو أن سينثيا زرازير كانت قد دعت لإبادة الشعب اليهودي—مثلاً—لكانت قد سقطت ولكان الشباب اللبناني «الكول» قد أجمع على ضرورة استبعادها من الحلبة السياسيّة. لم تكن سفارات الغرب لتسمح بمرشّحة (قريبة من خطهم) وهي تحمل دعوة إبادية عنصرية. لا يمكن لبولا يعقوبيان أن تقبل أن تحمل على قائمتها مرشحاً كان قد دعا إلى إبادة اليهود. دعوات الإبادة ضد أي شعب من الشعوب يجب أن تكون سبباً في استبعاد أي مرشّح. هذه ليست خطأ سياسياً أو زلّة لسان. هذه دعوة تُقارن بالدعوات النازيّة. تغييري تحمل صفحته على «تويتر» أصداء لكلام وليد جنبلاط وآخر تحمل صفحته أصداء لكلام سعد الحريري، وبولا يعقوبيان وصفت سعد الحريري بـ«أكبر إصلاحي». إذا كان التاريخ لا يعيد نفسه فإن تجربة الأمانة العامّة لـ 14 آذار تتكرّر لكن بقدر أكبر من الاستعراض والتهريج والقفاعة.

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر @asadabukhalil

انتهت الانتخابات: الأزمة مستمرة

سعد الله مزرعاني *

نتابع في مقالة ثانية نتائج ودروس المعركة الانتخابية التي حصلت في 15 أيار الماضي (المقالة الأولى، «الأخبار» 21 أيار الماضي). العنوان يستبق إلى أنّ الأسباب التي ولّدت الأزمة الطاحنة التي تضرب لبنان واللبنانيين، لن تجد لها علاجاً بعد هذه الانتخابات. ذلك أن تلك الأسباب الخارجية والداخلية، مستمرة على تفاعل وتداخل سلبيَّين، وربما في مستوى من التعفّن والفشل داخلياً والإصرار والتصعيد خارجياً، أكبر وأخطر.

ينبغي التكرار، أوّلاً، أن السياق الطبقي الاجتماعي للأزمة – الصراع قد فرض أولوية، لم تتمكن أدوات وآليات المنظومة السياسية التحاصصية الطائفية، من السيطرة عليها بالكامل. نقيض ذلك كان سيبدو غير عادي وغير طبيعي بسبب فداحة الخسائر وشمولية التضرر. لكن الأدوات والآليات المذكورة المترسخة والمجرَّبة والمعمَّمة قد أدّت دوراً غير بسيط في احتواء الكثير من أشكال الاحتجاج الشعبية. في السياق، بلغت حملة شدّ العصب الطائفي والمذهبي ذروتها في الأسابيع الأخيرة التي سبقت الانتخابات. لم يدفع ذلك، على خطورته واستثنائيته، قوى اليسار الجذري والديموقراطي نحو بناء تيار سياسي وطني واضح الأهداف والأولويات والخطة والقيادة من أجل تقديم بديل للبنانيين، متماسك وجدّي، في مرحلة الانهيارات والفشل والأزمات، أي مرحلة الانعطافات الممكنة والضرورية والإنقاذية. بُذلت جهود لهذا الغرض. لم تنجح بسبب الفتويات المخلّة بشروط العمل الجبهوي والوطني العام، خصوصاً في مرحلة التحولات الكبرى. نزل محتجّون متضررون إلى الساحات، بأعداد ضخمة، وبعفوية غالبة. لكن التربص الخارجي، الذي واكب تفاقم الأزمة وأسهم في تغذيتها ودفعها إلى الاستعصاء، والانفجار، كان حاضراً، من أجل الاستغلال والاستثمار مستنداً إلى خبرة وإمكانات وقوى وأساليب قادرة ونشيطة ومجرّبة. هذه مسألة أساسية ينبغي التوقف عندها كأهم وأبرز درس ينبغي استخلاصه بعد أن كشفت تجربة السنوات الثلاث السابقة، وكذلك الانتخابات، تواضع المحصلات والمكاسب الشعبية قياساً على الممكنات التي كانت متاحة فيما لو اعتمد مسار آخر للمواجهة الشعبية الواسعة: برنامجياً وتعبوياً وإدارياً وانتخابياً. هذا الأمر مطروح بقوة الآن خصوصاً أن الانتخابات قد كشفت بأن القوى السلطوية التقليدية ما زالت تمسك بزمام الأمور في خلافاتها وفي اتفاقاتها، فيما «نواب الثورة» تتجاذبهم مؤثرات متنوعة، ولا يجمعهم توجه واحد وبرنامج مشترك وخطة عمل موحدة... ولا، أساساً، مشروع وطني عام.

الاستنتاج الطبيعي إذن، أنّ تيار المعارضة المنشود ينبغي أن يكون مستقلاً ومتحرراً من التأثيرات الخارجية الصاخبة، التي طبعت مرحلة طويلة من الاحتجاجات وكل المرحلة التمهيدية للانتخابات وصولاً إلى تحديد الأولويات والشعارات واللوائح، عبر تدخل سافر ووقح، روّج له إعلام نشيط ومأجور (هل «اشتلق» المراقبون الأوروبيون على تلك الفضيحة؟)!

التغيير، في ظروفنا الاستثنائية والعصيبة الراهنة، ليس نزوة أو ترفاً، خصوصاً عند تعاظم الأزمات والتناقضات والمخاطر، وتداخل المؤثرات المحلية والوافدة وتعقُّد اللاعبين. إن التغيير سيكون، بالضرورة، ثمرة مشروع متكامل، بديل وجدي ومعبئ للقوى المتضررة، بالبرنامج والشعارات والأولويات الملموسة، والخطط الناجحة. هذا الأمر ينبغي أن يبدأ منذ الآن: بشكل منطقي وواع ومثابر وبعيد عن الارتجال والفئوية والتسرع والتفرّد، في امتداد ذلك لم يفت الأوان بعد، بالنسبة لقوى التغيير ذات الخبرة والتجربة والتاريخ، كي تراجع مواقفها، بشكل جدّي ومسؤول، لاكتشاف الاختلالات والأخطاء، خصوصاً بشأن الأهداف والأدوار الخارجية وفي مقدمها الدور الأميركي الذي منه يبدأ التقييم والاستنتاج والتصحيح.

تتصل المسألة الثانية، ذات الأهمية الكبرى، بموضوع المقاومة ضد العدو الصهيوني. تعطيل المقاومة هدف كبير بالنسبة للعدو الصهيوني وحُماته الغربيين والمطبّعين، القدماء والجدد. استندت قيادة المقاومة، في تأمين شرعيتها وحماية ظهرها، في مرحلة الإدارة السورية للبنان، إلى النفوذ الحاسم، في لبنان، لتلك الإدارة. في المرحلة اللاحقة استندت قيادة المقاومة، إلى توازنات النظام السياسي اللبناني، وخصوصاً إلى الخلل والاختلال في بنيانه، الناجَمين عن التحاصص الطائفي الذي دُمّر عبره شوْن السلطة والبلاد عموماً. تبلورت تباعاً معادلة مقايضة ضمنية، ما بين شرعنة سلاح المقاومة، وبين استباحة البلد من قبل متحاصصين، امتشقوا بوحشية مدمرة، سيف العيث والنهب والفساد، مستفيدين من آليات النظام نفسه وبحكم تبعية أطرافه تقليدياً للخارج، ودائماً، بحكم تعطيل المحاسبة والمساءلة بالاقتران ومخالفة القانون والدستور. قاد ذلك، تباعاً، إلى الأزمة الكارثية الشاملة المفتوحة على أسوأ الاحتمالات: استهدافاً للبلد عموماً، وللمقاومة ضد العدو الصهيوني، بالدرجة الأولى.

المعادلة التي بدت «ذهبية» لفترة تحولت، واقعياً، إلى كارثية في السنوات الأخيرة: المقاومة اضطرت إلى الدفاع عن منظومة النهب والفساد، وصولاً إلى قمع بعض الاحتجاجات الشعبية، ما بات، بسبب تعاظم الأزمة، شديد التكلفة على المقاومة سياسياً وشعبياً. إن ضراوة الفساد والنهب وانعدام أي شعور بالمسؤولية من قبل السلطة، وضخامة التصميم الخارجي على العقوبات وعلى إفلاس البلد وإثارة الفتن فيه، جعل الأكثرية الساحقة من اللبنانيين تدفع الثمن باهظاً دون رحمة أو نهاية.

أريد للانتخابات في 15 أيار أن تكون مرحلة فاصلة لجهة نزع الشرعية، رسمياً، عن المقاومة، تسهيلاً لإغراقها بالمشكلات الداخلية المتراكمة في الداخل والمغذاة من الخارج: سياسياً وأمنياً واقتصادياً. لم تتمكن القوى التي أدارها السفراء والمبعوثون الأميركيون وبعض حكام الخليج، من تحقيق انتصار حاسم في حرب تنتمي إلى «الجيل الرابع» من الحروب «الناعمة» التي تعتمد على إنهاك المجتمع وإغراقه بالمشكلات من كل نوع بصراعات وبقوى محلية، وفق المثل الشائع «من دهنو قليلو»! لكن الأزمة ما زالت مفتوحة. وهي أزمة مستعصية على الحلول بسبب فشل «الصيغة» اللبنانية وعجز وفئوية أطرافها، وبسبب الضغط الخارجي الذي تراجع، نسبياً، تحت تأثير الأزمة الأوكرانية. المقاومة مدعوّة إلى مراجعة هذا الوضع الذي سيلحق بها وبالبلاد إضراراً أكبر من تلك التي وقعت حتى الآن: سياسياً ومعنوياً وشعبياً وأمنياً. لن يكون ذلك، بالطبع، من خلال الاستمرار في المعادلات والسياسات السابقة التي تركّزت على عوامل السلاح والتمذهب والتوازنات الطائفية! والبدء، ينبغي أن يكون، حكماً، من لقمة العيش وحبة الداء إلى الماء والكهرباء والمدرسة!

تقييم الانتخابات، هو في الواقع، تقييم لمرحلة كاملة من التاريخ اللبناني المعاصر: بكل ملابساته وصراعاته وتمايزاته وتسوياته وانتصاراته. إنها لحظة الحقيقة بالنسبة إلى الجميع، من أجل عقد جديد، ومقاربات جديدة، وعلاقات جديدة لإنقاذ لبنان بشعبه ووحدته وكرامة أبنائه. وللحفاظ على الإنجاز الأكبر الذي سطّره شعبه بالدم والتضحيات والبطولات في مواجهة المحتل الصهيوني.

* كاتب وسياسي لبناني

ملف

مع دخول الحرب الروسية - الأوكرانية شهرها الرابع، بدأت حالة النشوة التي كانت أصابت كييف وحلفاءها الغربيين، مع إتّخاذ موسكو خطوات «انكفائية» في الميدان، تتبدّد، لصالح تقديرات أكثر واقعية، على رغم بقاء الرهانات على افتراضات خاطئة، من مِثل عجز روسيا عن تحقيق انتصار عسكري، أو فقدان فلاديمير بوتين الدعم في الدائرة النخبوية المحيطة به، أو حتى مرضه، الذي لا يتردد البعض في اعتباره سبباً للحرب في المقابل. بنت روسيا على أخطاء خطّتها في الشوط الأول من العملية العسكرية، وعملت على إصلاحها سريعاً، لتبدأ منذ أيار الماضي بإصالة كفة الميدان لصالحها، وصولاً الى اقترابها من انتزاع كامل منطقة الدونباس من أيدي الأوكران. وفي ظلّ هذا الوضع، واحتمال ازدياد حدّة المواجهة بين موسكو وواشنطن، وتحديداً في دول البلطيق، تتراجع أهمية المسار التفاوضي، فيما يدور الحديث عن أن روسيا توشك على إعلان «نصر عسكري شامل» في الخريف

الحرب في شهرها الرابع
روسيا تتقدّم... في غفلة من الغرب

موسكو ـ **الأخبار**

دخلت العملية العسكرية الروسية الخاصة في أوكرانيا شهرها الرابع، على وقع تقدُّم روسي على أكثر من جبهة في الشرق والجنوب، فقبل انتهاء الشهر الثالث من الحرب، نجحت موسكو في السيطرة على مجمّع «أزوفستال»، مع ما يعنيه ذلك من ضربة قاصمة للمتطرّفين الأوكران، بعد خسارة وجههم العسكري «كتيبة آزوف» أهمّ معاقلها في الجنوب، وكسر رمزيّة الكتيبة من خلال نشر صور استسلام جنودها. ما حصل في ماريوبول وفرض السيطرة على بحر آزوف، فسّره الخبراء العسكريون الروس على أنه واحدة من أنجح وأكبر العمليات العسكرية في التاريخ الحديث للقوات المسلّحة الروسية. وبحسب الخبير العسكري، كونستانتين سيفكوف، فإن واقع القوات المعادية في هذه المنطقة يقترب من جيش كامل، بعديد بلغ نحو 25 ألف مقاتل لم يتبقَّ منهم أحد، إمّا ماتوا أو استسلموا. ويلفت الخبراء إلى أن نجاح الجيش الروسي في إجبار المسلّحين المتحصّنين في «أزوفستال»، حيث كان يمكنهم البقاء لفترة طويلة جدّاً بسبب تحصينات المكان المهولة وتوافُر ما يكفي من الإمدادات لديهم، أكّد قدرته على هزْم القوة المتفوّقة للخصم في المناطق الحضرية، بأقلّ الخسائر الممكنة.

ومع اقتراب السيطرة الروسية على إقليم دونباس، يتّضح جليّاً أن النتيجة الأكثر أهمية، بعد ثلاثة أشهر من الأعمال العدائية، هي انهيار الاستعداد القتالي للجيش الأوكراني. وبناءً على معطيات وزارة الدفاع الروسية بخصوص الخسائر التي لحقت بالجيش الأوكراني على مستويَي العتاد والأفراد، يمكن الحديث عن أنه «جرى كسر نظام الإمداد الدفاعي والعسكري الذي بنته كييف في دونباس على مدى ثماني سنوات ودوسه». وفق رأي الخبير العسكري، أليكسي ليونكوف. ويرى ليونكوف أن «تحرير دونباس ممّن تبقّى من القوات الأوكرانية هو مسألة وقت، وسيتحقّق قريباً جداً». وكانت موسكو حدّدت هدفَين رئيسيين لعملياتها العسكرية، هما: تدمير أيّ قدرة للجيش الأوكراني على تهديدها نووياً، واستئصال النازية من أوكرانيا. ومع مرور الوقت، اتّضح أن روسيا تسير وفق ما

> **يرجّح المحلّلون ان تزداد حدّة المواجهة بين موسكو وواشنطن، وتحديداً في دول البلطيق في المستقبل القريب**

تريده، على رغم أن خطّتها واجهت بعض الصعوبات في بداياتها، وهو ما دفعها إلى تغييرها على وقْع المعارك. وفي هذا الإطار، يوضح الخبير العسكري، إيليا كرامنيك، في قناته على «تيليغرام»، أن «القيادة الأوكرانية تأمل

النتيجة الأكثر أهمية، بعد ثلاثة أشهر من الأعمال العدائية، هي انهيار الاستعداد القتالي للجيش الأوكراني (أ ف ب)

الروسية حدّدت هدف تحقيق نتيجة عسكرية، وفي الوقت نفسه من دون تأثير جذري على البنية التحتية للنقل الأوكراني»، إلّا أن ذلك تغيّر بعدما «بدأت القوات الروسية قصف البنية التحتية للسكك الحديدية في أوكرانيا في الشهر الثالث فقط، بسبب استخدام القوات الأوكرانية سكك الحديد لإيصال أسلحة الناتو إلى نهر دونباس»، ما عرّض تلك البنية لأضرار كبيرة. ويرى كرامنيك أن المواجهة «تحوّلت إلى منافسة بين تفوّق أوكرانيا في حجم الجيش وتفوّق روسيا في حجم ضربة»، لافتاً إلى أن «القيادة الأوكرانية تأمل بوضوح أن يزداد توريد الأسلحة من الغرب قبل أن تصبح الخسائر خطيرة».

على أن روسيا تبدو مقتنعة بأن فعّالية توريد الأسلحة الغربية إلى كييف في تغيير المعادلات، ستظلّ محدودة. وقد نبّه الكرملين، صراحة، إلى أن هذه العملية لن تساهم في تبديل الأوضاع على الأراضي الأوكرانية، بل ستؤدي فقط إلى «مزيد من تدمير أوكرانيا على المستويات البشرية والمادّية كافّة». وفي الاتّجاه نفسه، يُجمع الخبراء العسكريون الروس على أن خسائر الجيش الأوكراني أصبحت أكبر من قدرته على إطالة أمد صموده أمام الضربات الروسية، كما أن مخزونه من الأسلحة السوفياتية بدأ بالنفاد، وهو ما يؤثّر سلباً عليه، وخاصة أنه لا يتمتّع بالخبرة الكافية للتعامل مع أسلحة «الناتو». ومن زاوية أخرى، يرى الخبراء أن استمرار ضخّ الأسلحة الغربية إلى أوكرانيا دليل على أن «حرب روسيا ليست مع الأخيرة، بل مع الغرب، وبشكل أكثر تحديداً مع الولايات المتحدة وحلفائها التابعين». ويعتبرون أن روسيا، من خلال عملياتها العسكرية، تحدّثت، لأوّل مرّة في التاريخ الحديث، مع الولايات المتّحدة من «موقع قوّة»، مُطالبة بدفع «الناتو» إلى ما وراء «الخطوط الحمراء» لعام 1997، و«تحرير دول الاتحاد السوفياتي السابق من وجود الناتو ونفوذ الغرب». ومن هنا، يشدد الخبراء على أنه حتى لو انتهت العملية الروسية فلن تنتهي المواجهة؛ إذ «سيكون من السذاجة الاعتقاد بأن الولايات المتحدة ستتراجع، وستعطي روسيا بسهولة ما تريده، خلافاً لما عملت عليه منذ عام 1991، والدليل هو قرار ضمّ فنلندا والسويد إلى حلف الناتو». وعليه، يرجّح المحلّلون أن تزداد حدّة المواجهة بين موسكو وواشنطن، وتحديداً في دول البلطيق في المستقبل القريب.

أمام هذه التطوّرات العسكرية، لم تَعُد المفاوضات الروسية - الأوكرانية أولوية، سواءً على أجندة موسكو أو كييف، على رغم تجديد روسيا انفتاحها على المحادثات، وإمكانية لقاء الرئيس فلاديمير بوتين بنظيره الأوكراني، ولكن بعد التوقيع على وثائق الاتّفاق، وهو ما يبدو صعباً في المدى المنظور، في ظلّ تشبّث أوكرانيا بمواقفها، وتراجعها عمّا اتُّفق عليها في جولات المحادثات السابقة، بضْغط من واشنطن وبروكسل، وفق ما تقول موسكو. كلّ ذلك يقود إلى القول إن أفق الحلّ في أوكرانيا يبدو مسدوداً، وإن كانت عملية تغيير الموازين على الأرض، والجارية على يد روسيا، ستفرض على أوكرانيا في نهاية المطاف القبول بالتفاوض، حتى لا تخسر المزيد من أراضيها.

تحوّلات أيّار:
هكذا أصلحت موسكو أخطاءها

موسكو ـ **أحمد الحاج علي**

مع انسحاب القوات المسلّحة الروسية من محيط مدينتَي كييف وتشيرنيغوف في نيسان الماضي، أصابت النشوة النظام الأوكراني وحلفاءه الغربيين، الذين بالغوا في الاحتفال بذلك التطوّر، وبدأوا بالتنظير لإمكانية الاحتفال بـ«عيد النصر» على مشارف موسكو، بمزيد من الضخّ الإضافي. إلّا أن وقائع الميدان في شهر أيار جاءت لتُبطل مفعول تلك النشوة، وتعيد إمالة الكفّة لصالح موسكو. تدريجياً، بدأت القوات الأوكرانية تفقد عناصر قوّتها التي سمحت لها بتسجيل بعض النقاط خلال الشطر الأوّل من الحرب، حيث أتاحت لها خبرتها التي اكتسبتها من ثماني سنوات من المواجهات في إقليم دونباس، التكتيكَ المرحلي في وجه خصم يتفوّق عليها تقنياً ونوعياً. كما أن ضخّ السلاح الغربي، بكميات هائلة إلى كييف، أدّى، في المراحل الأولى من العملية، إلى إلحاق خسائر فادحة بالقوات الروسية، خصوصاً عندما وضعت موسكو هدفاً لها الوصول إلى العاصمة كييف بأيّ ثمن، أو في الحدّ الأدنى إطباق الحصار عليها حتى إرغام سلطاتها على الاستسلام غير المشروط. لكنّ «الخطّة أ» لم تؤتِ أُكلها، ما جعل القيادة الروسية تتّجه إلى تبنّي «الخطّة ب»، والتي بنت على ثغرات الاستراتيجية الأصلية، وتحاشت الرهان على المسار التفاوضي، قبل إنجاز تحوّل وازن في الميدان.

إثر ذلك، بدأت التكتيكات الروسية تثبت نجاعتها، سواءً في إفشال الهجوم المضادّ للقوات الأوكرانية على مقاطعة خيرسون، أو خلال العملية المستمرّة لانتزاع كامل مساحة دونباس. هذه التكتيكات كانت مدروسة، وتمّ التحضير لها بجدّية أكبر، ورُصدت من أجلها الإمكانات المطلوبة، فكانت نتائجها مُرضية، وعلى رغم أنها ليست حاسمة إلى الآن، إلّا أنها ثابتة و لا تُسجّل إخفاقات. كذلك، لا ينكر المتابعون، حتى الغربيون منهم، التفوّق التقني العسكري الروسي، مع زيادة الاعتماد على سلاح الجوّ التكتيكي العملياتي، وعلى القوّة الصاروخية الدقيقة والبعيدة المدى، والتي ألحقت خسائر فادحة بالأوكران، بلغت باعتراف الرئيس فولوديمير زيلينسكي نفسه، مئة قتيل وخمسمائة جريح يومياً، وهي خسائر لا طاقة لكييف ولا للغرب على تعويضها عملياً. في المقلب الآخر، تشهد الجبهات كافّة حالة تراجع وترهّل في قدرة الأركان الأوكرانية على الإمساك بزمام الأمور أو القيام بمبادرات قتالية وازنة قادرة على تغيير المشهد، فضلاً عن مؤشّرات تناقُض ما بين القيادة السياسية التي تطلب من القوّات المسلّحة ما يفوق طاقتها، واضعةً كلّ رهاناتها على سلّة الدعم الغربي، وما بين الجيش غير القادر على استيعاب أشكال الدعم في تشكيلاته القتالية المشتّتة، والقاصر عن الوصول إلى جميع المساعدات جرّاء استهداف قوافلها من قِبَل القوات الروسية.

وعلى رغم الدعم الغربي المتزايد كمّاً ونوعاً، إلّا أن أوكرانيا لم تتمكّن من وقف التحوّل المُسجَّل لصالح روسيا على المحاور كافّة. وفي هذا الإطار، تُسجّل وسائل الدفاع الجوّي، الأوكرانية والغربية على السواء، قصوراً في مواجهة سلاح الجوّ الروسي، وخصوصاً مسيّراته التي

> **يسجّل مسرح العمليات في شمال شرقي أوكرانيا تقدّماً مستمرّاً، بطيئاً وثابتاً، للقوات الروسية**

الخلل التقني الذي تعانيه، وحقّقت نوعاً من التوازن المرحلي، أتاح لكييف الاحتفاظ المؤقّت بمواقع توصّفها، من ناحية أخرى، تستدرك القوات الروسية جملة من الأخطاء والنواقص، التي ثبُت أنها دخلت الحرب من دون معالجتها. فعلى سبيل المثال، تمكّنت هذه القوات، بعد إخضاع طواقم تشغيل الدبابات والمدرّعات لبرامج تأهيل، من تقليل خسائرها البشرية إلى حدّ كبير. كما أنها بدأت بتحريك قوات التعبئة والاحتياط على نحو مدروس بشكل أكبر، من دون استدعائها بكاملها (يدور الحديث عن أكثر من 15 كتيبة روسية و«شعبية» من كتائب التعبئة موزّعة على الجبهات كافة). في المقابل، بدأت كييف تعاني نقصاً في العنصر البشري المقاتل، في ظلّ تراجع قدرتها على استدعاء قوات الاحتياط، إضافة إلى افتقار القوات المسلّحة إلى الضبّاط الأكفّاء، ولا سيما قيادات الصفّين الثاني والثالث.

وفي المعطيات الميدانية، سجّل مسرح العمليات في شمال شرقي أوكرانيا تقدّماً مستمرّاً، بطيئاً وثابتاً، للقوات الروسية على محاور ضواحي مقاطعة خاركوف، التي يجري الالتفاف عليها من ناحية الشرق، والتقدّم بالتدريج باتجاه الجنوب، تمهيداً للسيطرة على مدينة تشوغويف، التي يشكّل تموضع القوات الأوكرانية فيها عنصر إقلاق للجنود الروس المرابطين في منطقة إيزيوم جنوب خاركوف، كما أنه يؤخّر تقدّمهم باتجاه الجنوب والجنوب الغربي والجنوب الشرقي. وعليه، فإن تدمير حامية تشوغويف الأوكرانية يؤمّن الحماية للجناح الأيمن من تشكيلات القوات الروسية المتقدّمة في معركة دونباس. ومن غير المستبعد، والحال هذه، اندلاع مواجهات شرسة في محيط تشوغويف، توازياً مع تكثيف الضربات المدفعية الثقيلة في إيزيوم، والتمهيد المدفعي في سلافيانسك. أمّا في سفياتوغورسك، التي تُعَدّ منطقة رمادية تسمح بتداخل متقطّع لقوات الطرفَين في القطاع الأوسط من دونباس، فلا تزال القوات الأوكرانية تسيطر على مرتفعات تقع على الضفة اليمنى لنهر سفيرسكي دونيتس، ما يجعل القوّات الروسية تلجأ إلى مسارات بديلة للتقدّم على محاور سفياتوغورسك. وفي محيط باباسنايا، دخلت القوات الروسية والتشكيلات الحليفة لها مدينة نوفولوغانسك، وشغلت القسم الجنوبي للمدينة، إضافة إلى سيطرتها بالنيران على القسم الغربي منها، فيما يُتوقّع سقوطها بالكامل خلال ساعات. وفي ظلّ هذا التسخين على جبهات دونباس الشمالية والوسطى والجنوبية الغربية، تتّجه الأنظار إلى ليسيتشانسك وسيفيرودونيتسك، المرتقب حسمهما أيضاً، لتصبح جميع مناطق لوغانسك بأيدي الروس، ويضحي الاستيلاء الكامل على دونباس في متناول الأيدي.

على رغم الدعم الغربي المتزايد كمّاً ونوعاً، إلا ان أوكرانيا لم تتمكّن من وقف التحوّل الصاروخي لصالح القوات الروسية (أ ف ب)

الحدث

احتدام حملة الضغط بوجه طهران

تل أبيب لواشنطن: هذه شروطنا للاتفاق النووي

عشيّة اجتماع مجلس محافظي «الوكالة الدولية للطاقة الذرّية»، والذي يُتوقّع صدور قرار - أو على الأقلّ - بيان إدانة ضدّ إيران خلاله، حطّ رفائيل غروسي في تل أبيب، حيث زكّى مجدّداً الادّعاءات الإسرائيلية بخصوص برنامج إيران النووي، و«بارك» بحضوره، تهديدات نفتالي بينت الجديدة لطهران. مشهديّةٌ لا تبدو البتّة منفصلة من سياق حملة إسرائيلية - أميركية - غربية محتدمة، بهدف تصعيد الضغوط على الجانب الإيراني، ودفْعه إلى تقديم تنازلات على طاولة التفاوض. إن لم ترتقِ إلى الحدّ الذي تريده تل أبيب تعجيزياً، فعلى الأقلّ تتيح لواشنطن القول إنها فرضت تنازلات على الإيرانيين، واستطاعت في الوقت نفسه تأمين ضمانات لصالح حلفائها

يحيى دبوق

أنهى مدير «الوكالة الدولية للطاقة الذرية»، رفائيل غروسي، أمس، زيارة وُصفت بـ«المفاجئة» إلى إسرائيل، أريد لها، على ما يبدو، أن تكون واحدة من أدوات الضغط على الجانب الإيراني، في ظلّ تعثّر المفاوضات غير المباشرة بين طهران وواشنطن للعودة إلى الاتفاق النووي لعام 2015، والخشية من خطوات تصعيدية إيرانية تُقرّب طهران من القدرة النووية العسكرية، كنتيجة متوقّعة لذلك التعثّر. وتُعدّ الزيارة بهذا المعنى، مع ما حملته من تهديدات إسرائيلية، جزءاً من الحملة الترويجية لسلّة الضغوط العبرية، والتي تريد تل أبيب من واشنطن أن تتبنّاها بالكامل، تمهيداً للتوصّل إلى اتّفاق مغاير للمسوّدة التي كادت الأطراف تُوقّع عليها، على رغم إدراك الولايات المتحدة مسبقاً استحالة تحقّق الشروط المطروحة إسرائيلياً.

وفي هذا الإطار، هدّد رئيس حكومة العدو، نفتالي بينت، خلال لقائه غروسي، بأن «إسرائيل تحتفظ بحقّ الدفاع عن النفس، والتحرّك ضدّ إيران لوقف برنامجها النووي إذا فشل المجتمع الدولي في القيام بذلك، في إطار زمني مناسب». ويأتي ذلك في سياق حملة إسرائيلية ضدّ طهران، لا يُستبعد أن تكون واشنطن هي التي حرّكتها، ادّعت فيها تل أبيب إخفاء الجانب الإيراني معلومات عن ثلاثة مواقع نووية، و«سرقته» وثائق سرّية من الوكالة، واستخدامها لخداع مفتّشين دوليين منذ نحو عقدين، وهي ادّعاءات وصفتها إيران بـ«الكاذبة». إلّا أنه، وعلى خلفية تعثّر المفاوضات النووية، تبنّت «الطاقة الذرّية» الادّعاءات الإسرائيلية، ممهّدة الطريق لإدانة طهران في اجتماع مجلس محافظي الوكالة بين السادس والعاشر من الشهر الحالي، حيث يعتزم الأميركيون والأوروبيون طرح مشروع قرار في الاتّجاه المذكور.

وتسوّق إسرائيل، في مرحلة تجميد التفاوض، لخريطة طريق مشبعة بشروط من شأنها تقييد إيران نووياً، تريد من «المجتمع الدولي» أن يعتمدها قبل استئناف المحادثات، وهي تتركّز على بنود رئيسة ثلاثة:

- يحصل الإيرانيون على تخفيف للعقوبات كما هو منصوص عليه في اتفاق 2015.
- يكون الاتفاق دائماً ومن دون أيّ مدّة انقضاء، أي أن القيود المفروضة على برنامج إيران النووي ستكون دائمة ولا تتحدّد بفترة زمنية.
- في حال خرقت إيران التزاماتها، تُفرَض عليها «حزمة من العقوبات» أضخم من تلك التي فُرضت على روسيا، في أعقاب الحرب على أوكرانيا.

إزاء ذلك، يبدو واضحاً أن الضغوط الكلامية والإجرائية المُفعّلة أخيراً ضدّ البرنامج النووي الإيراني، تأتي برضًى ودفع أميركيَّين مباشرين، وهو ما يكشف حقائق عدّة، على رأسها أن تعثّر عملية التفاوض لم يُعد تعثّراً مؤقّتاً، وأن لا حلّ لهذا الجمود قريباً، وأن ثمّة خشية فعلية لدى خصوم إيران من أن تعمد الأخيرة إلى رفع مستويات «الخرق» من جانبها، إلى حدّ البدء بعمليات تخصيب اليورانيوم بنسبة 90%، الأمر الذي يقرّبها أكثر من القدرة النووية العسكرية. إلّا أن اشتراك واشنطن وتل أبيب في التكتيك، لا يعني اتحادهما في الأهداف؛ إذ تريد الأولى، على ما يبدو، تجميد الوضع الحالي كما هو، أي أن لا تُقدم طهران على خطوات خرق إضافية، بموازاة تعطيل المفاوضات، فيما تهدف الثانية إلى استغلال الفرصة لدفع الإدارة الأميركية نحو تموضع مغاير على مسار التفاوض، وتبنّي شروط قاسية ومتطرّفة لتحقيق اتّفاق هو أشبه بالاستسلام في الملفّ النووي وغيره. ولعلّ هذا هو ما يفسّر خلْق الخطّة المطروحة إسرائيلية من شروط تتجاوز البرنامج النووي، كانت تل أبيب تداب على الترويج لها في مقارباتها السابقة، مثل البرنامج الصاروخي والطائرات المسيّرة والنفوذ الإقليمي.

بالنتيجة، زيارة غروسي هي جزء من حملة ضغط في مواجهة إيران، من شأنها التأكيد من جديد أن «الطاقة الذرّية» هي كيان أممي منساق للإرادة الأميركية؛ إذ لو كان «الكشف» الإسرائيلي حصل في ظلّ نجاح العملية التفاوضية، لكانت الوكالة تجاهلت ادّعاءات تل أبيب، وهو ما حصل فعلاً في السابق. وتتساوق هذه الحملة مع زيارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، إلى المنطقة، والهادفة إلى طمأنة الحلفاء، طالما أن تجميد المفاوضات حاصل، إلى أن تتّخذ واشنطن موقفاً متشدّداً من الجانب الإيراني، مع حفظ مصالح «الشركاء»، الأمر الذي يساهم في إنجاح الزيارة وتحقيق أهدافها.

هدد رئيس حكومة العدو بانّ «إسرائيل تحتفظ بحقّ التحرك ضد إيران لوقف برنامجها النووي» (أ ف ب)

> **زيارة مدير «الطاقة الذرّية» لإسرائيل جزء لا يتجزّأ من حملة الضغط على طهران في زمن التفاوض**

العيْن على اجتماع «الطاقة الذرّية»

طهران ـ **محمد خواجوئي**

أعدّت أميركا والثُّلاثي الأوروبي (فرنسا وألمانيا وبريطانيا) مشروع قرار لطرحه على الاجتماع المقبل لمجلس محافظي «الوكالة الدولية للطاقة الذريّة»، يتمّ بموجبه «تأنيب» إيران بسبب عدم ردّها على أسئلة الوكالة حول آثار يورانيوم تمّ العثور عليها في مواقع لم يُعلَن عنها، ويدعوها إلى «التعاون فوراً» لتبديد ذلك الغموض. ويجلّي احتمال استصدار قرار من هذا النوع، بحدّ ذاته، الظروف المعقّدة التي تحيط بمحادثات فيينا، فيما يبدو أكيداً أن التصديق عليه سيؤدّي إلى رفع وتيرة التصعيد بين إيران والدول الغربية.

وفي هذا الإطار، وصف وزير الخارجية الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان، مسودة القرار المنويّ طرحه بأنها «إجراء متسرّع وغير بنّاء، ومخالف للدبلوماسية»، محذّراً من أنها «ستجعل المفاوضات معقّدة وأكثر صعوبة»، وملوّحاً بمواجهتها بـ«ردّ ملائم ومؤثّر وعاجل». كما دان زيارة رافائيل غروسي إلى إسرائيل أمس، عادّاً إياها «متعارضة مع حيادية المنظّمة ومهمّتها التقنية».

وفي انتظار ما يمكن أن تحمله الأيام المقبلة، يبقى ثمّة خيار يمكن أن تستمرّ معه المفاوضات على قيْد الحياة، وفي الوقت نفسه يُتيح تسليط ضغط إضافي على طهران، وهو أن يتمّ استصدار بيان ضدّ إيران بدلاً من قرار، يتحاشى المزيد من التصعيد والتوتير، ويكون الهدف منه تحريك محادثات إحياء الاتفاق النووي مجدّداً.

البلاد | ملف | وجه الجولان الجديد

«الجولان الذي ترعرعت فيه -وأنا ما زلت في مطلع الثلاثينيات- يكاد أن يختفي»
(من رسالة أحد أبناء الجولان المحتل)

«نعمل حالياً على استكمال الخطة التي ستغيّر وجه الجولان»
(نفتالي بينيت - رئيس وزراء إسرائيل)

حين تصل رسالة من أحد أبناء الجولان المحتل، تتحدّث بالوقائع عن جولان جديد لا يعرفه وتتغيّر معطياته يوماً بعد يوم. تكتشف أنّ ما أنجزته إسرائيل في ملفّ احتلال الهضبة السورية وأسرلتها خلال العقد الأخير يتجاوز ما فعلته منذ احتلال الأرض في حزيران عام 1967، وقرار الضّمّ في عام 1981. تشرح الرسالة أن الخطر لا يكمن فقط في تكثيف نشاطات الاحتلال، الذي استغلّ الحرب في سوريا وصعّد نشاطات الأسرلة عبر نشر الجنسيات وتكريس سلطته المدنيّة على السكان، بما فيها أجهزة الشرطة، بل وصل إلى حدّ اختراق وخطف سياق المقاومة عن طريق منظمات «غير ربحية»، مموّلة أوروبياً، تتّكئ على خطاب الحقوق الفردية. كان من الفاقع ضآلة الاهتمام باعتراف دونالد ترامب بسيادة إسرائيل على الجولان مقارنةً بالاعتراف بالقدس عاصمةً، أو تلويح نتنياهو بضمّ الأغوار.

إلا أن النتيجة واحدة سواء في فلسطين التاريخية أم في الأرض السورية المحتلّة: تقدّم سياسة «الأمر الواقع» وخلق وقائع جديدة على الأرض. في الأثناء، يقف السكّان الأصليون المتمسّكون بهويتهم في وجه آلةٍ أمنيّة و«مدنيّة»، لها موارد هائلة، مع تواطؤ عربي وصل إلى درجة التآمر، إذ تحوّل بعض التمويل العربي ومؤسساته إلى «حصان طروادة» عبر مشاريع الاختراق والتحذير والاستيعاب. في هذا الملف، بالذكرى الـ55 للاحتلال، يتجاوز الحديث عن الجولان نوستالجيا اجتماع الأهالي في الأعياد على جانبي الأسلاك الشائكة وتبادل الأخبار والأشواق، فخلف هذه التفاصيل ثمّة واقعٌ آخر: المساحة المحتلة (1500 كلم مربع) تشكّل درّة ثمينة وظّفت إسرائيل ديبلوماسيتها لتكريس احتلالها وجلبت استثمارات من أضخم صناديق التمويل العالمية لسرقة مواردها، ووضعت خططاً جديدة للتوطين. علماً أن الجمهور الإسرائيلي لم يأخذ لسنواتٍ موضوع الضمّ على أنه أمر مستدام، خلافاً لحال الضفة والقدس. كل هذا حصل خلال العقد الذي مضى، فيما كان هناك من يستميت لتمييع مفهوم المقاومة.

برأس المال الغربيّ جئناكم

مختار السكّرة

ليس من الغريب على الاحتلال أن يستغلّ الأوضاع في سوريا لتحقيق قفزة نوعية في استعمار واستيطان الأرض السورية المحتلة، بما يشمل ذلك من بناء وحدات استيطانية واستجلاب مستوطنين، الاستثمار بمشاريع اقتصادية، وعلى رأسها استخراج الطاقة، واستئصال بيئة المقاومة بشكل مباشر عن طريق التطبيع، وغير مباشر عن طريق المسارات المساومة لأعوانه والتي تصبّ في مصلحة الاحتلال، حتى وإن ظهرت بعباءة «الحراك المدني». وهكذا، بين التوسّع الصهيوني ومطامع الغرب الاقتصادية في المنطقة، وسرديّة الحقوق الفردية الليبرالية التي تدّعي الدفاع عن الحرّية، تجتمع في هذه المنطقة الصغيرة المحتلة الجبهات المفتوحة كافة على سوريا.

اندفاع استيطاني متجدّد

في الـ11 من تشرين الأوّل، أعلن رئيس وزراء الاحتلال من أصول أميركية نفتالي بينيت أن حكومته تعتزم زيادة الاستيطان الصهيوني في الجولان المحتل بأربعة أضعاف على مرحلتين، ليصل عدد المستوطنين إلى مئة ألف. كما أكد أن هذه الجهود التي تشمل إنشاء بلدتين جديدتين غير مرتبطة بتغيير رأي المجتمع الدولي بالحكومة السورية، أي أن حكومة الاحتلال غير مستعدة للتفاوض على الجولان. ويحتار المرء من أين تأتي السخرية: من عدم الاكتراث بالإجماع الدولي على أن الجولان أرض محتلة، أو من مشاركة ممثلين من الجولان في المؤتمر (تحديداً رئيس بلدية مجدل شمس، دولان أبو صالح)، أو من مراهنة بينيت في تصريحه على تفشي ظاهرة العمل من المنزل وبقرب الطبيعة عقب جائحة «كورونا» كعامل مساعد في جذب المستوطنين الجدد!

مطامع الاحتلال في الجولان السوري ليست جديدة بالطبع، ولا انعدام نيّته في إرجاع الأرض المحتلة. فإن إعلان رئيس حكومة اليمين مناحيم بيغن في عام 1981 (غيّر اسمه من Mieczysław Biegun في البولندية ليصبح عبريّ المسمع) بضم الجولان كان امتداداً لأفكار الأب الروحي لما يسمّى باليسار في الكيان الإسرائيلي، بن غوريون (غيّر اسمه من Grun في البولندية ليصبح عبريّ المسمع) الذي رأى بدوره أنّ على مشروع الاستيطان الصهيوني أن يشمل، لا مرتفعات الجولان فحسب، بل أيضاً أراضي أخرى من الجنوب السوري. بهذا يكون بينيت مجرّد حامل لشعلة مشروع الاستيطان التي لم تنطفئ وشكّلت القاسم المشترك بين كل من سبقه يميناً ويساراً، مثل بنيامين نتنياهو (غيّرت عائلته اسمها من Mileikowsky في البولندية ليصبح عبريّ المسمع) الذي خطف اعترافاً من ترامب بسيادة الاحتلال على الجولان، وإيهود باراك (غيّر اسمه من Brug في الليتوانية ليصبح عبريّ المسمع) الذي ترأس حكومة حزب العمل سابقاً ولكنّ الجديد في الأمر هو تكثيف الطاقات وتسخير استثمارات هائلة لتسريع وتيرة الاستيطان في الجولان، وتشابك الخيوط الاستيطانية والاقتصادية والإيديولوجية في وضح النهار على خلفية الأحداث في سوريا، خاصة عن طريق المسيحية المتصهينة التي أثبتت قدرتها على فتح أبواب الاستثمارات الأميركية على مصراعيها. تشكّل «فرونتير أليانس إنترناشيونال» (Frontier Alliance International) خير مثال على هذا التشابك.

أُسّست الأخيرة تزامناً مع بدء العدوان على سوريا واتخذت من الجولان السوري المحتل مقرّاً لها، بالإضافة إلى مناطق نفوذ الانفصاليين الأكراد. تجهد هذه المنظمة في تعميم الفكر الصهيوني بلباس إنجيلي، والذي يجعل من الاستيطان في الجولان وتمويله وإبقاء المنطقة تحت سلطة الكيان مهمّة إنجيلية واجبة على المؤمنين عموماً وفي الولايات المتحدة خاصة. للمنظمة عدة أذرع تشغل في جمع الأموال للاستيطان وإنتاج محتوى ثقافي لتجنيد المستوطنين ونشر الدعم للمشروع الصهيوني في المنطقة، مثل «التحالف العالمي لإسرائيل» (Israel Alliance International) عدا المنظمة نفسها. كما وتقوم المنظمة حالياً ببناء «مقر استراتيجي إقليمي» في الجولان السوري المحتل لإدارة مهامها بالمنطقة. ما يشهد على تشابك جهود الاستيطان أخيراً مع العدوان على سوريا، عدا مكان وزمان تأسيس المنظمة ودورها في زيادة الاستيطان، هو أنخراطها المباشر في الحرب على سوريا عن طريق دعم المسلحين في الجنوب السوري والانفصاليين في شمال شرق سوريا، والذين يدّعون تمثيل الأكراد. فقد قامت المنظمة، منذ بدء العدوان على سوريا، بالعمل كذراع لجيش الاحتلال في جنوب سوريا، عن طريق تقديم الدعم المباشر للمسلحين من خلال التسلل إلى سوريا عبر الجولان والمساعدة في استقبال جرحاهم في مستشفيات الاحتلال، كما تصرّح المنظمة علناً على صفحتها (وما خفي أعظم). يتولى قيادة العمليات في سوريا مؤسّس المنظمة وعضو مجلس إدارتها دالتون توماس، بالتعاون مع رئيس شعبة الاستخبارات في جيش الاحتلال سابقاً الملازم الكولونيل ماركو موريتو (قد يكون العضو الخفيّ في مجلس الإدارة للمنظمة). يظهر توماس بعدة صور متباهياً بدعم الانفصاليين عسكرياً في شمال شرق سوريا، عدا الفيديوهات التبشيرية المصوّرة في الجولان في القرى المدمّرة بكل وقاحة، ولقاءات على قنوات غربية للترويج لمنظمته. هذا الدعم المتجدد لجذب المتصهينين من أقطاب الأرض كافة للجولان هو طبعاً بالإضافة إلى دعم الأميركي الذي لم ينقطع بل تزايد منذ الخمسينيات ويشمل دعم بناء المستوطنات، بحسب تقرير هيئة الأبحاث في مجلس الشيوخ الأميركي للعام السابق، وذلك بعكس مسرحية الخارجية الأميركية التي تتظاهر بأنها توبّخ الكيان على بناء المستوطنات أحياناً.

استثمار في استخراج الطاقة

يصبّ دعم المسيحية المتصهينة في المشاريع الاستثمارية في الجولان المحتل، كما في الاستيطان، خاصة في مشاريع استخراج الطاقة التي أثارت شهية الاحتلال والمستثمرين الغربيين (والأميركيين تحديداً) منذ ما قبل عام 2010. في قطاع النفط والغاز هنالك مثلاً شركة «صهيون للبترول والغاز» (Zion Oil and Gas)، التي تعدّ أن مهمتها الإنجيلية تقتضي استخراج النفط والغاز من أرض فلسطين وبلاد الشام كما تصف في رؤيتها بوضوح على صفحتها الرسمية. كما وقبل عدة أعوام من العدوان على سوريا، جهدت شركة Genie Energy الأميركية

> **يصبّ دعم المسيحية المتصهينة في المشاريع الاستثمارية في الجولان المحتل، كما في الاستيطان، خاصة مشاريع الطاقة**

في استكشاف النفط في الجولان وجذب المستثمرين، حتى نجحت في عام 2010 في جذب استثمارات من روبرت مردوخ (عملاق مجال الإعلام) واللورد جاكوب روتشيلد (عملاق المصارف العالمي) الذي سبق لعائلته أن قامت ببناء مبنى البرلمان للعدو الصهيوني في الخمسينيات وقدّمت دعماً هائلاً للاستيطان. كما ويشغل مردوخ منصباً في مجلس إدارة الشركة، بالإضافة إلى ديك تشيني، نائب الرئيس الأميركي الأسبق في إدارة جورج بوش الابن ومدير تنفيذي سابق لإحدى أكبر شركات تخديم الحقول النفطية في العالم، شركة «هاليبورتون» (Halliburton Company) التي توزّعت بشكل مباشر في الحرب على العراق، بعد إعطاء الاحتلال الضوء الأخضر للتنقيب رسمياً في عام 2013، مُنحت حقوق التنقيب لشركة Afek Oil and Gas التي تعمل كذراع لشركة Genie Energy Ltd. الأميركية في الكيان.

في قطاع ما يسمّى بالطاقة النظيفة هنالك عدة مشاريع للاحتلال الصهيوني جاءت كتتويج لعضوية الكيان في منظمة التعاون الاقتصادي والتنموي للدول الغربية (OECD)، كما سائر المشاريع الأخرى، تدير هذه المشاريع حفنة من شركات إسرائيلية-أميركية وأوروبية مثل شركة Energix Renewable.) «إنيرجيكس» (Energies Ltd التي أضحت تحت عدسة مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان منذ زمن نظراً إلى تعدّد مشاريعها في الأراضي المحتلة عام 1967. تقوم الشركة الخاضعة لسيطرة إحدى كبريات سوق الاستثمار والبنية التحتية في الكيان الإسرائيلي Alony, Hetz Properties & Investments Ltd ببناء توربينات عملاقة في الجولان السوري المحتل بفوق طولها 150 متراً. كما وتتعاون «إنيرجيكس» في إدارة استراتيجيتها مع شركات عالمية مثل Morgan Stanley، إحدى كبريات المؤسسات المالية الأميركية، و Shell من كبريات شركات النفط الأميركية، وعملاق النفط البريطاني British Petroleum. وتشترك «إنيرجيكس» مع عدة وكلاء لتقليل اعتمادها على جهة واحدة في تصنيع التوربينات، منها General Electric (الولايات المتحدة) و Siemens-Gamesa (ألمانيا وإسبانيا) و Vestas (الدنمارك) و Nordex و Enercon (ألمانيا). ولكنّ المشروع الأكبر في هذا القطاع يتم بناؤه على يد شركة «إينلايت» (Enlight Renewable Energy.) والذي يُعد الأضخم من نوعه منذ بدء الاحتلال في فلسطين.

في سنة 2018، نجحت «إينلايت» في تحصيل تمويل لمشروع طاقة الرياح عن طريق عدة مؤسسات قامت بتشكيل مجموعة مالية (Financial consortium) بقيادة أكبر بنك في الكيان الصهيوني، بنك «هبوعليم»، وافقت المجموعة، التي تشمل مؤسسات مالية ضخمة مثل Harel Insurance Investments and Financial Services Ltd. و The Phoenix Holdings Ltd على تمويل المشروع بما يزيد عن 160 مليون دولار أميركي وبشروط مريحة. تحديداً، تُموّل مشاريع كهذه بالأراضي المحتلة بنوع قروض قليلة الخطورة للمستقرض (non-recourse) بحيث إنها تمنع الجهة المالية المانحة من ملاحقة مقدّرات الشركة القائمة على المشروع «إينلايت» في هذه الحالة) بما يتعدّى مقداراً مُتّفقاً عليه مسبقاً (collateral) في حالة الفشل أو الإفلاس، أي أن غالبية المخاطرة تقع على المستثمر. لذلك عادة ما تحمل هذه القروض فائدة عالية تعويضاً عن الخطورة للمستثمر، ما يجعلها مربحة جداً في حال نجاح المشاريع (والذي تضمنه القوة العسكرية في حالة الكيان). وكما سائر المشاريع في الأراضي المحتلة والمشاريع العالية الخطورة عموماً، يتم تأسيس مركبات استثمارية خاصة (– Special Purpose Vehicles SPVs) لإدارة هذه المشاريع نظراً إلى استقلاليتها القانونية عن الشركة الأم، فتتحمل هذه المركبات مخاطرها منفردة، ما يحمي الشركة الأم من أي تداعيات قانونية في حالة الإفلاس. مشروع «إينلايت»، على سبيل المثال، يجمع شركة Minrav Holdings Ltd. التي تتولى البنية التحتية للمشروع وشركة Nextcom Ltd. التي تتولى التصميم والبناء والصيانة، وذلك من خلال مركبة استثمارية خاصة بإدارة «إينلايت» تجمع هذه الشركات.

من الجدير ذكرُه أن بنك «هبوعليم» و«إنيرجيكس» و«إينلايت» هي من الرعاة الأساسيين للمؤتمر الذي تحدّث به بينيت عن مضاعفة الاستيطان في الجولان في تشرين الأول. قد لا تتبنى علناً جميع الشركات المهرولة نحو الاستثمار في الأرض المحتلة سردية المهمّة الدينية، ولكنها تجمع على مهمّة حمل رأس المال الغربي ودفعه إلى أقصى حدود ممكنة في منطقتنا، كما في أي منطقة تقاوم الهيمنة الغربية، مُحتمية بمنظومة عسكرية-استيطانية. فمن المهم ذكرُه أن مجموعة المستثمرين الأساسيين في جميع الشركات المذكورة تشمل لاعبين عالميين في الأسواق المالية، خاصة من بريطانيا والولايات المتحدة والكيان الصهيوني (إن جاز فصلهم أصلاً). على سبيل المثال، يشكل عملاق الأسواق المالية الأميركي The Vanguard Group. Inc عقدة وصل بين جميع الشركات التي تستثمر في استخراج الطاقة في الجولان، أي أنهم من المستثمرين الأساسيين في هذه الشركات مباشرة عدا استثمارهم في المؤسسات المالية التي تستثمر بدورها في الشركات نفسها. كما أن العملاق المالي البريطاني Blackrock Advisors هو من المستثمرين الأساسيين في «إنيرجيكس» و«إينلايت»، وثالث أكبر صندوق استثماري بريطاني (hedge fund) في أوروبا، BLueCrest Capital Management (المملكة المتحدة)، هو من المستثمرين الأساسيين في شركة «صهيون للنفط والغاز» المذكورة أعلاه (مؤسس الصندوق مايكل بلات Michael Platt أصبح أغنى مدير صندوق استثماري في العالم). أمّا Genie Energy، التي منحتها حكومة نتنياهو السابقة الحقوق الحصرية للتنقيب عن النفط في جنوب الجولان والتي نجحت في تجنيد أهم اللاعبين في الاقتصاد العالمي مثل روبرت مردوخ وجاكوب روتشيلد، فهي أسّست على يد هاوارد جونس (Howard Jonas) صاحب شركة IDT العالمية للاتصالات والمعلوماتية وهو من أكبر المستثمرين فيها، إضافة إلى Invesco الأميركية التي بدورها من أكبر المؤسسات المالية العالمية بحيث تدير أكثر من تريليون دولار في أكثر من عشرين دولة وتستثمر بفروعها المختلفة في «إنيرجيكس» و«إينلايت» أيضاً.

يجب ألا يغيب عن القارئ أن أحد أكبر إنجازات نتنياهو للكيان الصهيوني كان توطيد الروابط بين توسّع الكيان والمؤسسات المالية الأمريكية والغربية عموماً. فقبل أن يعود إلى فلسطين ليمارس واجبه كسياسي مستوطن ومحتل للأرض، كان قد تتلمذ في إحدى أكبر شركات الاستشارة المالية، شركة Boston Consulting Group، في وقت كانت فيه الولايات المتحدة تشهد بدايات الثورة النيو-ليبرالية التي قادها رونالد ريغان لاحقاً، والتي جعلت اليد العليا في الاقتصاد الأميركي والعالمي للمؤسسات المالية. فاضحى نتنياهو بذلك عرّاب الخصخصة وفتح اقتصاد الاحتلال للمؤسسات المالية العالمية (وما زال هذا صلب خلافه مع ما يسمى بالليبرال في الكيان، لا الاحتلال).

(أ ف ب)

الاستيطان في الجولان
شركات منخرطة بشكل مباشر أو غير مباشر عبر استثمارات **قطاع الطاقة**

وجهة نظر

اجتماع الجبهات

منذ بدء عدوان دول حلف شمال الأطلسي (الناتو) وأتباعهم في الشرق الأوسط على سوريا في 2011، تشهد نشاطات الاحتلال الصهيوني تكثيف جهود على عدة جبهات في الجولان السوري المحتل وفلسطين، ما يعكس مراهنة الاحتلال والغرب على سقوط سوريا واختراق محور المقاومة مع بدء العدوان، لا بل عدّة سنوات قبل بدئه.

من الملحّ فهم الغزو التوسّعي والاستيطاني في بلادنا كما في الدول التي تُحارب للحفاظ استقلالها من فنزويلا وكوبا إلى سوريا واليمن والصين كتوسّع لنفوذ رأس المال الغربي، وبذلك لا يكون من المستغرب أن تجتمع جبهات سوريا في الجولان إن كانت تجتمع في فنزويلا. ومثلما أنّ صمود سوريا أضحى ممكناً لارتباطها بمحور المقاومة، فإنّ العدو يعمل كمحور متشابك اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وثقافياً. وإن كان صوت المقاومة يخفت أحياناً لشدة صراخ المعارضين الليبراليين بحجة شعارات فضفاضة كحقوق الإنسان والحرّية والتي تمحي الأساس العسكري والاقتصادي المتشابك للصراع ضد الاستعمار، فلنأخذ العبرة من أفواه المجانين أمثال جون بولتون، مستشار الأمن القومي في إدارة ترامب، والذي وصف الصراع مع فنزويلا بمصطلحات اقتصادية واستعمارية صريحة وبدون دبلوماسية الحريات المدنية التي ترددها وزارة الخارجية كلما ذكرت دولاً كسوريا وفنزويلا، تماماً مثلما يردّدها يسار الهويات والفردانية الذي يدمّر اليسار الثوري من الداخل. فيصف بولتون اتخاذ دونالد ترامب تصادم الجيش الفنزويلي مع سفن استكشاف شركة النفط الأميركية Exxon Mobil في مياهها الإقليمية فرصة للتخلّص من مادورو، على حد تعبيره، كون فنزويلا «فعلياً جزء من الولايات المتحدة».

إنّ مناهضة السردية اليمينية للمستعمِر، كالسردية الصهيونية والمسيحية المتصهينة شيء، ومناهضة سردية المستعمِر جذرياً وبكل أقنعته شيء آخر. فالمناهضة الأولى قد تضع المقاومة في نفس الخندق مع «يسار» المستعمِر الذي لا يزال مستعبراً حتى ولو نادى بحقوق الإنسان والمثليّين وبتأميم الضمان الاجتماعي وما غير ذلك. في سياق موازٍ، إنّ مناهضة الاحتلال الإسرائيلي في الضفة والجولان (احتلال عام 1967) كما تراه سلطة أوسلو، ولطالما رآه تيار عزمي بشارة في الداخل الفلسطيني، شيء، ومناهضة الاحتلال الصهيوني والاستعمار في فلسطين والوطن العربي شيء آخر. فالسردية الأولى لا تقل خطورة عن سردية مؤسسات الاحتلال الصهيوني كونها مساراً مساوماً وتقود للتطبيع ولو بشكل غير مباشر، لا بل قد تشكّل خطورة أكبر لما تؤدّيه من زعزعة في المقاومة على نهج حصان طروادة فتغيّرها من الداخل كما تغيّر تعريف الاحتلال. وأثر مسار أوسلو على المقاومة الفلسطينية هو خير مثال على ذلك حيث حقق انتصاراً سياسياً وثقافياً للاحتلال لا يقل عن إنجاز احتلال الأرض ومواردها.

> **المقاومة في الجولان ضعفت: بين جهود الاحتلال لدفع المؤسسة الدينية باتجاه طائفي وترسيخ مؤسسات الكيان وبين منظمات مجتمع مدني مشبوهة**

كذلك في الجولان، تصارع مقاومة السوريين التي أثبتت جدارتها حتى الآن، على الأقل برفض الجنسية الإسرائيلية والمحافظة على المشروع الوطني السوري، لا تيار مؤسسات الاحتلال وشركاته التي لا تنام محاولة فرض نفسها فحسب، بل كذلك تيار المجتمع المدني الذي يخطف المقاومة وينهشها من الداخل بشعارات ليبرالية تبدو وكأنها موجهة ضد الاحتلال الصهيوني والدولة السورية في آن واحد، بيد أنها تصب في مصلحة الاحتلال والمشروع الغربي والإخواني في المنطقة بدون شك. تعاظمت قوة وتنسيق هذه المنظمات في الجولان منذ العدوان على سوريا، كما في الداخل الفلسطيني وأرجاء العالم العربي. خاطفة أنظار جيل الشباب بحلّة اليسار العالمي، مع العلم أن سرديّتها تتطابق حرفياً مع وزارة الخارجية الأميركية، وتمويلها يأتي معظمه من معقل «الإخوان» القطري في الدوحة ومن أوروبا والغرب. تشكّل هذه جبهةً أخرى من الجبهات المفتوحة على سوريا التي نشطت أخيراً في الجولان.

إنّ سعي الاحتلال الصهيوني، والاستعمار الفرنسي والبريطاني من قبله، للاستثمار في الطائفية لتقسيم المنطقة معلوم وموثّق، ولا تزال جهود تطويع السوريين في الجولان من خلال التشويه، ومن ثم تقوية هويتهم الدرزية، تتعاظم مع الوقت. وبالرغم من أن غياب مؤسسات الدولة السورية والمؤسسات الشعبية في الجولان جعل من المؤسسة الدينية المرجع الرئيسي للتنسيق وإدارة جهود المقاومة، ما يشكل نقطة ضعف تجاه الكيان، فإن مشروع «الدرزنة» الصهيوني لاحتواء السوريين في الجولان كدروز فلسطين كان واضحاً حتى للمراهقين من أهل الجولان دون أن يحتاج الأمر لعمق تحليلي أو «دكتوراه». وحتى مؤخراً، قاوم أهل الجولان المشاريع الاقتصادية للاحتلال على أرضهم مثلما أظهروا تمسكهم بهويتهم ودولتهم منذ بدء الاحتلال، فأطلقوا حملة ضد مشروع التوربينات الهوائية وضد شركة «إنيرجيكس» تحديداً، ولكن الحملة بقيت مشتتة وفشلت في إيقاف المشروع أو حتى إبطائه، فالمقاومة في الجولان ضعفت؛ بين جهود الاحتلال لدفع المؤسسة الدينية باتجاه طائفي وترسيخ مؤسسات الكيان، من جهة، وبين منظمات مجتمع مدني مشبوهة تفتقر لحاضنة شعبية وتتمتع بحاضنة غربية، من جهة أخرى، تقود الحملة ضد مشروع التوربينات. إن دور ديباجة حقوق الإنسان والديموقراطية في الحرب على سوريا عبر «المراصد» و«الخوذ البيضاء» أصبح واضحاً، وبالرغم من إنتاج المنظمات غير الربحية الممولة أساساً عبر ما يسمّى بمؤسسات المجتمع المدني الغربية (مثل الصندوق الأوروبي للديموقراطية European Endowment for Democracy، ومنظمات أخرى غربية معنية بنشر التعايش في «إسرائيل» ومنها تبشيرية) تقارير توثيقية مهمة ضد مشروع المراوح وبالتعاون مع ناشطين بيئيّين في الكيان، هنالك ما يكفي لخلق الشبهة والشك لدى المقاومة الشعبية في الجولان ضد هذه المنظمات، ما يجعلها غير مؤهّلة لقيادة حراك مقاوم موحّد. فمثلاً، عندما احتج أهالي الجولان على دعم جيش الاحتلال للإرهابيين في جنوب سوريا عبر استقبالهم لتلقي العلاج (ومؤازرة «فرونتير الأيانس إنترناشيونال»)، أدان «المرصد لحقوق الإنسان» عنف أهل الجولان (وياسم أهل الجولان!) ضد من وصفهم بـ«محاربين سوريين» في «الثورة» السورية. كما وأن المجموعة نفسها، القائمة على هذه المنظمة، تتعامل بشكل مباشر مع مراكز منخرطة بالحرب على سوريا، مثل ابن عزمي بشارة المدلل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة، ومركز حرمون للدراسات المعاصرة في إسطنبول التابع له. ولكنّ تناقض هذه الحفنة من «الناشطين» مع الموقف الشعبي لا يمنعهم من التحدّث باسم السوريين في الجولان تحت شعارات الديموقراطية، عن طريق إصدار تقارير، وأحياناً بتلبيس التصريحات والآراء بمصطلحات علمية كـ«إثنوغرافيا» منفّذة على الأغلب بين الحفنة نفسها (وبات أمراً معروفاً في أي بيئة أكاديمية تحترم نفسها استغلال هذه المنهجية على أيدي غير المؤهلين لغاية إنتاج محتوى يبدو كأنه بحثي).

وبذلك يبقى الحراك الشعبي ضد الاستيطان والمشاريع الاستثمارية للمستعمِر مُجهضاً وغير قادر لا على دمج الصف ولا على ربط الخيوط العديدة التي يلعب عليها الكيان والغرب وأتباعهم في المنطقة في الدوحة وإسطنبول. فبالرغم من أن مشروع توربينات شركة «إينلايت» يفوق حجمه بكثير مشروع شركة «إنيرجيكس»، فهو غائب كلياً عن الحراك المدني، علماً أن تمويله يتم بقيادة بنك «هبوعليم»، وهو البنك التجاري الوحيد في الجولان المحتل حيث تتم غالبية المعاملات المالية لسكان الجولان السوريين. هذا يُشير إلى استراتيجية هامة على حركة المقاومة تبنيها، ألا وهي استهداف الاستثمارات الغربية المستعمرة عن طريق ضرب المستثمرين لا المنتجات فقط، خاصة في زمن النيو - ليبرالية التي جعلت للمستثمرين اليد العليا في إدارة الشركات بدلاً من المديرين المهنيّين، ومن أداء سوق البورصة المؤشر الأهم لصحة الشركات، والذي بدوره مرتبط بسمعتهم. ولكن هذا المنهج يبقى بعيد المنال طالما الصراع في منطقتنا يُحرَف عن مسار العلمانية الاشتراكية لصالح صراع الهويات والحريات المدنية حصرياً. كأن السوري يستطيع أن يكون حرّاً إن كانت سوريا مُستعمرة!

مختار...

البلاد | ملف | وجه الجولان الجديد

الجولان في التاريخ
هذه الأرض تَعرفنا وتنكِرهم

صادق القضماني

هضبة الجولان، هي جزء من الدولة السورية. تتجاوز مساحتها الـ1860 كلم مربّعاً، وتحوي 164 قرية و146 مزرعة، وقع منها تحت الاحتلال 137 قرية و112 مزرعة، إضافة إلى مدينة القنيطرة المحرّرة عام 1973. إبّان حرب عام 1967، دمّر العدو الصهيوني 131 قرية و112 مزرعة ومدينتَين، كما احتلّ نحو ثلثَي مساحة الهضبة، لتبقى ستّ قرى تحت الاحتلال، وهي مجدل شمس، مسعدة، بقعاثا، عين قنية، الغجر، سحيتا، علماً أن عدد سكّانها في تلك الفترة قُدّر بنحو ثمانية آلاف نسمة، فيما يتجاوز عددهم حالياً (2022) الـ24 ألف نسمة. كما قُدّر عدد سكّان الجولان كلّه آنذاك بنحو 154 ألف نسمة، نزح غالبيّتهم بسبب تأثيرات العدوان، ليبلغ راهناً أكثر من 800 ألف نسمة موزّعين على مختلف المدن السورية.

الجولان في التاريخ

كان العرب يطلقون اسم الجولان على جبل في بلاد الشام، يمثّل جزءاً من إمارة الغساسنة العرب الذين حكموا جنوب سوريا، ولهم الكثير من الآثار الدالّة على ذلك. ويقول مؤرّخون إن «الجولان» تعني الطواف، حيث كانت الماشية تطوف الجبل من دون توقّف، فيما يقول آخرون إن الاسم يتحدّر من «جال»، نسبة إلى كثرة الخيول والجيوش العربية والرومانية والبيزنطية التي جالت في معارك اليرموك التي وقعت على تلك الأرض. وبحسب كتابات أخرى، فإن ذكر الجولان أتى أيضاً في العصر الجاهلي، وتحديداً في أشعار الأعرب، سواء كانت مرتبطة بدمشق أو من دونها.

سكّن الإنسان الجولان منذ القِدَم، وتعاقبت على هذه المنطقة حضارات مختلفة (الكنعانية، الآرامية، الإسلامية)، وهو ما يظهر في تسميات أماكن كثيرة فيها، منها:

خَرمون: كلمة آرامية تُطلَق على جبل الشيخ، وتعني المقدّس.

بقعاثا: تعني بالآرامية البقعة المنبسطة من الأرض.

فَجْدَل: كلمة كنعانية تعني البرج أو القلعة.

الحمة: تعني النبع الحار.

فيق: بالكنعانية أفيق، وتعني القوّة.

أمّا بانياس فيقوم في جوارها تل القاضي (دان)، وهي لايشّ الكنعانية. والأرجح أن بانياس كانت عاصمة لمملكة آرامية هي بيت رحوب، وارتبطت بالكنعانيين والأموريين ثم الآراميين. وفي «دان» آثار معبد الإله حدد الآرامي. كما ذُكرت فيق في كتب التاريخ، وتحدّث الجغرافيون الإغريق والعرب عن أهمّيتها الاستراتيجية.

على أنه لم يَرد في كتب المؤرّخين أيّ توثيق يشير إلى حقبة بهودية حكمت المنطقة ومنها الجولان. ولذا، عمد الاحتلال إلى محو قرى ومدن ليزرع مكانها مستوطنات، بل نسخ أسماء بعض المدن والقرى وحوّلها إلى أسماء لمستوطناته باللغة العبرية، كما أطلق أسماء جديدة على قرى لها جذر تاريخي ومسجّلة رسمياً في سجلّات الدولة السورية ما قبل الاحتلال، وصولاً إلى استحداثه في السنوات الأخيرة مستوطنة جديدة باسم «ترامب» (نسبةً إلى الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب)، تثبيتاً لشراكة واشنطن الفعلية في الاحتلال وتزوير التاريخ.

الجولان في غمرة الحرب السورية

في تصريح لبشار الجعفري في عام 2020، وكان حينها مندوب سوريا الدائم لدى الأمم المتحدة، قال إن «النظام التركي يحتل أراضي في سوريا تعادل 4 مرات مساحة الجولان المحتلّ». إشارة الجعفري تعني أمرين: الأوّل، التأكيد على فكرة الاحتلال. والثاني، مرجعية أرض الجولان في قياس الخسارات، واستذكارها حتى في الوقت الذي فقدت فيه الدولة السيادة على مساحات واسعة من أرضها، أضعاف ما استولت عليه تل أبيب منذ عام1967. إلا أن الحرب التي استنزفت الدولة السورية، واستهدفت سلاح المقاومة ومشروعها، قد أفسحت المجال لإسرائيل لكي تتجاوز احتلال الأرض السورية (بحسب تعريف الأمم المتحدة)، ولأن تتجاهل بالكامل خطاب الشرعة الدولية والبروتوكولات الدبلوماسية والنصوص القانونية. هنا، أطلقت إسرائيل العنان لبروباغاندا من نمط خاص خلال العقد الماضي، موجّهة إلى الغرب ومراكز المال والأعمال، قدّمت بها نفسها كنموذج دولة عصرية «ديموقراطية تزدهر وسط إقليم محموم. هذه «الدولة» تسعى في استثمار «أرضها» والتنقيب عن الطاقة كشأن الدول الطموحة والمتقدّمة، بل إنها فكّرت في مشاريع الطاقة البديلة التي تراعي البيئة وتحارب الاحتباس الحراري - مركز الاهتمام الجديد في العالم.

إذاً، التفتت إسرائيل بجدّية أكبر إلى الجولان، ومخطّط من يعتقد أن تحكومة بنيامين نتنياهو وحدها هي من سعت في إحراز رغبة في تفاقم خسائرها وانكسار المزيد من شوكتها. قد تكون أسرة أرض الجولان من أثمان هذا كلّه، الأرض التي ظلّت منذ احتلالها غير جاذبة للاستيطان المنشود، خلافاً للضفة، حتى قامت الحرب على سوريا، وهنا كان لإسرائيل كلام آخر وفعلٌ ماديٌّ على الأرض.

الجولان في غمرة الحرب السورية

في تصريح لبشار الجعفري في عام 2020، وكان حينها مندوب سوريا الدائم لدى الأمم المتحدة، قال إن «النظام التركي يحتل أراضي في سوريا تعادل 4 مرات مساحة الجولان المحتلّ». إشارة الجعفري تعني أمرين: الأوّل، التأكيد على فكرة الاحتلال. والثاني، مرجعية أرض الجولان في قياس الخسارات، واستذكارها حتى في الوقت الذي فقدت فيه الدولة السيادة على مساحات واسعة من أرضها، أضعاف ما استولت عليه تل أبيب منذ عام1967. إلا أن الحرب التي استنزفت الدولة السورية، واستهدفت سلاح المقاومة ومشروعها، قد أفسحت المجال لإسرائيل لكي تتجاوز احتلال الأرض السورية (بحسب تعريف الأمم المتحدة)، ولأن تتجاهل بالكامل خطاب الشرعة الدولية والبروتوكولات الدبلوماسية والنصوص القانونية. هنا، أطلقت إسرائيل العنان لبروباغاندا من نمط خاص خلال العقد الماضي، موجّهة إلى الغرب ومراكز المال والأعمال، قدّمت بها نفسها كنموذج دولة عصرية «ديموقراطية تزدهر وسط إقليم محموم. هذه «الدولة» تسعى في استثمار «أرضها» والتنقيب عن الطاقة كشأن الدول الطموحة والمتقدّمة، بل إنها فكّرت في مشاريع الطاقة البديلة التي تراعي البيئة وتحارب الاحتباس الحراري - مركز الاهتمام الجديد في العالم.

إذاً، التفتت إسرائيل بجدّية أكبر إلى الجولان، ومخطّط من يعتقد أن تحكومة بنيامين نتنياهو وحدها هي من سعت في إحراز

ومن بين المناطق المُحوَّرة أسماؤها: قصرين، كبرى مدن الجولان، والتي أطلق عليها اسم «كتسرين».

كفر حارب التي تحوّلت إلى «كفار حاروب».

عين الزيوان التي سُمّيت «عين زيفان». جباثة الزيت التي بات اسمها «نفي أتيف».

والمنصورة التي أطلق عليها «مروم غولان»

تاريخ الاستيطان بعد نكسة 1967

بُنيت أوّل مستوطنة في 14 تموز 1967 على أنقاض قرية باب الهوى المدمّرة في شمالي الجولان، وسُمّيت «مروم جولان» وتعني مرتفع جولان. ويقع اليوم تحت الاحتلال 1200 كلم مربع من الهضبة، ويبلغ عدد المستوطنات الإسرائيلية فيها 37 مستوطنة، منها مدينة واحدة تُدعى «كتسرين»، فيما البقيّة موزّعة بالشكل التالي: 11 «كيبوتس» (مستوطنة زراعية جماعية) ، 17 «موشاب» (مستوطنة زراعية تعاونية)، قريتان سياحيتان، ثلاثة مراكز للخدمات، وأربعة مراكز استيطانية للخدمات.

والتجمّعات المشار إليها هي: «أفني إيتان» على أنقاض قرية جداعة، «أفيك» بالقرب من البلدة السورية المدمّرة فيق، «آل - روم» على أنقاض قرية عين الحجل، «أنيعام» على أنقاض قرية العمودية بالقرب من وادي اليعربية، «أورطال» على أنقاض قرية الدلوة، «إيليعاد» على أنقاض قرية العال، «بني يهودا» على أنقاض قرية سكوفيا، «خسفين» على أنقاض قرية خسفين، «رامات مغشيميم» على مقربة من قرية سكوفيا، «رامـوت» على أنقاض قرية شفيق، «سنبر» (كفار شاريت) بين تل الفخار وتل العزيزيات وبلدة بانياس، «شاعل» على أنقاض قرية قرحتا، «عين زيفان» على أنقاض قرية عين الزيوان، غفعات يواف بالقرب من قرية سكوفيا، كشور بالقرب من قرية العديسة، «كتسرين» أكبر مستوطنات الجولان والتي بُنيت على أنقاض قرية قصرين، «كفار حاروف» على أنقاض قرية كفر حارب، «كشت» بالقرب من قرية الخشنية، «معاليه جمال» بالقرب من قرية جملا، «مفوحمه» على أنقاض مزرعة عز الدين، «مروم هغولان» على أنقاض قرية باب الهوى، «ناطور» بالقرب من قرية أم القناطر، «نفيه أطيف» (رامات شالوم) على أنقاض قرية جباثا الزيت، «نوف» على أنقاض قرية ناب، «مبئوت غولان» شمالي بلدة فيق، «هار أودم» على أنقاض كريز الواوي بالقرب من تل الأحمر، «يوناتان» على أنقاض قرية تنورية، «الوني هباشان» على أنقاض قرية الجويزة، «كناف» على أنقاض قرية كنف، «نمرود» التي أقيمت جنوب شرق مجدل شمس، «حد نيس» بالقرب من قرية الدردارة وتل الشعير، «كدمات تسفي» على أنقاض قرية عين السمسم، «كيلع الون» بالقرب من قرية القلع، «ميتسر» على أنقاض قرية الباقوصة.

تنبسط هذه المستوطنات على مساحة تُقدَّر بـ246 كلم مربع، وهو ما يعادل 21% من إجمال المساحة المحتلّة من الجولان. وتبلغ المساحة الزراعية منها 80 كلم2، وتشمل محاصيل موسمية وشبه استوائية وبساتين حمضيات وكروم عنب وخضراوات للفروع الصناعية المختلفة وغيرها. وهي تمتدّ من أقصى الشمال حيث تكثر الثلوج، إلى الجنوب حيث بحيرة طبريا بارتفاع 220 متراً عن سطح البحر، ومنطقة الحمة الشهيرة بينابيعها الحارّة والدافئة، ما يولّد تنوّعاً زراعياً مميّزاً نتيجة تلك الفوارق. كذلك، يبسط المستوطنون سيطرتهم على ما يزيد عن 500 كلم2 من الأراضي المخصّصة للمراعي.

مخطّط مضاعفة الاستيطان

في الشهر الأخير من العام الماضي، أقرّ رئيس حكومة العدو، نفتالي بينت، مخطّطاً لمضاعفة الاستيطان في هضبة الجولان، و«تحسين جودة الحياة وتطوير الاقتصاد في المناطق». وينصّ المخطط الذي شاركت في إعداده وزارات القضاء والإسكان والداخلية والمواصلات والسياحة والاقتصاد والصناعة والزراعة وتطوير القرى والتربية والتعليم والحفاظ على البيئة، وما تسمّى «دائرة أراضي إسرائيل»، على ما يلي:

- استثمار 576 مليون شيكل لصالح التخطيط والإسكان في شقق، على النحو الآتي:

- إضافة مستقبلية بحوالى 7,300 وحدة سكنية خلال خمس سنوات، بحسب التقسيم التالي: 3,300 وحدة لـ«كتسرين» و 4,065 لـ«المجلس الإقليمي» في الجولان، وذلك بهدف مضاعفة عدد السكان بـ23000 مستوطن.

- توسيع مستوطنات «المجلس الإقليمي»، بواسطة استيعاب مجموعات سكّان جديدة، بالإضافة إلى التحفيز الاقتصادي لكلّ المستوطنات التي ستستوعب السكّان الجدد.

- إقامة مستوطنَتَين جديدتَين (أسيف ومطر)، تحوي كلّ منهما 2000 وحدة سكنية.

- المصادقة على مخطّط شامل لمستوطنة «كتسرين»، وتطبيق برامج لإنشاء «مناطق النار» وإزالة الألغام.

● استثمار 160 مليون شيكل في تحسين جودة الحياة:

- الاستثمار في البنى التحتية للمواصلات التي تربط الجولان بمركز الكيان، وتلك التي تربط بين «كتسرين» ومستوطنات «المجلس الإقليمي».

- تطوير نظام طبّ الطوارئ وتوسيع أنشطة المركز الطبّي السابق في «كتسرين».

- تطبيق برنامج «أودم» لتطوير قيادة تكنولوجية وأمنية في «كتسرين».

- استثمار مكثّف في التعليم والتعليم اللامنهجي (غير الرسمي).

● استثمار 162 مليون شيكل في التطوير الاقتصادي المحلّي والإقليمي:

-تطوير بنى تحتية للسياحة، وإقرار منح للمبادرين في مجال الفندقة، وتسويق وتطوير وحدات للفنادق الجديدة.

-تطوير مجال التكنولوجيا الزراعية بهدف جعل الجولان «عاصمة تقنيات المناخ»، وتعزيز الاستثمارات المؤثّرة، وربط تجمّع التكنولوجيا الغذائية في مستوطنة «كريات شمونة» المقامة على قرية المخالصة المهجّرة عام 1948، بهضبة الجولان المحتلّ.

- تسويق مجمّعات تدمج الصناعة والزراعة.

● استثمار غير مسبوق في استحداث 2000 وظيفة في كلّ من المجالات التالية: التكنولوجيا، الفندقة، الصناعة الزراعية، المناطق التجارية وغيرها.

● الجولان المحتلّ كعاصمة لتقنيات الطاقة المتجدّدة:

- استثمار مئات الملايين في مشروع الطاقة الشمسية «PPP»، بما في ذلك التخزين في منطقة تبلغ مساحتها حوالى 4000 دونم.

- تطوير فولتات زراعية بمساحة 600 دونم.

- مناقصات لمشاريع فولتات زراعية تُقدَّر بحجم 2000 دونم

في غفلة عن الذاكرة

أميمة البحري

في مستهلّ الحديث عن الجولان، لا مناص من استحضار واحد من التأثيرات السلبية التي خلّفتها الثقافة السياسية، وكرّستها تيارات انعزالية وقُطرية»، «فلسطنة» الصراع مع العدو. الكلام ليس عن «فلسطين» الهوية الكفاحية التي استقطبت الثائرين من اليابان إلى نيكاراغوا للالتحاق بمعسكرات الفدائيين، بل «فلسطين» السردية المقطوعة، التي حصرت «الصهيوني» في الوعي العربي باعتباره عدوّاً للفلسطينيين فحسب. من هنا نفهم كيف كانت «عناقيد الغضب» الإسرائيلية تسفك دماء اللبنانيين في قانا، فيما جوقة السلطة تحتفل بافتتاح مقرّات لها في نابلس ورام الله وأريحا إثر أوسلو. وبحسب كتابات أخرى، فإن ذكر الجولان أتى أيضاً في العصر الجاهلي، وتحديداً في أشعار الأعرب، سواء كانت مرتبطة بدمشق أو من دونها.

سكّن الإنسان الجولان منذ القِدَم، وتعاقبت على هذه المنطقة حضارات مختلفة (الكنعانية، الآرامية، الإسلامية)، وهو ما يظهر في تسميات أماكن كثيرة فيها، منها:

خَرمون: كلمة آرامية تُطلَق على جبل الشيخ، وتعني المقدّس.

بقعاثا: تعني بالآرامية البقعة المنبسطة من الأرض.

فَجْدَل: كلمة كنعانية تعني البرج أو القلعة.

الحمة: تعني النبع الحار.

فيق: بالكنعانية أفيق، وتعني القوّة.

أمّا بانياس فيقوم في جوارها تل القاضي (دان)، وهي لايشّ الكنعانية. والأرجح أن بانياس كانت عاصمة لمملكة آرامية هي بيت رحوب، وارتبطت بالكنعانيين والأموريين ثم الآراميين. وفي «دان» آثار معبد الإله حدد الآرامي. كما ذُكرت فيق في كتب التاريخ، وتحدّث الجغرافيون الإغريق والعرب عن أهمّيتها الاستراتيجية.

على أنه لم يَرد في كتب المؤرّخين أيّ توثيق يشير إلى حقبة يهودية حكمت المنطقة ومنها الجولان. ولذا، عمد الاحتلال إلى محو قرى ومدن ليزرع مكانها مستوطنات، بل نسخ أسماء بعض المدن والقرى وحوّلها إلى أسماء لمستوطناته باللغة العبرية، كما أطلق أسماء جديدة على قرى لها جذر تاريخي ومسجّلة رسمياً في سجلّات الدولة السورية ما قبل الاحتلال، وصولاً إلى استحداثه في السنوات الأخيرة مستوطنة جديدة باسم «ترامب» (نسبةً إلى الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب)، تثبيتاً لشراكة واشنطن الفعلية في الاحتلال وتزوير التاريخ.

عقدة الديموغرافيا

بعد 40 عاماً من الاحتلال، لم تسيطر إسرائيل بالعنى الديموغرافي على أرض الجولان ذي الغالبية العربية (80% من أهل الجولان عرب والباقون أرمن وداغستان وشيشان وتركمان)، وهذه لعنتها في كلّ الأراضي التي احتلتها عام 1967 وكثّفت فيها نشاطها الاستيطاني لتتجاوز التفوّق البشري العربي فيها. ولهذا لم تتمكّن، رغم إنشاء 45 مستوطنة في الجولان، من إقناع أعداد من الإسرائيليين بالانتقال للسكن فيها. وهو استيطان يمثّل لإسرائيل مكسباً عسكرياً واستراتيجياً، و«مغارة علي بابا» لنهب الموارد، تملأها الطاقة والشمس والمياه. تمنّع الإسرائيليين الضمني عن الانتقال إلى الجولان مفهومٌ، كونه منطقة عسكرية خطرة وغير مريحة لتكوين أسرة مستقرة، خاصة للمهاجرين الجدد، فيما نسبة احتمال اندلاع حرب مع عدو غير مأمون عالية. ومن ناحية أخرى، هناك قناعة داخلية أنها أرض سورية ولا بد أن يستعيدها أهلها ذات يوم وسيتم حينها التخلّي عن الأملاك الإسرائيلية فيها.

بالعودة إلى قانون مرتفعات الجولان، الذي حظي بموافقة 63 عضواً في الكنيست مقابل 21 معترضاً عام 1981، صرّح رئيس الوزراء في حينها، مناحيم بيغن، أن السبب في فرض القانون الإسرائيلي بعد 14 سنة من احتلال الجولان يتركّز فيما سمّاه «عداء» سوريا العنيد لإسرائيل»، ونشر الصواريخ السورية قبل ذلك بفترة على الأراضي اللبنانية. الأمر الذي اعتبرته تل أبيب مستفزّاً. وذكّر بيغن أعضاء حكومته برفض الرئيس السوري حافظ الأسد أي علاقات مع إسرائيل، حتى لو اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بها (وكان هذا قبل 12 عاماً من أوسلو).

زمن «الصيدة»

إن جاز لقطر والسعودية والإمارات اعتبار صلب الحديث عن الجولان الآن يتركز في نقطة في هذا الشأن: ففي تصريحات مهمّة لرئيس الوزراء الحالي نفتالي بينيت، في تشرين الأوّل الماضي، ضمن فعاليات «مؤتمر التنمية الاقتصادية والإقليمية لمرتفعات الجولان» (برعاية جريدة «مكور ريشون» المؤيّدة لتطلعات اليمين الإسرائيلي، والتي تنشر في صفحاتها بشكل أسبوعي ملحقاً لجريدة «هتسوفيه» التابعة لحزب المتدينين الوطنيين «مفدال» - بدأ الحرب بإصدارها عام1947)، أشار بينيت إلى تنافس شديد داخل الحكومة الإسرائيلية بخصوص إعمار مرتفعات الجولان، وذكر بالاسم أبطال هذا التنافس: وزير المالية أفيغدور ليبرمان، ووزيرة الداخلية أيليت شاكيد، ووزير الإعمار والإسكان زئيف إلكين، ووزير الخارجية يائير لابيد، ووزير الدفاع بيني غانتس، ووزير العدل جدعون ساعر، ورئيس لجنة الخارجية والأمن في الكنيست تسفي هاوزر. نحن نتحدّث عن شخصيات طموحة تسعى لرئاسة الكابينيت إن سنحت لها الفرصة، ولكل منها خطة وتمويل ومرجعية سياسية تمثّل جمهوراً إسرائيلياً يراقب ويدعم ويطمح لممثّلين أقوياء قادرين على تحقيق مصالح واسعة في مجتمع اتجه للتديّن ولفظ خطاب السلام التقليدي، حيث يقدّم الطرف الإسرائيلي تنازلات شكلية، على حساب سلام جديد أكثر مجانية، ومربح مع دول ثرية كدول الخليج.

عقدة الديموغرافيا

بعد 40 عاماً من الاحتلال، لم تسيطر إسرائيل بالمعنى الديموغرافي على أرض الجولان ذي الغالبية العربية (80% من أهل الجولان عرب والباقون أرمن وداغستان وشيشان وتركمان)، وهذه لعنتها في كلّ الأراضي التي احتلتها عام 1967 وكثّفت فيها نشاطها الاستيطاني لتتجاوز التفوّق البشري العربي فيها. ولهذا لم تتمكّن، رغم إنشاء 45 مستوطنة في الجولان، من إقناع أعداد من الإسرائيليين بالانتقال للسكن فيها. وهو استيطان يمثّل لإسرائيل مكسباً عسكرياً واستراتيجياً، و«مغارة علي بابا» لنهب الموارد، تملأها الطاقة والشمس والمياه. تمنّع الإسرائيليين الضمني عن الانتقال إلى الجولان مفهومٌ، كونه منطقة عسكرية خطرة وغير مريحة لتكوين أسرة مستقرة، خاصة للمهاجرين الجدد، فيما نسبة احتمال اندلاع حرب مع عدو غير مأمون عالية. ومن ناحية أخرى، هناك قناعة داخلية أنها أرض سورية ولا بد أن يستعيدها أهلها ذات يوم وسيتم حينها التخلّي عن الأملاك الإسرائيلية فيها.

بالعودة إلى قانون مرتفعات الجولان، الذي حظي بموافقة 63 عضواً في الكنيست مقابل 21 معترضاً عام 1981، صرّح رئيس الوزراء في حينها، مناحيم بيغن، أن السبب في فرض القانون الإسرائيلي بعد 14 سنة من احتلال الجولان يتركّز فيما سمّاه «عداء» سوريا العنيد لإسرائيل»، ونشر الصواريخ السورية قبل ذلك بفترة على الأراضي اللبنانية. الأمر الذي اعتبرته تل أبيب مستفزّاً. وذكّر بيغن أعضاء حكومته برفض الرئيس السوري حافظ الأسد أي علاقات مع إسرائيل، حتى لو اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بها (وكان هذا قبل 12 عاماً من أوسلو).

زمن «الصيدة»

إن جاز لقطر والسعودية والإمارات اعتبار صلب الحديث عن الجولان الآن يتركز في تحركات إسرائيلي السريعة منذ بداية الأحداث في سوريا، إذ كثّفت نشاطاتها في الجولان، وحتى في الضفة، بينما غاب الجمهور العربي، صاحب القضية، عن الحدث، وتسلّح بالمراهنة على خطاب «الذاكرة الصنمية» الذي يقتنص الفرصة. وما فعلته إسرائيل، على مدار سنوات تلت أوسلو في الضفة الغربية والقدس، كتثبيت الاستيطان عبر مصادرة الأراضي وبناء بؤر استيطانية (بالتزامن مع حضور جولات المفاوضات التي استمات عليها المفاوضون الفلسطينيون)، قد كرّرته خلال مدة زمنية أقصر بكثير في الجولان المحتلّ، ومن دون الحاجة إلى الجلوس مع السوريين. تعلم إسرائيل جيّداً أن أي إدانة لن تزحزح حجراً في بؤرة استيطانية، ولن تفكّك برغياً واحداً في مراوح التوربينات الخاصة بمشاريع توليد الكهرباء، وسيعتاد الجميع على الوضع الجديد: المجتمع الإسرائيلي، والعرب، والسوريون أنفسهم. أبعد من ذلك، يمكن القول إن التماهي مع الأمر الواقع سيظهر بشكل أكبر في منظمات المجتمع المدني التي سيزداد عددها وتزدهر «تجارتها» وهي تقتات على استمرار المعضلة وكتابة «البروبوزلات» لإصدار تقاريرها الحقوقية المشروطة من الممّول، فيما خيارها بالانحياز ضد إسرائيل مانع ومرارب ولا يعدو كونه حبراً على ورق وموادّ ارشفة غير فعّالة.

صلب الحديث عن الجولان الآن يتركز في أن حربهم على سوريا، والدم الذي سال فيها، كان بمثابة «صيدة» (على حدّ تعبير وزير قطري سابق)، فإنّ إسرائيل لم تكن عضواً في هذا الرَكب فحسب، بل كانت هي من كسب الجائزة الكبرى، ومن عرف أن يقتنص الفرصة. وما فعلته إسرائيل، على مدار سنوات تلت أوسلو في الضفة الغربية والقدس، كتثبيت الاستيطان عبر مصادرة الأراضي وبناء بؤر استيطانية (بالتزامن مع حضور جولات المفاوضات التي استمات عليها المفاوضون الفلسطينيون)، قد كرّرته خلال مدة زمنية أقصر بكثير في الجولان المحتلّ، ومن دون الحاجة إلى الجلوس مع السوريين. تعلم إسرائيل جيّداً أن أي إدانة لن تزحزح حجراً في بؤرة استيطانية، ولن تفكّك برغياً واحداً في مراوح التوربينات الخاصة بمشاريع توليد الكهرباء، وسيعتاد الجميع على الوضع الجديد: المجتمع الإسرائيلي، والعرب، والسوريون أنفسهم. أبعد من ذلك، يمكن القول إن التماهي مع الأمر الواقع سيظهر بشكل أكبر في منظمات المجتمع المدني التي سيزداد عددها وتزدهر «تجارتها» وهي تقتات على استمرار المعضلة وكتابة «البروبوزلات» لإصدار تقاريرها الحقوقية المشروطة من الممّول، فيما خيارها بالانحياز ضد إسرائيل مانع ومرارب ولا يعدو كونه حبراً على ورق وموادّ ارشفة غير فعّالة.

أن ينك «هبوعليم»، أكبر وأضخم البنوك الإسرائيلية التي تقود المؤسسات المالية صاحبة مشاريع الاستيطان والتنقيب عن النفط وإنتاج الطاقة من الرياح في الجولان، هو الآن شريك سوقي أبو ظبي العالمي ودبي للتعاون في مجال التكنولوجيا المالية، وكذلك في البناء والصناعة والنقل الذكي، والطاقة الخضراء.

أبعد من ذلك، من يعتقد أن كل ما ذُكر مجرّد طروحات ومخاوف لن تساندها الشرعية الدولية فيتائلّ هامشاً صغيراً في تقرير المفوضية السامية لحقوق الإنسان (OHCHR) رقم A/HRC/43/71، والصادر في 20 شباط 2020، وهي الهيئة التي تقدّم تصنيفاً للشركات المتورّطة في أنشطة في المستوطنات «اللاشرعية». ففي التقرير المذكور تم استثناء مستوطنات الجولان من الحظر الأممي، إذ لم تعد الشركات المستثمرة هناك مخالفةً لتصنيفات الأمم المتحدة بسبب مخالفتها للقانون الدولي. وحتى إن خضعت هذه الصناديق لتصنيفات المفوضية كـ«صندوق الثروة النروجي» المصنّف أنه «يثير مخاوف كثيرة» بسبب عملياته في الأراضي الفلسطينية. إلا أن قيمة استثماراته في فلسطين المحتلة وصلت إلى نحو 1,3 مليار دولار عبر 81 شركة إسرائيلية في نهاية عام 2020. بحسب تقرير لوكالة «رويترز»، أي أكثر من ضعف ما كانت عليه قبل عقد من الزمن (أي قبل الحرب في سوريا).

وأثناء العرض مواد فيديو عن الجولان وجدنا مغنياً إسرائيلياً من أصول يمنية، اسمه «صهيون جولان»، من الواضح أنه مغنٍّ شعبي لا يزال يؤدّي أغاني تراثية بالعربية واللّهجة اليمنية. الموضوع أكبر من أن تستضيف الإمارات العربية، التي وقّعت اتفاق «إبراهيم» مع تل أبيب، المغنّي جولان هذا ليعيد غناء «أنا يمني» خلال فعاليات «القرية العالمية» في دبي، وتحديداً في الجناح اليمني. إن أبو ظبي تفرض رؤيتها الخاصة للعروبة عبر شبكات وأرصدة بنوك خُصصت للهدف الذي لا يرى حق العروبة لسوريي الجولان المحتلّ. على العكس، يساهم محمد بن زايد في أسرلة أرضهم وسرقتها وتزوير تاريخهم، ولن يمانع أن يستضيفهم بدون تأشيرة لأبعد من ذلك، من يعتقد أن كل ما ذُكر مجرّد طروحات ومخاوف لن تساندها الشرعية الدولية فيتائلّ هامشاً صغيراً في تقرير المفوضية السامية لحقوق الإنسان (OHCHR) رقم A/HRC/43/71، والصادر في 20 شباط 2020، وهي الهيئة التي تقدّم تصنيفاً للشركات المتورّطة في أنشطة في المستوطنات «اللاشرعية». ففي التقرير المذكور تم استثناء مستوطنات الجولان من الحظر الأممي، إذ لم تعد الشركات المستثمرة هناك مخالفةً لتصنيفات الأمم المتحدة بسبب مخالفتها للقانون الدولي. وحتى إن خضعت هذه الصناديق لتصنيفات المفوضية كـ«صندوق الثروة النروجي» المصنّف أنه «يثير مخاوف كثيرة» بسبب عملياته في الأراضي الفلسطينية. إلا أن قيمة استثماراته في فلسطين المحتلة وصلت إلى نحو 1,3 مليار دولار عبر 81 شركة إسرائيلية في نهاية عام 2020. بحسب تقرير لوكالة «رويترز»، أي أكثر من ضعف ما كانت عليه قبل عقد من الزمن (أي قبل الحرب في سوريا).

وأثناء العرض مواد فيديو عن الجولان وجدنا مغنياً إسرائيلياً من أصول يمنية، اسمه «صهيون جولان»، من الواضح أنه مغنٍّ شعبي لا يزال يؤدّي أغاني تراثية بالعربية واللّهجة اليمنية. الموضوع أكبر من أن تستضيف الإمارات العربية، التي وقّعت اتفاق «إبراهيم» مع تل أبيب، المغنّي جولان هذا ليعيد غناء «أنا يمني» خلال فعاليات «القرية العالمية» في دبي، وتحديداً في الجناح اليمني. إن أبو ظبي تفرض رؤيتها الخاصة للعروبة عبر شبكات وأرصدة بنوك خُصصت للهدف الذي لا يرى حق العروبة لسوريي الجولان المحتلّ. على العكس، يساهم محمد بن زايد في أسرلة أرضهم وسرقتها وتزوير تاريخهم، ولن يمانع أن يستضيفهم بدون تأشيرة لأبعد من ذلك، من يعتقد أن كل ما ذُكر مجرّد طروحات ومخاوف لن تساندها

> **في الشعار الإسرائيلي «الشعب مع مرتفعات الجولان» نصف الحقيقة، أمّا النصف الآخر فهو يجمع كل من يدعم المشروع**

الشرعية الدولية فيتائلّ هامشاً صغيراً في تقرير المفوضية السامية لحقوق الإنسان (OHCHR) رقم A/HRC/43/71، والصادر في 20 شباط 2020، وهي الهيئة التي تقدّم تصنيفاً للشركات المتورّطة في أنشطة في المستوطنات «اللاشرعية». ففي التقرير المذكور تم استثناء مستوطنات الجولان من الحظر الأممي، إذ لم تعد الشركات المستثمرة هناك مخالفةً لتصنيفات الأمم المتحدة بسبب مخالفتها للقانون الدولي. وحتى إن خضعت هذه الصناديق لتصنيفات المفوضية كـ«صندوق الثروة النروجي» المصنّف أنه «يثير مخاوف كثيرة» بسبب عملياته في الأراضي الفلسطينية. إلا أن قيمة استثماراته في فلسطين المحتلة وصلت إلى نحو 1,3 مليار دولار عبر 81 شركة إسرائيلية في نهاية عام 2020. بحسب تقرير لوكالة «رويترز»، أي أكثر من ضعف ما كانت عليه قبل عقد من الزمن (أي قبل الحرب في سوريا).

وأثناء العرض مواد فيديو عن الجولان وجدنا مغنياً إسرائيلياً من أصول يمنية، اسمه «صهيون جولان»، من الواضح أنه مغنٍّ شعبي لا يزال يؤدّي أغاني تراثية بالعربية واللّهجة اليمنية. الموضوع أكبر من أن تستضيف الإمارات العربية، التي وقّعت اتفاق «إبراهيم» مع تل أبيب، المغنّي جولان هذا ليعيد غناء «أنا يمني» خلال فعاليات «القرية العالمية» في دبي، وتحديداً في الجناح اليمني. إن أبو ظبي تفرض رؤيتها الخاصة للعروبة عبر شبكات وأرصدة بنوك خُصصت للهدف الذي لا يرى حق العروبة لسوريي الجولان المحتلّ. على العكس، يساهم محمد بن زايد في أسرلة أرضهم وسرقتها وتزوير تاريخهم، ولن يمانع أن يستضيفهم بدون تأشيرة لأبعد من ذلك، من يعتقد أن كل ما ذُكر مجرّد طروحات ومخاوف لن تساندها

> **في الشعار الإسرائيلي «الشعب مع مرتفعات الجولان» نصف الحقيقة، أمّا النصف الآخر فهو يجمع كل من يدعم المشروع**

الشرعية الدولية فيتائلّ هامشاً صغيراً في تقرير المفوضية السامية لحقوق الإنسان (OHCHR) رقم A/HRC/43/71، والصادر في 20 شباط 2020، وهي الهيئة التي تقدّم تصنيفاً للشركات المتورّطة في أنشطة في المستوطنات «اللاشرعية». ففي التقرير المذكور تم استثناء مستوطنات الجولان من الحظر الأممي، إذ لم تعد الشركات المستثمرة هناك مخالفةً لتصنيفات الأمم المتحدة بسبب مخالفتها للقانون الدولي. وحتى إن خضعت هذه الصناديق لتصنيفات المفوضية كـ«صندوق الثروة النروجي» المصنّف أنه «يثير مخاوف كثيرة» بسبب عملياته في الأراضي الفلسطينية. إلا أن قيمة استثماراته في فلسطين المحتلة وصلت إلى نحو 1,3 مليار دولار عبر 81 شركة إسرائيلية في نهاية عام 2020. بحسب تقرير لوكالة «رويترز»، أي أكثر من ضعف ما كانت عليه قبل عقد من الزمن (أي قبل الحرب في سوريا).

وأثناء العرض مواد فيديو عن الجولان وجدنا مغنياً إسرائيلياً من أصول يمنية، اسمه «صهيون جولان»، من الواضح أنه مغنٍّ شعبي لا يزال يؤدّي أغاني تراثية بالعربية واللّهجة اليمنية. الموضوع أكبر من أن تستضيف الإمارات العربية، التي وقّعت اتفاق «إبراهيم» مع تل أبيب، المغنّي جولان هذا ليعيد غناء «أنا يمني» خلال فعاليات «القرية العالمية» في دبي، وتحديداً في الجناح اليمني. إن أبو ظبي تفرض رؤيتها الخاصة للعروبة عبر شبكات وأرصدة بنوك خُصصت للهدف الذي لا يرى حق العروبة لسوريي الجولان المحتلّ

الأخبار
al-akhbar
السبت 4 حزيران 2022 العدد 4645

صورة وخبر

كيف الحفاظ على الأوبرا في هذا الزمن، وهو الفنّ «النخبوي» الذي بات محصوراً بأقلّية معظمها من الكبار في السن؟ سؤال تصدّت له فرقة Fabrique Opera الفرنسية التي ترفع شعار «الأوبرا لكلّ الناس». بهدف جعل الأوبرا فناً قريباً من مختلف شرائح المجتمع، تستجلب الفرقة عادةً المئات من الفنانين الشباب من المدارس والمعاهد الموسيقية من أجل تقديم عروضها، آخرها أوبرا «روميو وجولييت» المقام حالياً في صالة «سوفّوم» في مدينة غرونوبل (أوليفر شاسينيول ـ أف ب)

المفكرة

دراكولا... القصة التي لم تُروَ

■ ضمن فعاليات «ربيع بيروت» المستمرّ حتى الغد، سيكون محبّو الرعب وعشّاق قصص مصّاصي الدماء المتسلسلة اليوم على موعد مع الفيلم البريطاني «دراكولا... الرواية المخفية» (Dracula: The Untold Story) على خشبة «مسرح المدينة». تبدأ أحداث الفيلم ليلة رأس السنة الجديدة عام 1965 في لندن. الجميع يحتفل ببداية عام جديد قبل منتصف الليل بقليل، تدخل شابة إلى مركز «شرطة ماريلبون» وتعترف بارتكاب جريمة قتل وحشية. تدّعي أنها مينا هاركر، آخر ناجية على قيد الحياة من المجموعة الجريئة التي شهدت مقتل الكونت دراكولا قبل سبعين عاماً. يتجسّد «دراكولا... القصة التي لم تروَ» على خشبة المسرح كرواية مُصوّرة حيّة مليئة بالغموض والإثارة، وهي نسخة جديدة تقشعرّ لها الأبدان من قصة مصّاصي الدماء القوطية الكلاسيكية التي يعتقد الجمهور أنه يعرفها جيداً. من خلال استخدام أحدث التقنيات الرقمية، يمكن للمشاهد الانخراط في المناخ القوطي المظلم بطاقة متجددة وببصيرة سياسية.

«دراكولا الرواية المخفية»: س: 21:00 مساء اليوم ـ «مسرح المدينة» (شارع الحمرا) ـ للاستعلام 01/753010

هدى بعلبكي: هديّة إلى لبنان

■ الأمل والسعادة والجمال تيمات تستكشفها التشكيلية هدى بعلبكي (الصورة) في معرضها الجديد «رحلة مواطن عالمي» الذي يُفتتح في العاشر من حزيران (يونيو) في «غاليري آرت أون 56» (الجميزة). وُلدت هدى بعلبكي في بيروت، وحصلت على شهادتها من «معهد الفنون الجميلة» من الجامعة اللبنانية عام 1995. في لوحاتها الغنية بالألوان، تعالج موضوع التأمل الذاتي وتُوجه إبداعها الفنيّ لتصوير مشاهد عند تقاطع الذاكرة مع الخيال. شاركت هدى في معارض فردية وجماعية عدة في لبنان والشرق الأوسط، وسبق أن فازت بالجائزة الأولى من «جمعية خريجي الحريري» لعامين متتاليين 2002 و 2003. عملت الرسامة عامين لإطلاق هذا المعرض الذي

يستمر حتى التاسع من تموز (يوليو). تقول إنّه هديتها لوطنها لبنان. تشكّل الطبيعة عنواناً بارزاً في لوحاتها، فيما تستحضر ما يحدث في البيئة المحيطة بها بأسلوب سريالي وتسقط عليها مأساة الإنسان مازجةً بين الواقع والخيال.

«رحلة مواطن عالمي»: بدءاً من 10 حزيران (يونيو) لغاية 9 تموز (يوليو) ـ «غاليري Art on 56th **(الجميزة) ـ للاستعلام 01/570331**

روسيا عبر نافذة القطار

■ «روسيا عبر نافذة القطار» هو مشروع مشترك للصور والفيديو بين شركة سكك الحديد الروسية والمصور الروسي المعروف أنطون لانج. تعتمد فكرة المشروع على تقديم صورة حديثة لروسيا كما يراها المصور وهو يسافر عبر المناطق الروسية مستخدماً القطار. يُعرض الفيلم الوثائقي مع ترجمة باللغة الإنكليزية اليوم السبت في «المركز الثقافي الروسي» في بيروت.

«روسيا عبر نافذة القطار»: س: 11:00 صباح اليوم السبت ـ «المركز الثقافي الروسي» (فردان ـ بيروت)- للاستعلام 01/790212

التاريخ الذي يكرّر نفسه!

■ كم مرة حاولنا تغيير واقع ما لا يروقنا وفشلنا؟ كم مرة جربنا تحويل طريق في اتجاه آخر واكتشفنا في النهاية أن النتيجة لم تتغير؟ فالتكرار عبر التاريخ يبدو كما لو أنه متلازمة قهرية.

مع مسرحية «كأنّ شيئاً لم يكن» التي تقيمها «جمعية سيناريو للفنون» يوم السبت 11 حزيران (يونيو) على خشبة مسرح «بيت الفن» في منطقة الميناء (طرابلس)، سوف نتابع عرضاً لأحداث محلية وعالمية تثبت لنا بأنّ التاريخ يُعيد نفسه في تأكيد لنظرية الفيلسوف نيتشه عن «العود الأبدي» التي ترى أنّ الكون وكل الوجود والطاقة تتكرر، وسوف تواصل التكرار، في شكل مماثل لذاته وبعدد لا نهائي من المرات عبر زمان أو مكان لا نهائي.

المسرحية من تمثيل 12 شاباً وصبية تمّ اختيارهم من جنسيات مختلفة، وتولّت تدريبهم «جمعية سيناريو للفنون» على التعبير عن أعمق أفكارهم عن طريق الأداء المسرحي. اسم المسرحية مستوحى من «جدارية» الشاعر محمود درويش. أما النص، فقد كتبه الممثلون بعدما أشرف على تعديله مخرج العمل جاد حكواتي (الصورة)، ومساعدته فدا الواعر. تتناول المسرحية مواضيع الهجرة والوباء والحب وانقطاع الكهرباء والأزمة الاقتصادية وارتفاع سعر صرف الدولار وغيرها من المشكلات التي عاشها قبلاً أجدادنا ونعيشها بدورنا. تلي عرض المسرحية ورشة عمل بين الممثلين والجمهور الحاضر.

«كأن شيئاً لم يكن»: س: 16:00 عصر السبت 11 حزيران (يونيو) ـ «مسرح بيت الفن» (الميناء ـ طرابلس) ـ الدعوة مجانية ـ للاستعلام 03/387714

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 666314/ 01 ـ 828381 / 03
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 4 حزيران 2022
العدد 4645 السنة الخامسة عشرة
Samedi 4 Juin 2022 nº 4645 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

لي سكرتانِ وللنّدمانِ واحدة [5-4]

بورتريه لصوفيّ (القسم الأول من القرن السابع عشر)

ذكرى

مئويّة ولادة نبيّ العصيان والثقافة المضادة في أميركا الخمسينيات

جاك كيروك... مَلِك «البيتس» في متاهاته

محمّد مظلوم *

رغم أن جاك كيروك (1922-1969) عاش حياةً وجيزة، إلا أن وجازتها اقترنت بتجربة صاخبة وعطاء غزير تمثل في عشرات الروايات والأشعار والنصوص المفتوحة والمقالات. إنه «ملك البيتس» كما وصفه كاتب سيرته باري مايلز في كتابه عنه الذي يؤكد فيه أن شخصية كيروك مليئة بالتناقضات، ونادراً ما عاش في سلام حتى مع نفسه، ناهيك بتناقضات علاقاته بالآخرين، فهو يرسم طريق التمرد لأبناء جيله، ويقودهم للعصيان والانشقاق والثقافة المضادة، ثم يهاجم أبناء الجيل اللاحق الذين يقتدون به ويسلكون الطريق ذاته! وبدعوهم إلى صراط مستقيم! فهل كان ملك المقهورين المتوَّج أم المتنحّي أم المخلوع؟ معلّمهم المشوّش أم المُرتدّ؟ ثم ما الذي يدعو أبرز المبشّرين بالثقافة المضادة إلى التحوّل إلى مثقف محافظ؟ وكيف لأبرز الآباء المؤسسين لـ «جيل البيت» Beat Generation أن يصبح مغادياً لرفاقه وأباً عاقاً لأبنائه (أبناء الزهور من الهيبيين)؟ مثلما يؤرّخ لميلاد الحداثة في الأدب الغربي برواية وقصيدة: رواية «عوليس» لجيمس جويس وقصيدة «الأرض الخراب» لإليوت، يؤرّخ لولادة جيل ما بعد الحداثة، أو «جيل البيت» أو حركة الثقافة المضادة في أميركا برواية وقصيدة: رواية «على الطريق» لجاك كيروك (صدرت عام 1957 بعد سبع سنوات من إنجازها وكان قد نشر فصلاً منها في مجلة «الكتابة الأميركية الجديدة» تحت عنوان «جبل جاز البيت») وقصيدة «عواء» لآلن غينسبرغ صدرت عام 1956 رغم أن هناك من يرى أن رواية جون كليلون هولمز Go أوّل رواية منشورة تصوّر «جيل البيت»، ولا سيما أنّ عنوانها في طبعة 1959 أصبح: «فتية البيت» وهي تروي يوميات وارتكابات وتمردات أدباء ذلك الجيل في فتوتهم.

لكن هذه التوثيقات التاريخية لا تمثّل وقائع التاريخ نفسه في كل الأحوال. فكثيراً ما ردّد غينسبرغ أن كيروك استاذه وإنه استفاد من تحريضه الشخصي ومن أعماله التي اطّلع على مخطوطاتها منذ الأربعينيات، ومن أسلوبه في «النثر العفوي» الذي بيّنه كيروك في مقال له بعنوان «أصول النثر العفوي» حيث يعتمد التدفق اللغوي والذهني الحرّين، والتداعي التعبيري المنفلت في إطلاق العنان لكلماته وأفكاره الخام لملاعترف والحديث عن التجربة وتصويت المكبوت بكتابة التجارب كما هي وباندفاع غريزي للغة، ليبوح بأسرار ذاكرته، حتى إنّ تقنية البيت الشعري الطويل والمدوّر في قصيدة «عواء» تعكس تأثراً بأسلوب كيروك المستعار أصلاً من موسيقى الجاز ومن يوغا التنفس في التأملات البوذية. كما استخدم كيروك تقنية جويس في تيار الوعي، وتحت تأثير هذا المفهوم، كتب رواية «على الطريق» في ثلاثة أسابيع و«الصعاليك المستنيرون» خلال أسبوعين بعدما أمضى سنوات في كتابة روايته الأولى «البلدة والمدينة» وأعاد تنقيحها مرات عدة، ومع هذا لم تختلف كثيراً عن أعمال آخرين وجاءت متأثرة إلى حد ما بأعمال توماس وولف.

من هنا دأب كيروك على إضفاء جرعة جديدة على الأدب المكتوب بالإنكليزية، فرغم أن الإنكليزية لم تكن الكلمة الأولى التي نطقها، فقد غيّرت كتاباته الكثير من بلاغة تلك اللغة بعدما انتبه لتناقض وظيفتها ما بين الحياة والأدب. كان كيروك من أصول كندية-فرنسية ونشأ في «لويل» في ماساتشوستس. لذا كان يتحدث بالفرنسية مع عائلته ولم يبدأ في تعلم اللغة الإنكليزية إلا بعد دخوله المدرسة، في سنّ السادسة تقريباً، ولم يتحدث بها بطلاقة حتى أواخر سنّ المراهقة. فقد اكتشف أن ما يتحدث به هو واصداقاؤه: وليم بوروز وغينسبرغ ونيل كاسيدي ولوسيان كار وسواهم، في ما بينهم بصراحة وعفوية، مختلف تماماً عمّا هو مدوَّن في الأدب، ما جعله يجري مراجعة كاملة لما ينبغي أن يكون عليه الأدب، في ذهنه، وفي أذهان القراء، وفي أذهان النقاد، الذين هاجموا الرواية في البداية وأخذوا عليها افتقارها إلى ما وصفوه بـ «معمار متقن»، فهي تتحدث عن عصبة من الأصدقاء يتجولون في سيارة ويرتكبون المعاصي! لكنها أصبحت في آخر الأمر نموذجاً رائداً لأدب الصعلكة المعاصرة، وأحد الكلاسيكيات في هذا المجال. والواقع أن كيروك رأى «أنّ الأدب المستقبلي سيتمثّل بما كتبه الناس فعلياً لا بما حاولوا فيه خداع الآخرين مما فكّروا أن يكتبوه، حين نفّحوه». لذلك، فإن جميع أعماله تقريباً قامت على مزيج من سير ذاتية وشخصية له ولآخرين، شخصياتها وأبطالها أصدقاؤه وأفراد عائلته ومادتها ذكرياته عنهم ويومياته مع محيطه وجيله، فكتب عن تجاربهم بصراحة وبأسمائهم الحقيقية قبل أن يعدّل الناشرون أسماء الشخصيات تجنباً لدعاوى التشهير.

كان كيروك أقلّ اهتماماً بالسياسة في معظم كتاباته، من أقرانه ولا سيما كوفمان وغينسبرغ: «أنا مجرّد راوي قصص مرح ولا علاقة لي بالسياسة أو المشاريع ومشروعي الوحيد هو الطريقة الصينية القديمة للطاو: تجنب السلطات». ومنذ أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، شُغف بالبوذية وراح يستوحي من الفلسفة الشرقية ومفهوم النيرفانا والنظرية القائلة بأنه لا يوجد شيء حقيقي في هذا العالم، وأن ثمة «حالة وعي» أخرى يمكن للفرد أن ينعتق من خلالها. وهكذا بدا أنّ طريقته في الكتابة القائمة على البداهة والتلقائية في لحظة التأليف، أو «في لحظة هي الخلاصة» سبيله للهروب إلى حالة من التأمل البوذي، طامحاً أن تمدّه بالطاقة الروحية لمواجهة مشقّات الحياة والمحن التي عاشها.

تأثره بـ «جيل البيت»

منذ أيام دراستهم الجامعية أواسط الأربعينيات، اقتفى كيروك وغينسبرغ وسواهما خطى رامبو وبودلير وارتو، والأسلاف من الشعراء والمفكرين الهرمسيين والغنوصيين، فراحوا يبحثون عن «حقيقة عليا وجديدة» مقتدين بعبارة وردت في «فصل في الجحيم» لرامبو: «عيد الميلاد على الأرض» ثم تحولت الدعوة إلى «رؤيا جديدة» اقتداءً بعبارة ليتس قبل أن يظهر مصطلح «جيل البيت» خلال حوار جرى بين كيروك وجون كلون هولمز عندما تناقشا عن طبيعة الأجيال، مستذكرين بريق «الجيل الضائع». ثم عاد كيروك عام 1959، ليفسر المصطلح بعدما التبس في تداوله وتعدّدت تفسيراته حيث أصبح كناية عن شخص مهزوم أو مسحوق بالكامل أو نسب إلى «الإيقاع وقرع الطبول»، فحدّده كيروك في مقالته «أصول جيل البيت» بـ «الهزيمة بوصفها تطويباً» و«الخسارة الضرورية»، أو الظلمة التي تسبق الانفتاح على إيثار الآخر، وإفساح المجال للنور الديني. فدعا إلى إيلاء الاهتمام بما سماه «تجديد التديّن» بما يتيح له أن ينمو في حضارة متطورة، اقتداءً بشبنغلر، وإلى احترام الأرض وحضارة الشعوب الأصلية وسائر المخلوقات. وهو ما أعلنه في جملة شعارية من روايته «على الطريق»: «هذه الأرض كائنٌ هندي». ولعل جوهر مصطلح «جيل البيت» يرد في عبارة في مقال نشره كيروك عام 1959 بعنوان «بداية البوب»: «كل شيء يعود لي لأنني فقير». فقد كان كتّاب «جيل البيت» مفتونين إلى حد بالحياة الوجودية المغفلة والهامشية، وحياة أهل القاع أو الهامشيين في المجتمع من العباريين في ساحة التايمز، أو مدمني المخدرات، أو عازفي الجاز، أو الفوضويين من عشاق الجاز، وصعار اللصوص والمشردين، وسواهم ممن اعتمدوا على شطارتهم لمواصلة الحياة يوماً بيوم؟ أشخاص على استعداد «للمراهنة بكل ما يملكون على رقم واحد» على حد تعبير جون كلون هولمز.

وهكذا كانت هذه العوالم والأفكار وكذلك المعاني الطليقة للعقل الباطن، التي لم تقيّدها العوامل التي تتحكّم في التفكير الواعي، هاجساً مشتركاً بين أدباء «البيت» الذين أفرغوا أحلامهم ورغباتهم، باقصى حرية متاحة.

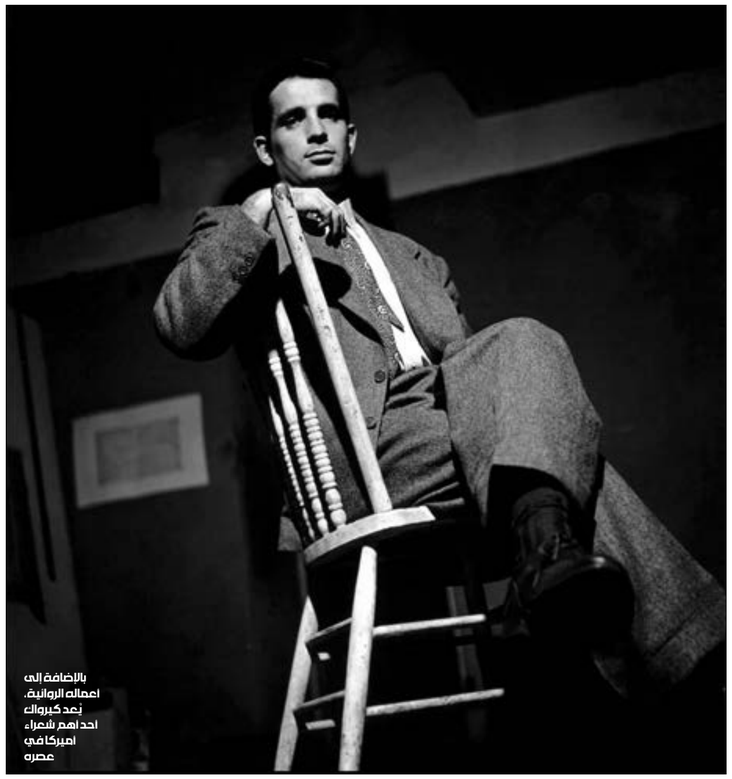

بالإضافة إلى اعماله الروائية، يُعد كيروك احد اهم شعراء أميركا في عصره. ففي شعره مدى متّسع من تداعيات المعاني الذهنية والصور، كما في «بلوز مكسيكو سيتي»، وهي قصيدة نشرها عام 1959 وتتألف من 242 مقطعاً وكُتبت بين عامي 1954 و1957، وتعبر عن نموذج كتابته في التدفق العفوي، ومعتقداته البوذية، وخيبة أمله الشخصية لعدم نشر روايته «على الطريق» آنذاك. وهي نموذج يفصح عن براعته في ما سمي آنذاك «الشعر الإسقاطي». كما أنه يتميز بسمة متفردة في شعريته، فهو أفضل من كتب الهايكو الأميركي في وقت كان فيه كثيرون يكتبونه بتأثير ترجمات عزرا باوند، وكينيث ريكسروث للشعر الياباني والصيني. وتتجلى براعة كيروك في ملاحظته لذباب الشتاء وهو يموت من الشيخوخة في خزانة دوائه:

«في خزانةِ دوائي
ذبابُ الشتاء
مات من الشيخوخة»

أو بتكثيف المعنى في قوله في «الكتاب المقدّس للأبد الذهبي»:

«تتثاءبُ القطط
لأنها تدرك
أن ليس هناك شيء لتفعله».

أضف إلى ذلك هدمه للحدود بين النثر والشعر بحيث إن صفحة طويلة كاملة من رواياته تبدو رشيقة مثل بيت شعري في ملحمة. فحتى أعماله النثرية، كانت قصيدة ممتدة، كما هو الحال في نص «أكتوبر في أرض السكة الحديد» الذي كتبه خلال عمله في محطة قطارات على خط سكك حديد الباسفيك، وهو نص مفتوح يروي تجربته ومشاهداته حيث أكد في أحد حواراته بأنه أراد في هذا النص أن يحاكي «حركة القطار وقعقعة عجلاته الحديد على السكة مثل عربة محرّك بخاري في الأمام وهي تسحب مئة عربة خلفها». وكذلك الحال في «الدكتور ساكس» أو حتى في روايته «على الطريق»، فهو يرى أن زمن التأليف هو بنية القصيدة، بمعنى أنّ ما يدور في الذهن خلال تلك اللحظة هو الموضوع. «الزمن هو الجوهر الأصلي» وهو ما كتبه في مقال قصير عن كتابة الشعر، بعنوان «أصول النثر العفوي».

استفاد كيروك من شكل «السوترا» وهو مصطلح سنسكريتي يعني سلسلة من التعاليم البوذية تصاغ في شكل أقوال مأثورة، وهو ما فعله ولا سيما في قصيدته الطويلة: «الكتاب المقدّس للأبدية الذهبية». كما اعتمد الأشكال الشعرية الشرقية الأخرى، بالإضافة إلى إيقاعات البلوز والجاز والبوب.

المعادي لـ «البيتس» و«الهيبيز»

كان حافز كيروك في معظم كتابته مصدره خيبة الأمل من الحياة بفعل تجربته القاسية: شيخوخة والده، ومرضه ووفاته ثم وفاة أخيه الأكبر، حيث عانى خلال احتضارهما وعنايته بهما وهما على فراش الموت ثم والدته المشلولة. وهو ما كتبه في «رؤى كودي» عام 1951. ومثلما قادته هذه التجربة القاسية للإبداع الكتابي، فإنها أودت به أيضاً إلى رحلة نحو انتحار بطيء بإدمانه على الكحول. ففي البدء، شعر كيروك بأنه جزء من ثقافة الهامش وعالم القاع في أميركا، فاتجه إلى البوذية، لكنه عاد لكاثوليكيته متنكراً للبوذية ولحركة «البيت»: «لستُ بيتنيكياً. أنا كاثوليكي: محافظ». وسيرى لاحقاً أنّ «حركة البيت» أقرب لحصان طروادة شيوعي للهيمنة على الشباب والمجتمع الأميركيين، رغم أنه كان قد حضر اجتماعات الحزب الشيوعي في الأربعينيات من القرن الماضي، وأعرب عن رغبته في الانضمام «إلى رفاقه الروس في محاربة الفاشية». وكتب في نيسان (أبريل) 1941: «أجري نقاشاً بسيطاً مع عدد من الحمر».

وقبل عام واحد فقط من وفاته، ظهر كيروك في برنامج حواري تلفزيوني -وهو نادراً ما يظهر - بمواجهة مع ممثل عن «الهيبيين» الشاعر والمغني إيد ساندرز، وكان «ملك البيتس» يتطوّح على كرسيه مخموراً ومتهكماً، فشرع يحتقر الهيبيين، ويصف الشيوعيين بالفاشيين، وهو ما فعله في آخر مقابلة صحافية قبل أيام من وفاته، حين وصف أعداء أميركا الحقيقيين بما يشبه المكارثية: «الشيوعي هو العدو الرئيسي لأميركا».

بيد أنّ سورة غضب «الملك» بلغت ذروتها في آخر مقال كتبه قبل وفاته بأيام بعنوان «من بعدي، الطوفان» هاجم فيه أصدقاء السابقين في «البيت» والشيوعيين وأبناء الزهور من الهيبيين بشراسة. وإذ أعاد فيه هجو الهيبيين بوصفهم بالمنافقين ولا يختلفون عن الساسيين والأرستقراطيين، وأنهم ليسوا سوى طفيليات وعالة على المجتمع وإذ يصف الجيل الجديد بجماعة من المدلّلين غير الوطنيين والمتعاطفين مع الشيوعية، رغم أنهم كانوا يعيدون تمثّل آرائه وتكرار رحلاته التي وثقها عن الصعاليك في جميع أنحاء البلاد، فقد هاجم بعض زملائه بالأسماء وادّعى أنّ «حركة البيت» قد اخترقها البوذيون الزائفون والشيوعيون: «استولى الشيوعيون على حركة البيت المحبوبة واستخدموها لإفساد شباب أميركا. وهم يعيدون كل البعد عن أولئك الذين حالوا قبل عقد أو عقدين من الزمان خلق حياة جديدة على هوامش أميركا».

رغم أن مقال «من بعدي الطوفان» قدّم صورة لما إليه حال كيروك من تشاؤم وكآبة، إلا أنه، ولحسن الحظ، لم يكن أساسياً في تذكر كيروك حين يجري الحديث عن أهمية أعماله في تاريخ الأدب الأميركي. فهو مكتوب بدافع السخط، وينفث مشاعر مستعرة لشخص أنهكه إدمان الكحول بسبب حياة جامحة وعاطفية تميزت بنجاحات كبرى ومأساة مهولة في الآن نفسه، ولا سيما في سنواته الأخيرة. لذلك، كان آلن غينسبرغ وغريغوري كورسو يفكران في الردّ على مقال كيروك المثير للجدل عندما تلقّيا خبر وفاته. وبدلاً من مقال التفنيد الخصومة، كتبا مرثيتين لجاك هما من عيون ما كتباه من أشعار ولا سيما مرثية كورسو «مشاعر رثائية أميركية».

مقاطع من «الكتاب المقدّس للأبد الذهبي»

تلك السماءُ، لو لم تكنْ أيَّ شيءٍ آخر
سوى وهم في عقلي الفاني ما كنتُ لأقولَ
(تلك السَّماء) وبالطريقةِ التي أوجدتُ بها
تلك السَّماء،
أنا الأبدُ الذهبي
أنا أبدُ ذهبيٌ فَاني.

■■■

لقد استيقظتُ لأظهرَ الطريق، واصطفيتُ
لأموتَ في انحطاطِ الحياة، لأنّني
أبدٌ ذهبيٌ فاني.

■■■

أنا الأبدُ الذهبيُّ بهيئةِ الحيِّ الفَاني.

■■■

الحقُّ أقولُ، ليسَ ثمة أنا،
لأنَّ كلَّ شيءٍ فارغٌ
وأنا فراغٌ، أنا عدمٌ
وكلُّ شيءٍ نعيم.

■■■

قانونُ الحقيقةِ هذا ليسَ أكثرَ حقيقةً من
العالم.

■■■

أنتَ الأبدُ الذهبيُّ لأنَّ ليسَ ثَمَّةَ
أنا وأنتَ،
أبدٌ ذهبيٌ واحدٌ فحسب.

■■■

أيُّها العارفُ
لا تَتَسلَّ بأيِّ خيالٍ على أيَّةِ حال
لأنَّ الشيءَ لا شيءٌ ومعرفة هذا بالتالي
ألوهيةٌ بشرية.

■■■

هذا العالمُ شريط سينمائي عنْ ماهية كلِّ
شيء،
إنه شريطٌ واحدٌ، مصنوعٌ من نفسِ المادّة
من شتّى الإرجاء، لا تخصُّ أحداً،
وهي ماهيةُ كلِّ شيء.

■■■

لو لم نكنْ جميعاً الأبدَ الذهبيَّ
لَمَا كنَّا هُنا
ولأنّنا هُنا
فليسَ بوسعِنا أنْ نكونَ أنقياء
وندعو الإنسانَ لأنْ يكونَ نقياً
على أساسِ أنَّ ملاكَ العقابِ يعاقبُ المسيء
وملاكَ الثوابِ يكافئُ الصالح
سيبدو مثلَ رعوةِ الماءِ (لأنْ يكونَ مُبَلاً) -
ومعَ ذلك، كلُّ الأشياء تعتمدُ على الحقيقة
السامية، التي ثبّتَتْ سَلفاً
سِجلاً للقدرِ المقدّر بموجبِ (الكارما)*
*في (الهندوسية والبوذية): حصيلة أفعال
الشخص في اللحظة الحالية من وجوده
والأزمنة السابقة، وهي التي تقرر الأقدار
والمصائر في الوجود المستقبلي.

■■■

اللهُ ليسَ خارجَنا بل هو نحنُ فحسب،
الأحياءُ والأمواتُ، الذين لم يعيشوا قطُّ ولم
يموتوا قطّ،
ما علينا أن نتعلَّمهُ الآنَ فقط.

■■■

لذا استرخِ ولكُنْ مُطمئنّاً وأنتَ تبحثُ عن
النُّور،
فقد تبتلعُكَ الظُّلمةُ فَجأةً
وتعثرُ على النُّورِ الحقيقي.

■■■

الكائناتُ لا تكلُّ من الرَّحيلِ والمجيء،
ينتهي الأمرُ بالذهابِ إلى المؤنِ النَّاعِمة.

■■■

سببُ بلاءِ العالمِ الولادة،
وداءُ بلاءِ العالمِ عَصا مَخْنيَّة.

■■■

كلُّ هذهِ الأنانيةِ تلاشتْ بالفعل.
أينشتاين قاسَ هذا الكونَ الموجود بقفاعةٍ
تتضخَّم،
وأنت تعرفُ ما الذي يعنيهُ هذا.

■■■

الأحلامُ الصاخبةُ تحدثُ في ذهنِ هادئٍ
تماماً.
الآنَ يعدُ آن عرفنا هذا، فلنستغْنِ عنْ طوّافةِ
النَّجاة.

■■■

المجاملةُ إبتسامةٌ عريضةٌ
وابتسامةٌ عريضةٌ
لا تظهرُ شيئاً سِوى الأسنان.
فاسترخِ وكنْ لطيفًا.

■■■

تأمَّلْ في العَرَاء،
الأشجارُ المعتمةُ في الليلِ
ليستْ هي الحقيقةَ الأشجارُ المعتمةُ في الليل،
إنها الأبدُ الذهبيُّ فحسب.

■■■

مَن يحبُّ الحياةَ كلَّها يحنوُه وذكاؤه
ليس حقاً هو مَنْ يُحبُّ الحياةَ كلَّها يحنوُّه
وذكاؤه،
إنَّها الطبيعةُ فحسْب.
عُرفَ الكونُ تَماماً لأنَّهُ تُجوهِل.
يأتي التنويرُ حينَ لا تهتمّ.
هذا جُذعٌ شجرةٍ مريعٌ فاجلسْ عليه.
فلستَ بقادرٍ حتّى على فَهْمِ لِمَكَ الشَّخصيّ
ناهيكَ عن لَجَرِّك الأبدي.
أحبُّك لأنَّكَ أنا.
أحبُّك لأنَّه لا يوجدُ شيءٌ آخرُ لافعلَه.
إنَّهُ الأبدُ الذهبيُّ الطبيعيُّ فحسب.

■■■

كلُّ شيءٍ عَلى ما يُرام،
الشكلُ هو الفراغُ والفراغُ هو الشكْل.
ونحنُ هُنا إلى الأبد،
في شكلٍ أو في آخر، الذي هو الفَراغ.
كلُّ شيءٍ عَلى ما يُرام،
لسنا هُنا أو هُناك أو في أيِّ مكان.
كلُّ شيءٍ على ما يُرام،
والقِططُ تَنام.

■■■

تتثاءبُ القِططُ لأنَّها تُدركُ
أنه لا يوجدُ شيء لِتفعلَهُ.

■■■

هايكوات مختارة

في لندن
بإمكانِ القِطَط أنْ تنام
في مدخَلِ دكّان الجزّار.

■■■

كلُّ قطٍّ في كيوتو
بإمكانه أنْ يرى
في الضباب.

■■■

كم منَ القِطَط يحتاجُون
في هذهِ الأنحاء
لأيِّ مجونٍ جماعي؟

■■■

الليلةَ سأُنزلُ
ذَيلي
فقدْ رأيتُها في جميعِ أنحاءِ
المدينة.

■■■

سيارةٌ قادمةٌ بيدَ أنَّ
القطّةَ تعرفُ
أنها ليستْ ثعباناً.

■■■

بَاحثاً عن قطّتي
بينَ الأعشاب،
وجدتُ فراشة.

■■■

عَثرتُ على
قِطّتي
نَجمةً واحدةً صامتةً.

■■■

في خزانةِ دوائي
ذبابُ الشّتاء
ماتَ من الشيخوخة.

■■■

جدرانٌ قرميديةٌ وحيدةٌ في
ديترويت
بعدَ ظَهيرةِ الأحَد
دعوةٌ للتبوّل.

■■■

يَا للورطة!
يومٌ آخرُ،
شيءٌ آخرُ أو سواه!

■■■

مَهما يكنْ، تحررتُ
-الآن سأدعُ
أنفاسي تزفرُ.

■■■

سكران كبومةٍ صائحةٍ
أكتُبُ رسائلَ
بعاصفةِ الرَّعْد.

■■■

تلكَ الطيورُ المجتمعةُ
على ذلكَ السياج
جميعُها ستموت.

■■■

تقولُ أُمّي: الكواكبُ مُتباعداتٌ
بحيثُ إنَّ الناسَ
لا يُمكنُ أنْ يضايقُوا بعضَهم
البعض.

■■■

دخانٌ من معارك
بحيرةٍ قديمةٍ
اختفى.

■■■

طواحينُ هواء أوكلاهوما
تراقبُ
في كلِّ اتجاه.

■■■

مسبحةُ السحر فوقَ
دليل تعاليم (الزن)
ركبتايَ باردتان.

■■■

عرائسُها الصُّفرُ راكعاتٌ
على الرفِّ
زوجة جنّي الميتة.

■■■

مائلةٌ نحو الجدار،
تعطّسُ
الزُّهور.

■■■

غَمرتُ لي
الأرضُ مباشرةً
في المرحاض.

■■■

نورد الفلكيُّ الأطلانتيكي
يبكي لأنَّ الملكَ
ضاجعَ عشيقتَهُ الخريف.

■■■

جنكيز خان ينظرُ شزراً
نحو الشرقِ، بعينين
حمراوين،
مُتصوِّراً لانتقام الخريف.

■■■

في الخريف جيرونيمو.*
يقول لا
لكوتشيس المسالم -الدخانُ
يتصاعد

■■■

جيرونيمو وكوتشيس
زعيمان من الهنود الحمر
اختلفا حول أسلوب المواجهة
والتعامل مع الغزاة الأوروبيين
خلال سنوات الهدنة،
انفصل العديد من محاربي
كوتشيس الشباب وانضموا
إلى جيرونيمو لمواصلة
القتال.

■■■

(الحصانُ الجامح) *

يرنو شمالاً بعينين ملؤهما
الدُّموع
فيبدأ هُطولُ الثلوج.
*زعيم قبيلة السيوكس الهندية اغتالته الشرطة الأميركية بعد استسلامه وفرض إقامة جبرية عليه.

■■■

في الخريفِ يبكي
جيرونيمو– ما مِنْ مُهر
عليه غطاءٌ.

■■■

ماو تسي تونغ استولى على
الكثير من الفطر السيبيريّ
المقدّس
في الخريف.

■■■

سلحفاة تبحرُ مع التيّار
على جذْع،
مرفوعةُ الرأس.

■■■

يقاتلُ سمكُ السلُّور من أجْلِ
حياتِه،
وينتصر.

■■■

ويرشُّنا جميعاً بالماء.

■■■

بعدَ هزَّةٍ أرضيةٍ
ثمَّةَ طفلٌ يبكي
في صَمْتٍ.

■■■

بعدَ رَجَّةِ مَطر،
بينَ الورودِ المبلَّلة،
يتخبَّطُ الطيرُ في الحوض.

■■■

الإنسانُ يحتضرُ
أضواءُ الميناء
على الماءِ الراكد.

■■■

الإنسانُ لا شيء
سوى
برميل لتخزينِ المَطر.

■■■

مِصباحي اليدوي،
حيث وضعتُه بعدَ الظهر
تلفَّقَ غائباً في النوم.

■■■

هبَّة نسيم باردة لعلَّها
مجرَّدُ عرضٍ مُتردد
ولسوفَ تخرَّبُ كلَّ شيء.

■■■

يا زهرَ الخشخاش!
يمكنني أنْ أموتَ
برقَّةِ الآن.

■■■

* شاعر ومترجم. القصائد والمقاطع من ترجمة لشعر كيروك قيد الإنجاز

■■■

وأنا في مُنتصف الماندالا*
- اكتمل القمرُ
على الماء.
*شكل هندسي، غالباً دائرة، يمثل الكون في الرموز المقدسة الهندوسية والبوذية.

■■■

معجلاً بالأشياء،
مطرُ الخريف
عَلى ظلِّهِ بابي.

■■■

أنظرُ حولي مُعتقداً
أني رأيتُ غيمةً بيضاءَ كثيفةً
فوقَ المنزل.

■■■

أنظرُ عالياً لأرى
الطائرة
لم أر سِوى هوائي التلفزيون.

■■■

أيتها النحلةُ، لِمَ
تحدِّقينَ بي؟
لستُ بزهرة!

■■■

غليوني كوزُ الذرة
سَاخنٌ من
الشمس.

■■■

نُقَّادي يتهزهزونَ
باستمرارٍ مثل
لبلابٍ سامٍّ تحتَ المطر.

■■■

وأنا أعيشُ
أنا، أنتَ – أنتَ، أنا
كلُّ أحد-
هو-هو.

ملف

كتاب مرجعيّ يرصد تراث المتصوّفة من الأندلس حتى خراسان

... وتحيي مُحبّاً أنت في الحبّ حتفه

من ضخامة المتن الصوفي وقوته في زمن أتى فيه وقد انحطّ الأدب، شعراً ونثراً، نُعتبَرُ كل منتخبات منه تجد طريقها إلى النشر حدثاً ثقافيا عربيا مميّزاً. كتاب «شمال والكأس فيها يمين» لمحي الدين محجوب (تانيت للنشر والدراسات)، الذي ننشر منه مقتطفات وافية، يكاد يكون الأشمل في موضوعه، ليس فقط باختياره 54 علماً صوفياً، بل أيضاً لامتداد الرقعة الجغرافية لمادة اشتغاله من الأندلس غرباً حتى خراسان شرقاً.

في كتابه الرائد «التصوف: الثورة الروحية في الإسلام»، يورد أبو العلا عفيفي أصولاً تاريخية واشتقاقية لكلمتي «تصوّف» و«صوفي»، يمكن إجمالها في ما يلي: الكلمتان مستحدثتان بغداديّان في الإسلام. وأوّل من تسمّى بالـ«صوفي» كان جابر بن حيان، وفي الكوفة تحديداً. أما كاصل لغوي للكلمة، فتضاربت الأقوال بين «ص/و/ ف» و«ص/ف/ و»، و«ص/ف/ف»، فنسبوها إلى الصوف (كأن مَلبَسا لهم)، وإلى الصفاء (اتصفت به قلوبهم وبصيرتهم)، وإلى الصف، (حيث سيكونون في مقدمته مع النبي، بين يدَي الله)، وإلى الصُفة (صُفّة مسجد النبي في المدينة، حيث أوى أهل الصُفّة، وهم جماعة من فقراء المهاجرين أخرجوا من ديارهم)، وإلى الصَفد، فصفات الله من أسس ما تكلموا به، وإلى الصوفانة (نبتة تنبت في الصحراء). وإلى الكلمة اليونانية «صوفيا» (حكمة). التصوف، كنظرة روحية إلى الوجود وثورية إلى المجتمع، غيرُ النّزَهُد. فكثير من المتصوفة كانوا أبعد ما يكون عن حياة الزهد والتقشف والورع (كالشيخ الأكبر ابن عربي الذي كثيراً ما اتّهم بميول إرستقراطية طغت عليه كمثقف مبتعد عن العوام). ورغم هذه الفروق، إلّا ان ثمة ما يجمع كل المتصوفة قاطبةً تحت مسمّى علم العشق، عشق الذات الإلهية ومحاولة الفناء فيها حدّ التّوحّد معها. لذلك كثيراً ما يتم اتهامهم عبر تعنعهم بالمتزندقة وفقَ مذهب الحلول ووحدة الوجود الذي يقول بأن كل الكائنات والموجودات فاضت عن الذات الإلهية وكل رغبتها تتمثّل في السعي إلى الحلول فيها من جديد. ومثلما تمّ التكالب من السلطان وفقهائه على عقلانية الكلام الاعتزالي في إعلانها شانَ العقل على النقل، وعلى الرشدية في تنوّرها وفصلها العقيدة عن التفكير، وعلى اهم تبلور لغُنُوص الإسماعيلية (إخوان الصفا) كتفكير نقدي موسوعي، تمّ التنكيل بأعلام كُثر من المتصوفة، بسبب إعلانهم للطريقة في وجه الشريعة، وجعل الاعتقاد أمراً شخصياً لا يحتاج إلى وساطة الفقهاء ولا تفسيراتهم الأحادية المجحفة («ديني لنفسي ودين الناس للناس» ـ الحلاج)، بل حَرّضوا الناس على الخروج عن السلطان (يؤكّد هادي العلوي أنّ الحلاج كان على علاقة سرية بحركة القرامطة). وبلغ هذا التنكيل ذروته، حتى صارت تغلبُ بعض الصفات على الأسماء: فثمة المصلوب (الحلاج)، والمقتول (السهروردي)، والمسلوخ (نسيمي)، وشهيدة العشق الإلهي (رابعة العدوية).

أمّا في السياق الثقافي (الشعري)، فقد انقذ المتصوفة القصيدة العربية من انحطاطها، غارفين من غرضَي الخمريات والغزل، لكن عبر تحويل رمزية معجمهما نحو منحى أكثر روحانية وبلاغة (الخمرة، الكأس، الدّنّ، الخَرابَة، الخمارة، الحديلة، الشعر، العينان، البليل، الوردة، البستان، البدن...). كما أنسوا، بشكل من الأشكال، لفلسفة الاختلاف ونفي الأنا من خلال مخاطبة الله بِنِدّيّة تلتبس فيها الربوبية بالناسوتية، وتنفتح فيها أنا المتصوفة على أكثر من أنا.

يتحشّى الفرس كثيراً من مصطلح «تصوف»، الذي وضّحنا اعلاه مدى التباسه وتعدد تفاسيره؛ ويفضلون عليه مصطلح «عرفان»، باعتباره معرفة قلبية تَتَكَشَّفُ للمتصوف، إزاء البرهان كمعرفة عقلية يبرهنُ عليها العقلاني، والبيان كمعرفة تستند إلى استقراء المتن الديني كلاما وفقها.

ما زالت المكتبة العربية بحاجة إلى رفدها بمنتخبات حسب الأسماء والطبقات والجغرافيات والألسن، إذ لا نزال نجهل الكثير، مثلاً، عن التصوف الفارسي (دبّت الشيخوخة في ترجماته القديمة، التي تعتريها الكثير من الركاكة؛ وكثير من ترجماته الحديثة التي حاولت الترجمة نظمها بعتريها الحشو والافتعال) والعثماني والناطق بالأوردو وباقي لغات الشرق الأقصى. بل نحن أيضاً بحاجة إلى تصوف باقي المِلل غير الإسلامية (ابن ميمون، بولعافية، القديس يوحنا الصليب، تيريزا الأفيلاوية، الثاو الصيني والزن الياباني...) ترجمةً ودراسة.

اختيار وتقديم **رشيد وحتي**

كاليغرافيا حسن المسعودي لبيت ابن عربي الشهير

1. إبراهيم بن أدهم: قطّعتني في الحبّ (*)
تركتُ الخلق طرّا في رضاكا · وأيتمتُ العيالَ لكي أراكا
فلو قطّعتني في الحبّ إربا · لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

2. إبراهيم الجعبري: عينا حبّي
أرى غرامًا وتعذيبًا وفرط جوى · وحرقةً في الهوى تعلو على سقر
ولست أدري بمن وجدي ولا نظرتْ · عيناي حبّي في بدوٍ وفي حضر
فهل رأيتم النّاس أعجب من · حالي وقطّ سمعتم مثل ذا الخبر
أذوب شوقًا إلى من لستُ أعرفه · ولا المحبّ خيالًا منه في عمري

3. إبراهيم الخوّاص: جوارحهم محجّبة
معطّلةٌ أجسامهم لا عيونهم · تَرى ما عليهم من قضاياه قد يجري
جوارحهم عن كلّ لهوٍ وزينةٍ · محجّبةٌ ما إنْ تمرّ إلى أمرِ

4. إبراهيم الدّسوقي: عينُ الذّات
تجلّى لي المحبوب في كلّ وجهةٍ · فشاهدته في كلّ معنى وصورة
وخاطبني منّي بكشف سرائر · تعالتْ عن الأغيار لفظًا وجلّتِ
وانظر في مرآة ذاتي مشاهدًا · لذاتي بذاتي وهي غاية ذاتي
وما شهدتْ عيني سوى عين ذاتها · لأنّ سواها لا يلمّ بفكرتي
فاغدو وأمري بين أمرين واقفٌ · علومي تمحوني ووجدي مثبتي

5. ابن أبي المليح: لجامُ صمتٍ
لسانُ المرء ليثٌ في كمينٍ · إذا خلى عليه له إغاره
فصنه عن الخنا بلجام صمتٍ · يكن لك من بليّاتٍ ستاره

6. ابن العطّار: احتجبتُ عن الحجاب
رفعتُ مقاماتُ الوصول حجابي · حتى احتجبتُ بكم عن الحجابِ
ولزمتُ محرابي لزوم مجسم · فرأيتُ وجهَ الحقّ في المحراب
وقتلتُ من نفسي غلامًا قتْلةً · سببُ النّجاة وأعظم الأسباب
وخرقتُ لوح سفينتي لأعيبها · فنجوتُ من ملكٍ لها غصّاب
وكشفتُ عن قلبي جدار حجابه · عن كنزه الباقي بغير ذهاب
ورقيتُ في السّبع السّموات العلى · حتى دنوتُ فكنتُ مثل القاب

7. ابن عطاء الله الإسكندري: المعنى
لي فيك معنى ما تبدّى سرّه · إلاّ ثنى طرفي ومدّ عناني

8. ابن المرحّل السّبتي: بين أضلعي
ومن عجبٍ أنّي أحنّ إليهم · واسأل شوقًا عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم بسوادها · ويشكو الهوى قلبي وهم بين أضلعي

9. أبو بكر الشّبلي: تحوّلات
والهجر لو سكن الجنان تحوّلتْ · نعم الجنان على العبيد جحيما
والوصل لو سكن الجحيم تحوّلتْ · حرّ السّعير على العباد نعيما

10. أبو الحسن الجوسقي: كلّها بكلّها
روحي إليك بكلّها قد أجمعتْ · لو أنّ فيك هلاكها ما أقلعتْ
تبكي عليك في كلّها بكلّها · حتى يقال من البكاء تقطّعتْ
فانظر إليها نظرة بمودّةٍ · فلربّما منعتها فتمنّعتْ

11. أبو الحسن الصّباغ: لهبُ الشّرب
وردنا على أنّ الهوى مشربٌ عذبٌ · وحطّ به للسّفر أثواقه الرّكب
فلمّا وردنا ماءه الهبَ الظما · ألا من رأى ظمآن لهبه الشّرب
أكفُّ الهوى يذكي علىّ زناده · أيا قادحا أمسك فقد علق الحب
ولو أنني أخليت قلبي لغيركم · من النّاس محبوبًا لما وسع القلب

12. أبو حمزة الخراساني: الحياةُ مع الحتف
أهابك أنْ أبدي إليك الذي أخفي · وسرّي يبدي ما يقول له طرفي
نهاني حيائي منك أنّ أكتم الهوى · وأغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تلطّفت في أمري فأبديت شاهدي · إلى غائبي واللّطف يدرك باللّطف
تراءيت لي بالغيب حتى كأنّما · تبشّرني بالغيب أنّك في الكفّ
أراك وبي من هيبتي لك وحشة · فتؤنسني باللّطف منك وبالعطف
وتحيي مُحبًا أنت في الحبّ حتفه · وذا عجب كون الحياة مع الحتف

13. أبو سعيد الخرّاز: همومهم جوّالةٌ
حنينُ قلوب العارفين إلى الذّكر · وتذكارهم وقت المناجاة للسرّ
أُديرتْ كؤوسٌ للمنايا عليهم · فاغفوا عن الدّنيا كإغفاء ذي السّكر
همومهم جوّالةٌ بمعسكر · به أهلُ ودّ الله كالأنجم الزّهر
فأجسامهم في الأرض قتلى به · وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري
فما غرسوا إلاّ بقرب حبيبهم · وما عرجوا عن مسّ بؤسٍ ولا ضرّ

14. أبو العباس بن العريف: أذكى من القبس
ما زلتُ مذ سكنوا قلبي أصولُ لهم · لحظي وسمعي ونطقي إذ هُمُ أُنسي
حلوا الفؤاد فما أندى ولو وطئوا · صخرًا لجاد بماءٍ منه مُنبجس
وفي الحشا نزلوا والوهمُ يخرجهم · فكيف قرّوا على أذكى من القبس

15. أبو العباس المرسي: صفاتي كالشّمس
ذاب رسمي وصحّ صدقُ فنائي · وتجلّتْ للسرّ شمسُ ضيائي
وتنزّلتْ في العوالم أُبدي · ما انطوى في الصّفات بعد صفائي
فصفاتي كالشّمس تُبدي سناها · ووجودي كالّليل يُخفي سوائي

16. أبو علي الدقّاق: سكرتان
لي سكرتانِ وللنّدمانِ واحدةٌ · شيءٌ خُصصتُ به من بينهم وحدي

17. أبو الفتح السّهروردي: يسطو علىّ شعاعها
شربنا على روض الرّبيع المهفهف · فجادلنا السّاقي بصهباءَ قرقفِ
فلمّا شربناها ودبّ دبيبها · على موضع الأسرار قلت لها قفي
مخافة أنْ يسطو علىّ شعاعها · فيظهر جلاّسي على سرّي الخفي

18. أبو القاسم الجنيد: صيّرك الوجدُ
وتحقّقْتُك في سرّي · فناجاك لساني
فاجتمعنا لمعانٍ · وافترقنا لمعانٍ
إنْ يكن غيّبك التّعظيم · عن لفظ عياني
فلقد صيّرك الوجدُ · من الأحشاءِ دانٍ

19. أبو القاسم بن منصور المكي: كيف بُرئي
كيف بُرئي وداءُ وجدي عضالُ · ونهوضي وعثرتي لا تُقالُ
وعزيز علي أهون شيء · في هواه ما قالت العذّالُ
يا نسيم الشّمال من أرض نجد · فيك للصّب صحّة واعتلالُ
لي بالجزع حاجةٌ ليس تقضى · وغريم يلدُّ منه المطالُ
يا لقومي كم ذا تلّ سيوف · لقتالي وكم تراشُ نبالُ
أنت أحلى في القلب من أمل · القلب إذا ما تناهتْ الآمالُ

20. أبو المواهب التونسي: في كلّ جارحةٍ عين
من فاته منك وصلٌ حظُّهُ النّدمُ · ومن تكنْ همّه تسمو به الهممُ
وناظرٌ في سوى معناك حقّ لهُ · يقتصُّ من جفنهِ بالدّمع وهو دمُ
والسّمعُ إنْ جال فيه من يحدّثه · سوى حديثك أمسى وقرةُ الصّممُ
في كلّ جارحةٍ عينٌ أراك بها · منّي وفي كلّ عضوٍ بالثّناء فَمُ
فإنْ تكلّمتُ لم أنطقْ بغيركم · وكلّ قلبي مشغوفٌ بحبّكمُ
آخذتمُ الرّوحَ منّي في ملاطفةٍ · فلستُ أعرفُ غيرًا مذ عرفتكمُ
نسيتُ كلّ طريقٍ كنتُ أعرفها · إلاّ طريقًا تُؤدّيني لربعكمُ
فما المنازلُ لولا أنّ تحلّ بها · وما الدّيارُ وما الأطلالُ والخيَمُ
لولاك ما شاقني ربعٌ ولا طللٌ · ولا سعتْ بي إلى نحو الحمى قدمُ

21. أبو يزيد البسطامي: الشّراب
عجبتُ لمن يقول ذكرتُ ربّي · وهل أنسى فأذكر ما نسيتُ
شربتُ الحبّ كأسًا بعد كأسٍ · فما نفد الشّرابُ وما ارتويتُ

22. أحمد بن سهل بن عطاء: غرستُ غصنًا
غرستُ لأهل الحبّ غُصناً من الهوى · ولم يكُ يدري ما الهوى أحدٌ قبلي
فأورق أغصاناً وأينع صبوةً · وأعقب لي مُرًّا من الثّمر المُحلي
وكلّ جميع العاشقين هواهُمُ · إذا نسبوه كان من ذلك الأصلِ
ولا هممتُ بشربِ الماءِ من عطشٍ · إلاّ رأيتُ خيالاً منك في الكاسِ

23. أحمد بن روح: قرعتُ البابَ بقلبي
ألوذُ ببابٍ من أدعوه فردًا · وأملُ أنْ أقربَ من حبيبي
إذا نامتْ عيونُ النّاس طرًّا · قرعتُ البابَ بالقلبِ الكئيبِ

24. أحمد النّوري: سرائرُ سرّي
كادتْ سرائرُ سرّي أنْ تسرّ بما · أوليتني من سرورٍ لا أُسمّيه
فصاح للسرّ سرٌّ منك يرقبه · كيف السّرورُ بسرٍ دون مُبديه
فظلّ يلحظه سرًا ليلحظه · والحقّ يلحظني ألاّ أُراعيه
واقبل السّرُّ يُغْني الكلّ عن صفتي · واقبل الحقّ يُغنيني ويُغنيه

25. أحمد البدوي: دنّي كعبتي
دعني لقد ملك الغرامُ أعنّتي · لكنّني خضتُ البحارَ بهمّتي
أصبحتُ في حاناتها متجرّدًا · بين الصّفا أسعى وبين المروةِ
نشوانُ ما بين الدّنان مهرولا · الحبّ يسقيني ودنّي كعبتي
لم يشربِ العشّاق من بحر الهوى · إلاّ بقيةَ نقطةٍ من طينتي
سكروا بها فتهتّكوا وتصنّعوا · وأنا طبيبُ الحبّ تحت طويّتي

26. أحمد الرّفاعي: روحي نائبتي
في حالةِ البعدِ روحي كنتُ أُرسلها · تُقبّلُ الأرض عنّي فهي نائبتي
وهذه نوبةُ الاشباحِ قد ظهرتْ · فامدد يمينك كي تُحظى بها شفتي

27. بشر الحافي: شقاءُ التّفرّد
خلتِ الدّيارُ فشُدّتْ غير مَسودٍ · ومن الشّقاء تفرّدي بالسّؤددِ

28. الحسين الحلاّج: مراةُ العطش
والله ما طلعتْ شمسٌ ولا غربتْ · إلاّ وحبّك مقرونٌ بأنفاسي
ولا خلوتُ إلى قومٍ أحدّثهم · إلاّ وأنت وقلبي بين وسواسي

كاليغرافيا حسن المسعودي لبيت ابن عربي الشهير

29. جلال الدين الرّومي: سكرٌ كارجوان
كيف أتوبُ يا أخي من سكرٍ كالأرجوان · ليس من التّراب بل مُعصره بلا مكان
خطٌ على كؤوسها كتابةٌ شارحةٌ · يأمنُ من يشربها من الممات والهوان

30. ذو النّون المصري: يجري لساني
لا لأنّي أنساك أكثر ذكراك · ولكن بذاك يجري لساني

31. السّراج الورّاق: أوجهٌ منحوتةٌ
ما لي أُذلّ والقناعةُ عزّ · أنجو بها من ذلّةٍ وهوانِ
وأصون وجهي أنْ يُذلّ لأوجهٍ · منحوتةٍ من عالم الصّوانِ
والقوم كالأصنام والإسلام · نزّهني من الأصنام والأوثانِ

32. السّرّي السّقطي: حشو الفؤاد
من لم يبتْ والحبّ حشو فؤاده · لم يدر كيف يتفتّت الأكباد

33. سعيد الشّهيد: تنح
تنح يا حور الجنان عنّا · مالك قاتلنا ولا قتلنا
لكنّ إلى سيّدكن اشتقنا · قد علم السّر وما أعلنّا

34. سفيان الثّوري: نظرتُ إلى ربي
نظرتُ إلى ربي عيانًا فقال لي · هنيئًا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنتَ قوّامًا إذا اللّيلُ قد دجا · بعبرة مشتاقٍ وقلبٍ حميد
فدونكَ فاختر أيّ قصرٍ تريده · وزرني فإنّي عنك غير بعيد

35. سمنون المحب: وطأةُ سرور
ولو قيل طا في النّار أعلمُ أنّه · رضاً لك أو مُدّ لنا من وصالكا
لقدّمْتُ رجلي نحوها فوطئتُها · سرورًا لأنّي قد خطرتُ ببالكا

36. عبد القادر الجيلاني: في حان حضرتي
نظرتُ بعين الفكر في حان حضرتي · حبيبًا تجلّى للقلوب فحنّتِ
سقاني بكأسٍ من مدامةِ حبّه · فكان من السّاقي خُماري وسكرتي
يُنادمني في كلّ يومٍ وليلةٍ · وما زال يرعاني بعين عنايتي

37. عبد الكريم الجيلي: حكمُ الماء
وما الكونُ في التّمثال إلاّ كتلجةٍ · وأنت لها الماءُ الذي هو نابعُ
وما الثّلجُ في تحقيقنا غير مائه · وغير أن في حكم دعته الشرائعُ
ولكن بذوبِ الثّلج يرفع حكمه · ويوضعُ حكمُ الماءِ والأمرُ واقعُ

38. عبد العزيز الدّيريني: النّظر
كلّ المصائب مبداها من النّظر · ومعظم النّار من مستصغر الشّرر
كم نظرة فعلتْ في قلب صاحبها · فعل السّهام بلا قوسٍ ولا وتر
يسرُّ مقلته ما ضرّ مهجته · لا مرحبًا بسرورٍ جاء بالضّرر

39. عفيف الدّين التّلمساني: الدّموعُ مُدامُنا:
وقفنا على المغّنى القديم فما أغنى · ولا دلّتِ الألفاظُ منه على معنى
وكم فيه أمسينا وبتْنا بربعه · حيارى وأصبحنا حيارى كما بتنا
ثملنا وملّنا والدّموع مُدامُنا · ولا التّصابي ما ثملنا ولا ملنا
فلم نر للغيد الحسان به سنا · وهم من بدور التّم في حسنها أسنا
نسائل بانات الحمى عن قدودهم · ولا سيما في لينها البانةُ الغنّا
ونلثم تُرب الأرض أنّ قد مَشتْ بها · سُليمى ولبنى لا سُليمى ولا لبنى
فوا أسفي فيه على يوسف الحمى · ويعقوبه تَبْيَضُّ أعينه حزنا
وليس الشّجي مثل الخليّ لأجل ذا · به نحن دُخْنا والغمام بنا غنّى
ينادي مناديهم ونصغي إلى الصّدى · فيسألهم عنّا بمثل الذي قلنا

40. علي بن الحسين السّامري: عينُ الحبّ
بكتْ عيني غداة البين حزنًا · وأخرى بالبكا بخلتْ علينا
فجاريتُ التي جادتْ بدمع · بأنّ أقررتها بالحبّ عينا
وعاقبتُ التي بخلتْ بدمعٍ · بأنّ غمضتها يوم التقينا

41. عمر بن الفارض: يودّ طرفي
بعضي يغارُ عليك من بعضي ويحـ · ـسدُ باطني إذ أنت فيه ظاهري
ويودّ طرفي إنْ ذُكرْتَ بمجلسٍ · لو عاد سمعاً مصغيا لمسامري

42. الغزالي: غزل
غزلتُ لهم غزلاً رقيقًا فلم أجدْ · لغزلي نسّاجًا فكسرتُ مغزلي

43. قطب الدّين القسطلاني: جفونك حاناتُ
كم في جفونك من حانات خمار · وكم بخدّيك من روضات أزهارِ
وكم نسيم سرى أودعته · نَفَسًا مالتْ به عذبات الشّيح والقاري
هواك أفصحُ من أن اكتمه · من بعد ما هتكتْ بالدّمع أستاري
لولاك ما رقصتْ بالرّوح قُضُبٌ · ولا تغنّتْ حماماتٌ بأسماري
ولا لثمتْ ثُرى تلك الرّياض · ولا سُقيتْ من ماء دمعي ساحةُ الدّار

44. مالك بن دينار: الفسيل
مؤمّلُ دنيا لتبقى له · فمات المؤمّلُ قبل الأمل
يُربّي فسيلاً ويعنى به · فعاش الفسيلُ وماتَ الرّجل

45. محمد البكري الصّديقي: والكأسُ فيها يمينٌ
يا لقومي من سكرة بُدام · ما لعقل النّدمان منها خيالُ
هاتها هاتها على كلّ حالٍ · واسقنيها فما عليك مقالُ
لا تبالي بعاذلٍ في هواها · لم يذقها فقوله بطّالُ
فشمالٌ والكأسُ فيها يمينٌ · ويمينٌ لا كأسَ فيها شمالُ

46. محمد بن سعيد القرشي: لبسة إلهية
لنعت لحاظ العين إنْ كان لحظها · إلى وصفها حقًا يليق ويرجعُ
وأثبت لحظ العين منك بلبسة · إلهية يعنى بها الطّبع أجمعُ
فاشهدنا مالا يحدّ ظهوره · وليس له علم به اللّفظ يصدعُ
فلم يعترضها الشّك فيما تحقّقت · ولم يبق منها ما يشكّ ويجزعُ
كذا من بجمع الحقّ كان ظهوره · يخلصه من طبعه ثمّ يجمعُ

47. محي الدين بن عربي: دينُ الحبّ
ومن أعجب الأشياء طبي مبرقع · يشير بعنّابٍ ويومي بأجفانِ
ومرعاه ما بين التّرائب والحشا · ويا عجبا من روضةٍ وسط نيرانِ
لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورة · فمرعى لغزلانٍ وديرٌ لرهبانِ
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ · والواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ
أُديرُ بدين الحبّ أنّى توجهتْ · ركائبه فالحبّ ديني وإيماني
لنا أسوةٌ في بشر هند وأختها · وقيس وليلى ثمّ مي وغيلانِ

48. محمد بن علي الأدفوي: ماءُ وصلك:
صبٌّ اضرّ به طويل جفاك · لا يشتفى إلاّ بطيب لقاك
يا شمسُ حسنٍ في الورى وضّاحة · مهلاً فقلبُ المستهام سَماك
وترفّقي يا ظبيةَ الوادي به · ودعي النّفار ففي الحشا مرعاك
فلقد حللتْ من الفؤاد بمنزلٍ · ما حلّ فيه من الانام سواك
فردّ المتيّمُ ماءَ وصلك إنّه · أضحى على ظمأ لرَشْفِ لماك
واقضي بما شئته في شرع الهوى · غير القلى فالحسن قد ولاك
وعِدِي الكئيب لو بطيفٍ في الكرى · فلعلّه عند الهجوع يراك
فهو الذي يرضى لعزّك ذلّةً · ويودّ أنّ جفونه ممشاك

49. محمد بن عبد المحسن الأرمنتي: نازلٌ بقلبي
وحياةُ أيّامي بهم بالمنحنى · قسمًا تأكّد بالولا ميثاقهُ
لا جلّتْ عن حبّي لهم أبدا ولو · أنّ الفؤاد يُذيبه إحراقهُ
حي بقلبي نازلٌ وخيامه · نصبتْ ببطحا طيبة ووطاقهُ
قفْ بي دليل الظّعن هذا رامهم · روّاه غيثٌ غامرٌ مهراقهُ
وأرخْ مطيّك ها هنا فالرّكب قد · كلّتْ من الطّلب الحثيثِ نياقهُ

50. محمد بن محمد عيسى القوصي: حبّك فتنةٌ
فُتنتُ وما لي غير حبّك فتنةٌ · وأعظمُ فخري أنّني بك مفتونُ
وحبّك مفروضٌ على السّخط والرّضا · علىّ فأمّا ما عداه فمسنونُ
وقد ذكروا مجنون ليلى وأكثروا · وكلّ زمان فيه ليلى ومجنونُ
وقالوا سلا عن حبّه بعد ما غدا · له في مقام الحبّ شأنٌ وتمكينُ
فأمّا غرامي فهو أمرٌ مُحقّقٌ · وأمّا سلوي فهو ظنٌّ وتخمينُ
أمثلي يسلو أو يبوح بسرّه · وفي قلبي المحزون سرّك مخزونُ
تصدّق بأدنى عطفة منك إنّني · فقيرٌ وإنْ قصرتُ عنك فمسكينُ
ولستُ وإنْ طال البعاد بيائسٍ · من القربِ إنّ البعد بالقرب مقرونُ

51. منصور البطائحي: الحبُّ كالموت
الحبُّ سكرٌ خماره التّلفُ · يُحسن فيه الذّبولُ والدّنفُ
والحبُّ كالموت يفني كلّ ذي شغف · ومن تطعّمه أودى به التّلفُ
في الحبّ مات الألى أصفوا محبّتهم · لو لم يحبّوا لما ماتوا وما تلفوا

52. مسعر بن كدام: الدّار
ومشيداً داراً ليسكن داره · سكن القبور وداره لم يسكنِ

53. موسى الكاظم: أنت
أنت ربّي إذا ظمئتُ من الماءِ · وقوتي إذا أردتُ الطّعاما

54. يحي بن معاذ: سروري
سروري بالسّؤال لكي أراه · فكيف أُسرّ منه بالنّوال

(*) مقتطفات من كتاب «شمال والكأس فيها يمين» لمحي الدين محجوب (تانيت للنشر والدراسات)

شعر

خالد المعالي: ميلانخوليا مقطّرة

محمد ناصر الدين

«وتحسبها عاجلاً/ فيما أنتَ سائرٌ/ مفكراً بالحياة/ أتعابها/ وكأنها عهد حملناه من الأولين/ ونُبذاً تسير/ مثقل الخطوات/ تعبر حطام الجسر خلفك/ من بعيد/ تبدو الذكريات/ جنّة أفلة/ يسحب النهر اليابس أمواجه/ ليمضي/ حياتك كيف كانت؟/ وكأنها تُرمى إليك من الأعالي/ بيضة رخّ/ رموها/ عسى أن الحظّ السعيد يلقاها/ وتكسرها من جديد/ وتسأل نفسك ساخراً/ أما من موت سعيد/ لتشقى به/ عسى يعبر بك الليالي يطلقك/ يعيدك ساحراً/ فوق الحبال».

ميلانخوليا مقطّرة وألم على جرعات أشبه بالوخز بالإبر، هو الشعور الدقيق الذي ينتاب القارئ حين يطالع «رعويات صنين وقصائد أخرى» للشاعر العراقي خالد المعالي (1956) والصادرة أخيراً عن «منشورات الجمل» (الشارقة/ بغداد 2022). قصائد تقارب المئة كتبها صاحب «العودة إلى الصحراء» و«أطياف هولدرلين» ما بين عامي 2015 و2017 في مكان عزلته الاختياري في أعالي جبل صنين. يحيلنا عنوان الديوان في نصفه الأول إلى الرعويات أو الشعر الرعوي الذي ترجع أصوله الأولى إلى جزيرة صقلية، وقد ظلّ بدائياً حتى جاء ثيوكريتوس (عاش في القرن الثالث قبل الميلاد) في العصر السكندري. هنا أدخل عليه تعديلات كثيرة، وارتقى به حتى أصبح يضارع الأنواع الأخرى من الشعر الإغريقي. ثم جاء فرجيليوس في الإنيادة الخالدة ليجعل لهذا الفن أهدافاً جديدة تأثر بها شعراء العصور اللاحقة وصولاً إلى حتى روبرت فروست وشعر الانداي عند نساء البشتون في أفغانستان... الفن الذي اتخذ عبر العصور تسميات مختلفة تجاورت مع المفردة الشائعة Pastorale، لنسمع بالإيديليات les idylles عند ثيوكريتوس، والوصفيات Bucoliques عند فرجيل، والرعويات الصغيرة pastourelles التي ظهرت في فرنسا في القرون الوسطى، وغيرها من التسميات. إلا أن القاسم المشترك بينها هو نشدان براءة الأماكن الأولى والطفولة والحنين إلى فردوس مفقود (عادة ما كان الشاعر ميلتون يختار أبياتاً من رعويات فرجيليوس ليفتتح بها أعماله). هذه النوستالجيا التي تمتد أمام عين الشاعر كـ «سراب يبدو من بعيد»، من السماوة العراقية القصية في الذكريات كما تشير إحدى القصائد بوضوح: «يعرفها حقّاً/ كان في أحلامه يراها/ خيطاً مُدّ من بعيد/ فيما شبّاكه مغلقٌ/ والظلام ما زال مخيّماً/ تدعوه ليأتي/ وحش الطفولة/ وقد تلاشى في ظلها/ كلبها النابح دائماً/ فيما كان يعدو ويعدو».

إنها نوستالجيا لا تريد أن تعترف بالواقع المرير، بكل ما شكّله المؤقت والعابر والمنفى بعد النواة «الرعوية» الأولى للذكريات التي تدور حول نفسها، وعناصر المكان الأول التي لا تريد من يزاحمها في قلب الشاعر وفي لغته: «ليله لم يزل/ أنفاسه تنبض/ يداه مرخيتان/ وكان الذكريات تدور حول نفسها/ متى كان هذا؟/ أين؟/ لم يعد يدري/ شارداً/ في ثوبه الرثّ/ وقد حال لونه/ فيما أقدامه كلها جراح/ تخطو في الحقل الواسع/ متى كان هذا؟/ أين؟/ بيضة القطا تلوح/ نمشها يُظهر ويُخفي/ وخياله تاه/ لا مياه/ بل سراب يبدو من بعيد».

يأوي الشاعر إلى جبل يعصمه من مرارة الواقع، وينادي أثناء الصعود في الجبل أصدقاءه جميعاً، لنرى القصائد وقد أهدى بعضها إلى أدم فتحي، وفاضل عباس هادي، وحسين علي يونس وعبد العظيم فنجان. وحين لا يحضر الصديق كما حين غاب أدونيس عن «محاورة الجبل» لبول سيلان الذي قدّمه خالد المعالي في ترجمة عن الألمانية لقرّاء العربية، فإن الشاعر يصل إلى قمة الجبل متعباً ووحيداً وقد أضاع كل شيء في الرحلة: «كان قد ضيّع زاده في الطريق/ فقسّم الأمل الذي لديه قطعاً صغيرة/ وبيده مسحَ الغبار عن بوابة الذكريات/ فسارت حياته وكأنها لم تكن هناك/ جمع أحلامه من الدروب المثيرة التي سارها وحيداً إلا من ظلّه/ يحمل كلماته تمائم وشرابه اليأس مرّاً/ فحتى اليأس أضحى إليه يعود كلما غربت شمس النهار لكي يبقيه ساهراً يراقب النجوم»... ليصل إلى صنين وقد تحول إلى جبل من الشعر، شعر مفردانه من التلقائية والبساطة الأشبه بالوادي الذي يرافق المنذرّه إلى الأعلى، إضافة إلى شعور المرارة المروّضة التي نتقبلها عن طيب خاطر. إحساس ينشر به في كل خطوة قدم في القصيدة: «كان يكلّم نفسه/ في الليل الممزّق/ تاركاً حان الطريق وراءه، عابراً سرب الدخان/ كل الرؤى تهلّ عليه الآن/ حتى الأسى حطّ بين يديه كطائر السعد في الحكايات».

هناك/ جمع أحلامه من الدروب المثيرة التي سارها وحيداً إلا من ظلّه/ يحمل كلماته تمائم وشرابه اليأس مرّاً/ فحتى اليأس أضحى إليه يعود كلما غربت شمس النهار لكي يبقيه ساهراً يراقب النجوم»... ليصل إلى صنين وقد تحول إلى جبل من الشعر، شعر مفرداته من التلقائية والبساطة الأشبه بالوادي الذي يرافق المنذرّه إلى الأعلى، إضافة إلى شعور المرارة المروّضة التي نتقبلها عن طيب خاطر. إحساس ينشر به في كل خطوة قدم في القصيدة: «كان يكلّم نفسه/ في الليل الممزّق/ تاركاً حان الطريق وراءه، عابراً سرب الدخان/ كل الرؤى تهلّ عليه الآن/ حتى الأسى حطّ بين يديه كطائر السعد في الحكايات».

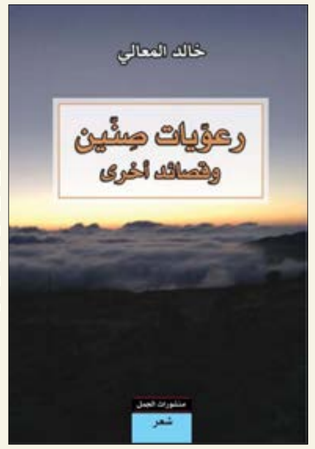

نشدان براءة الاماكن الاولى والطفولة والحنين إلى فردوس مفقود

ليبلغ بوضوح في قصيدة «رعويات صنين» أنه وصل إلى القمة ليكتب لنفسه أولاً وأخراً: «كان يكتب رسائل إلى نفسه التي لم يعد يراها إلا ماماً/ هناك في الأعالي حيث تبرك الأحجار كأشخاص جمدوا في المكان/ كأنما كانوا بانتظار الرسالة»، في إشارة واضحة إلى ذاتية التجربة الشعرية، وفرادتيها كتجربة ممغنطة على عوالمه الداخلية أولاً، وهو ما يبعدها عن تجارب شعرية لامست الشعر الرعوي الجماعي في نطقها بحنين الجماهير إلى أرض مسلوبة كقصائد محمود درويش الأولى، وسميح القاسم، وكنعانيات عز الدين المناصرة، إذ تكفي المعالي مفردة أو اثنتان مجردتان من الحمولة الأسطورية أو الإيديولوجية ليصنع عالمه الرعوي: «يكتبها/ فيما تمرق الغيوم تحته/ أو تبرك قليلاً/ حتى تخطر الصورة في خياله/ ها هم الأقوام هناك/ يكفي أن تتركها تسبح حتى يكفوا عن الصيرورة ويرتاحوا». لكنّ الشاعر يكون دائماً في المكان غير المتوقّع أو خارج الموضع الذي نراه فيه، ويعيش خارج ساعته كما يعنون إحدى مجموعاته الشعرية: «يرى الأسى من بعيد مخيّماً بانتظاره/ باب بيته مشرع/ تراقصه الريح/ فيما هو يسير ببطء/ ملبياً الدعوة يومها/ تاركاً كيس أحلامه على الأحجار». تحضر صيغة الغائب كلما تراءت الذكريات الرعوية لـ «جمعة يعود إلى بلاده»، كأنها صلاة الغائب على الأشياء الماضية يضمنها كل حرارة الإيمان القديم، أمام صيغة الحاضر التي يستعملها المعالي بشكل أقل كلما أراد أن يصف أنه «خارج المكان» بحسب عنوان إدوارد سعيد الشهير: «لم أعد أعرف الدفء/ ناري خبت والريح تهب/ الرؤى التي راكمتها حجارا صارت تراباً». إنه حاضر الأسى حيث «الياس يحطم النوافذ/ وكلما سبرته رأيتني عاجزاً أمسك الفأس والحطام/ كم سرت حافياً/ كم توهمت نهايتي ورميت الذكريات بكيسها وحلمت بالرقاد/ حيث تكسّرت هواجسي وكفّ فمي عن الغناء». لكنّ صاحب «الهبوط إلى البابسة» بعد أن يفاقم قليلاً من جرعة اليأس (كان عائداً من الحرب/ شبه ميت/ كل ما لديه حطام/... أضاعوه... وأي فتى أضاعوا... وغربباء أوصلوا الجنازة إلى بيته المهجور)، يترك لنا في قلب اليأس كوة للأمل، أشبه بنجمة خجولة بين غيوم صنين أو تلك الشمس التي إذا طلعت، تزاور عن كهف النائمين لتوقظهم يوماً ما بدفء الأمل: «أتيه/ أطرق الأبواب ليلاً ثم أغنّي/ عسى نلوح للحياة من جديد/ كأقوام يرقد النوم عندهم/ والشمس تسري إليهم».

رواية

عبد الفتاح كيليطو... صائغ ذهب التراث

خليك صويلح

ليس عنوان الرواية وحده «والله إن هذه الحكاية لحكايتي» (المتوسط) ما يشير إلى مؤلفها عبد الفتاح كيليطو (1945)، إنما هناك إشارة ثانية تتعلّق بـ «الأستاذ ع»، التي تدل على الحرف الأول من اسمه، ثم سيضعنا في مقام الارتياب حين يقتبس عبارة من كافكا في «المحاكمة» كتمهيد أولي للرواية: «ما كان ينبغي أن أعيش على هذا النحو». هذه الإشارات وسواها تنطوي على سيرة موازية لصاحبها، فهو «ضالع في الحكاية» بالغازها التي تضع المتلقّي في مهبّ الحكي المتواتد على غرار «ألف ليلة وليلة». حتى إنّ شخصية «حسن البصري» في «الليالي»، ستجد مثيلتها في شخصية «حسن ميرو» الذي يستعد لصوغ أطروحته الجامعية عن أبي حيان التوحيدي.

هكذا ستتناسل الشخصيات التي لطالما رافقت صاحب «العين والإبرة» في كتبه النقدية، إذ نلتقي التوحيدي والجاحظ، وشهرزاد، وشهريار وابن خلكان، وياقوت الحموي بوصفهم رافعة تخييلية وأدوات نقدية لترميم أطروحة تطاردها اللعنة والقلق والريبة. سوف يسعى حسن ميرو لمراوغة أستاذه هارباً من لعنة «مثالب الوزيرين» للتوحيدي التي اقترحها عليه كعنوان لأطروحته: «لقد فتح حسن البصري باباً ممنوعاً، أما حسن ميرو، فإنه فتح كتاباً ما كان له أن يقرأه». لينتهي به المطاف إلى تعيين حادثة حرق التوحيدي لكتبه كبوصلته نحو المعرفة، متسائلاً: «ما الفائدة من العناية بنصوص لا تغيّرنا، ومن شأنها أن تتركنا رهائن لأنفسنا؟».

في الرواية وخارجها، ظلّ عبد الفتاح كيليطو رهينة للكتب النفيسة في التراث العربي القديم في مغامرة محتدمة لتفكيك السرديات المستقرة، والارتياب الدائم حيال الأفكار التي تعمل على السطح في تفسير بوصلة السرد وطبقاته. وهو هنا يستضيف مؤلفيه المفضّلين حول مائدة واحدة، مستدرجاً أطيافهم في مقولات مضادة، وبلسانين في آنٍ واحد، وبرفض صريح للعموميات: «تناول بدلاً من ذلك، تفصيلاً، صورة، مشهداً يبدو طفيفاً واجعل منه محور مؤلفات التوحيدي، وبالتالي محور أطروحتك». كأنّ الشخصيات الروائية تعيش في الكتب وتُنشئ حيواتها في المتون، داخل الغرف المغلقة لا فضاء المقاهي وشوارع المدن. على الأرجح، سيتسرّب نوع من الندم الفكري على الأصوات، نجدها هي ذاتها في كل حرب، وكل زمن... أصوات أشخاص مهمّشين، ومتخمين بالخسارات، ومحكومين بأتم العيش في أمكنةٍ تضنّ بالحياة. هذا ما يحصل لإبراهيم دَرّاس، الجامعي الحالم بمعرفة اسم أبيه، ذلك أنه أمضى حياته ينوس بين أرجاء المدينة باحثاً عن قبره، أو شخص يملك ما يكذّب اتهامات أهل السوق بكونه ابناً لبيّاع خائن. تلك العبارات التي يكتبونها على الجدران، تجعله يبدو كمن يصارع العالم، فضلاً عن والدةٍ تعيب عليه العمل في بيع أفلام السينما؛ تلك المساحة التي تشكّل متنفّسه الوحيد، وتتيح له فسحةً للحياة مع عشيقاته وممارسة ما أراد يوماً أن يكونه كصاحب صوت عذب، ليمسي غناؤه سبيلاً للموارية عن أساه الذاتي، وعن حرمانه من حقوقه كسائر أبناء المقاتلين في الحرب، ومنعه من العمل في مؤسسات الدولة، وهروبه من الجندية بذرائع الدراسة والعمل.

«في هذي البلاد الحوت يأكل الحوت.. وقليل الجهد يموت» بهذه العبارة تتلخّص الأحقاد بين شخوص الرواية، في فضاء يكشف عن جغرافيا صحراوية يحيل إليها الكاتب، بما يجعل أي مدينة في البلاد تصلح مكانها. فنجد كنبسة تتحول إلى متحف، وفرنسيين اختاروا البقاء بعد التحرير ورفضوا تنسيب أطفالهم لمدارس العرب، مسلمين تنصّروا، ونصارى أسلموا طمعاً وحذراً. هكذا تسود فوضى الاعتقاد، وهشاشة الانتماءات. تسكن الجميع حمى التسلط، وهو أمر يحدث عندما يغيب في أفاقهم فهمٌ لغطاء يحمي، أو قانون يردع. لذا يبدو المشهد كمن يحيا فيه، حيث التسلط سيد المواقف، والجريمة تعلّف عتمة الليالي، وجثث الفتيات المغتصبات، والرؤوس الملقاة على زوايا المروج المهملة، صورٌ معتادة لأخبار الصحف الصباحية.

يشكل المرج اللاحق بالمدينة رمزاً لكل ما هو منزوٍ وهامشي، إذ يشبهه موظفو البلديات بالزائدة الدودية، ففيه يقطن الفقراء والمساكين؛ الحالمون بحنو الحياة. وهناك يجد عاشور جثة المغنية، ويحقّق معه لمعرفة أسباب موتها بطريقة فظة. لكنّ الحياة لا تترك له الإجابات، فملابسه والصورة التي بحيا عليها مع عائلته تجيب للمفتش: «لم أجد شيئاً يستحق الذكر.. فحياتي حياة مقهورين». تنمو خيوط الجريمة وتتشابك لتصل حياة المغنّي الخاصة؛ فالضابط حميد يبدو على علاقة سرية بالميتة، وهو لم ينجُ كضحية فساد وظيفي لغاية تجيب للمناصب، فيُرحّل إلى المدينة الصحراوية، ويبدأ معركته مع خطاياها، من دون أن يعلم أنه أرسل للزواج من إحدى فتياتها، والعيش لهفاً للقاء مغنية الفندق. تحتلّ النساء جانباً من سيرة الألم، إذ تخرج أمهات يتربصن بمستقبل أبنائهن، إلى جانب محاميات تمرّدن على عالمهن، وبقين عالقات في دوامة الأحكام المسبقة والطعن في تأخرهن عن الزواج. فالمحامية نورة تتولى الدفاع عن بشير لبطم، المتهم بقتل المغنية، تبرز أشجانها أثناء سعيها للتفرد والاختلاف عن باقي فتيات المدينة، فيما تحلم المحامية حسينة كذلك بالخلاص والزواج من أي رجل في العاصمة. هكذا يخرج القهر عبر استرجاع سيرهن الذاتية، كما سيرة زكية الميتة الحية، إذ تربط بموتها أحوالهن في مكان منع عنهن أبسط أسباب الحياة، وتحت سلطة عجزت عن إدارة ما تبقى من البلاد.

يسود الضياع، ويفقد أهل المدينة بوصلتهم. يودع بشير السجن في صورة شبه مفلسة، إذ لا يتضح وجود متهم آخر، ويبقى إبراهيم في دوامة بحثه عن براءة أبيه. حتى العائدون من دول الغرب إلى بلادهم، يأخذون نصيبهم، ويغتالهم نقص الأغذية، والافتقار للأدوية، والجوع الذي أحال المدينة إلى مكان ممسوم. أما كمال، موظف الاستقبال في الفندق، فيبدو محكوماً باللهاث لحيازة السطوة والمكانة، ليُذاع على الألسن أخبار إضراب قادم، وتتعقد قصة مقتل زكية، لتطال مالك الفندق حين يثبت تورّطه في إخفاء قصة والد إبراهيم، ويمضي ليالٍ أرقاً من مقتل حيوات الجميع، فلا أحد بريء، كما أن لا أحد قاتل، وهكذا تصنع الفوضى أكثر الفترات حرجاً في تاريخ البلاد، بصورة تكسر من عنفوان الشعب، وتقضي على تفاؤلهم، وتؤرخ سيرة البسطاء في بحثهم الدائب عن معنى عيشهم المفقود.

«تكاد هذه المدينة تصير عاصمةً للمتسولين» من هنا يطرح الكاتب تساؤلاته عبر الرواية؛ فما هو معنى الدولة؟ وأين اختفت النخب التي راحت تحسم صراعاتها بعيداً عن الشعب؟ وهل من يحاسب مهدري قدرات الشباب ومالكي المدن بمقابير المجهولين؟ كله يُطرح كتجربة سردية لما يلي تاريخ ثورة أبهرت العالم، إذ يتسول الناجون حيواتهم من تبعاتها، فالموجَع بالسجن ظلماً يتوق إلى حريته، والقاتل مدفن أبيه يتسول نظرات القبول والرضا، والأمهات المكلومات يتسوّلن الهروب من القهر، في وقت يُعرف فيه اسم القاتل، ويشتعل حراك شعبي يفضي إلى إضراب عام، وتحت ستار الفوضى وغياب القانون، يدرك الجميع خَلَبية شعارات النخب الحاكمة، ويعلمون أنهم لم يكونوا في تلك المرحلة، على حد تعبير الكاتب، سوى جماعاتٍ جرارٍ مبتور الأجنحة.

رحلة عجائبية على أجنحة الكتب، من المغرب إلى باريس فنيويورك

لحسن ميرو وللراوي أيضاً.

هكذا يخلخل عبد الفتاح كيليطو السرد الأفقي بخلائط هذيانية تتمازج فيها الوقائع، فتنتصر الحكاية المرتحلة وحدها، بصرف النظر عن تضاريسها المتبدّلة، فلكلّ جنيته التي تطير بمعطف من الريش، ولكلّ راوٍ كتابه الملعون. بالنسبة إلى القارئ الكسول والضجر الذي يفتّش عن حكاية مسلّية، لن يجد لدى صاحب «من شرفة ابن رشد» الرواية التي ينتظر، خصوصاً أولئك الذين لم يطّلعوا على أعمال هذا الباحث والروائي الاستثنائي المهووس بكلاسيكيات التراث العربي، وما يوازيها غرباً، في طيرانه بين رفوف المكتبة، وتقليب المخطوطات المهملة، والتحليق عالياً في استجواب ما هو مضمر وملتبس في نصوص الأسلاف، بانتباهات تخييلية مدهشة ومركّزة لا سيولة إنشائية تفقدها قوتها الجمالية لجهة «الإمتاع والمؤانسة» وفقاً لأسلوب التوحيدي الذي ينحو إلى الاقتصاد والحكمة والمتعة في آنٍ.

هكذا يستدرجنا صاحب «جدل اللغات» إلى شرك الحكاية وإعادة تأويلها في أنساق مغايرة، بقصد تحطيم استقرارها، وتالياً استبدادها التاريخي، ما يضعها في موقع الشبهة والارتياب. على المقلب الآخر، نحن إزاء متاهة سردية في رحلة عجائبية على أجنحة الكتب، من المغرب إلى باريس إلى نيويورك، في مناورات متواصلة للنجاة من اللعنة أولاً، واستعادة ما جرى طمسه من متون الكتب المشؤومة، وتالياً، مجابهة الخطر. فلا كتاب عابراً للأزمنة من دون سرّ يخصّ مصائر شخصياته أو مؤلفه، من «مقامات الحريري» إلى «ألف ليلة وليلة». ثم، ليس حسن البصري وحده من كان يعمل صائغاً، سنتنبّه إلى صائغ آخر هو عبد الفتاح كيليطو.

لمحات

يوديت شالانسكي

«نعلم أنّ الشذرة هي الوعد الرومانسي الأبدي، نموذج الحداثة الذي ما زال مؤثّراً، وأنّ فن الشذرة مرتبط بهذا الوعد أكثر من أي نوع أدبي آخر، بهذا الفراغ البليغ والمساحة البيضاء، التي تغذّي التصورات والتخيلات». بأسلوبها الأدبي الفلسفي الذي يمزج الوقائع التاريخية والعلمية بالخيال الروائي، تقدم الكاتبة الألمانية يوديت شالانسكي وجوهاً مختلفة لتراجيديا الفناء والزوال في كتابها «فهرس بعض الخسارات» (2018) الصادر أخيراً بترجمته العربية (المركز القومي للترجمة/ مصر - ترجمة سمير جريس). تحكي شالانسكي قصة جزيرة توناكي التي غرقت واختفت من دون أثر؛ أو تروي قصة «فيلا ساكيتي» في روما، فتحيي بذلك عصراً كاملاً، أو تحدثنا عن غزليات الشاعرة الإغريقية سافو، وتشركنا في تأملاتها عما تبوح به تلك الشذرات وعما تسكت عنه.

جوان تتر

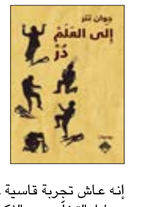

«إلى العَلَم دُ» (دار ممدوح عدوان للنشر) يوميّات كتبية للكاتب السوري جوان تتر عبارة عن مجموعة متواترة من النصوص التوثيقيّة المدوّنة في فترة عصيبة من تاريخ سوريا المعاصر الممتدّة بين الأعوام 2010 - 2012، أي السنوات التي رزخت فيها تحت أتون حرب ضروس تغيّر خلالها مفهوم الجنديّة السوري. تتداعى ذاكرة جوان تتر الذي يعيش في الشمال السوري على مشاهد عرفها السوريون في مختبر عذاباتهم الطويل حيث الخوف جزء من الحياة اليومية المعتادة. تتأرجح الكتابة داخل اليوميّات بين الشخصيّ والعام. يقول الكاتب إنه عاش تجربة قاسية خلال سوقه إلى الجنديّة وحاول التخلّص من الذكريات الأليمة التي يختزنها في عقله عبر كتابة هذه النصوص النثرية.

بشرى خلفان

«ورغم أني لم أشهد إلّا من تلك الحروب القديمة، ولم أعرفها، فإني أعرف الجوع، وأتذكره جيداً، فمن عرف الجوع يعرف أنه يبقى في الدم، مثل مرض، ولا يمكن لأي شبع بعده أن يشفيك منه». هكذا يعبّر بطل رواية «دلشاد ــ سيرة الجوع والشبع» للكاتبة العمانية بشرى خلفان، عن إحساس الجوع الذي لازمه فترة طويلة من حياته. الرواية التي صدرت بطبعتها الخامسة عن «دار تكوين»، تدور أحداثها إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية حين كانت مسقط تقع تحت الحماية البريطانية وكان الجوع ملازماً لكل أهلها، حتى امتلأت بهم الطرقات، وضاقت بهم الحارات. النص مركب من مادة حكائية كبيرة وأسلوب سردي سلس ممتع ومشوق بفضل استخدام تقنية تعدد الأصوات التي سمحت لها برواية الأحداث من وجهات نظر مختلفة.

عبد الرحيم الخصّار

رواية «جزيرة البكاء الطويل» (منشورات المتوسط) هي التجربة الأولى للشاعر المغربي عبد الرحيم الخصّار. تضعنا في قلب رحلة شيقة ومؤلمة عن سيرة إنسان مغربي متعدد الأسماء والحيوات، قادته الظروف رغماً عنه لاستكشاف مجاهل الأرض وسبر أعماقه الداخلية أيضاً. تتعقب الرواية مصطفى الأزموري وهو يتحول من عبد إلى رمز تاريخي. تتعدد أسماؤه ومعها تجارب حياته فتارة هو الزنجي وابن الشمس والفاتح الأسود، وطوراً هو استيفان الموري... قارب الكاتب هذه الشخصية التاريخية الاستثنائية بحفر مضنٍ في الذاكرة. رواية ساحرة ومخيفة وشيقة عن العبودية والترحال، وهي أيضاً رواية عن الحب الذي لم يكتمل.

فلاديسلاف شيلمان

«عازف البيانو» الصادرة بترجمتها العربية عن «صفحة سبعة» (ترجمة مهدي سليمان) سيرة حقيقية للعازف فلاديسلاف شيلمان (1911 ـ 2000) الذي عاش تحت نيران الاحتلال النازي لبولندا. تتناول الرواية الفترة الواقعة بين 1939 و 1945. كان شيلمان يعمل كعازف لدى محطة الإذاعة البولونية التي دمّرت تحت وابل القصف الألماني لوارسو خلال الحرب العالمية الثانية. عاش مشرداً باكياً طوال فترة الاحتلال النازي لبلاده التي استمرت سنوات، ونجا مراراً من الموت وعانى الجوع والخوف والمرض. تعتبر قصته من أكثر القصص شهرة وإثارة وتمّ بيع أكثر من عشرة ملايين نسخة من كتابه. حُوّل الكتاب أيضاً إلى فيلم من توقيع رومان بولانسكي.

سلمان زين الدين

اختار سلمان زين الدين هذه المرة الابتعاد عن الأعمال الأدبية النقدية، ليتوجّه إلى الصغار بأسلوب يذكرنا بالشاعر الفرنسي جان دو لا فونتين. كتابه «حكايات شعرية» (دار جامعة حمد بن خليفة للنشر) يتضمّن 15 حكاية شعرية ينطوي كلّ منها على حكمة ويعبّر عن القيم الإنسانية. هذه الحكايات رمزية على لسان الطيور والحيوانات تجمع بين التشويق والطرب. تتميّز الحكايات بلغتها السهلة ومفرداتها البسيطة وسلاستها، ما يشجّع الأطفال على القراءة بعدما أبعدتهم مواقع التواصل الاجتماعي و التكنولوجيا عنها. علماً أنّ الفنانة شيرين سعيد تولّت رسوم الكتاب.

سعيد خطيبي: جزائر ما بعد الاستقلال

غنوة فضة

يبدو لقارئ رواية «نهاية الصحراء» (هاشيت أنطوان) للكاتب الجزائري سعيد خطيبي، أنّها تؤرّخ لحقبة مظلمة من تاريخ الجزائر. إلا أنّ المضمر، هو ميلها إلى منح الحياة لمن لم يملكوا أصواتاً آنذاك، ولمن قضوا أعمارهم على الهامش، وشكّلوا نواة صراعات خلّفتها الحرب ما بعد الاستقلال. تُغطي الرواية مساحة زمنية لفترة ما بعد التحرير، وتتخمن بالخسارات، ومحكومين بأتم العيش في أمكنةٍ تضنّ بالحياة. هذا ما يحصل لإبراهيم دَرّاس، الجامعي الحالم بمعرفة اسم أبيه، ذلك أنه أمضى حياته ينوس بين أرجاء المدينة باحثاً عن قبره، أو شخص يملك ما يكذّب اتهامات أهل السوق بكونه ابناً لبيّاع خائن. تلك العبارات التي يكتبونها على الجدران، تجعله يبدو كمن يصارع العالم، فضلاً عن والدةٍ تعيب عليه العمل في بيع أفلام السينما؛ تلك المساحة التي تشكّل متنفّسه الوحيد، وتتيح له فسحةً للحياة مع عشيقاته وممارسة ما أراد يوماً أن يكونه كصاحب صوت عذب، ليمسي غناؤه سبيلاً للموارية عن أساه الذاتي، وعن حرمانه من حقوقه كسائر أبناء المقاتلين في الحرب، ومنعه من العمل في مؤسسات الدولة، وهروبه من الجندية بذرائع الدراسة والعمل.

«في هذي البلاد الحوت يأكل الحوت.. وقليل الجهد يموت» بهذه العبارة تتلخّص الأحقاد بين شخوص الرواية، في فضاء يكشف عن جغرافيا صحراوية يحيل إليها الكاتب، بما يجعل أي مدينة في البلاد تصلح مكانها. فنجد كنبسة تتحول إلى متحف، وفرنسيين اختاروا البقاء بعد التحرير ورفضوا تنسيب أطفالهم لمدارس العرب، مسلمين تنصّروا، ونصارى أسلموا طمعاً وحذراً. هكذا تسود فوضى الاعتقاد، وهشاشة الانتماءات. تسكن الجميع حمى التسلط، وهو أمر يحدث عندما يغيب في أفاقهم فهمٌ لغطاء يحمي، أو قانون يردع. لذا يبدو المشهد كمن يحيا فيه، حيث التسلط سيد المواقف، والجريمة تعلّف عتمة الليالي، وجثث الفتيات المغتصبات، والرؤوس الملقاة على زوايا المروج المهملة، صورٌ معتادة لأخبار الصحف الصباحية.

يشكل المرج اللاحق بالمدينة رمزاً لكل ما هو منزوٍ وهامشي، إذ يشبهه موظفو البلديات بالزائدة الدودية، ففيه يقطن الفقراء والمساكين؛ الحالمون بحنو الحياة. وهناك يجد عاشور جثة المغنية، ويحقّق معه لمعرفة أسباب موتها بطريقة فظة. لكنّ الحياة لا تترك له الإجابات، فملابسه والصورة التي بحيا عليها مع عائلته تجيب للمفتش: «لم أجد شيئاً يستحق الذكر.. فحياتي حياة مقهورين». تنمو خيوط الجريمة وتتشابك لتصل حياة المغنّي الخاصة؛ فالضابط حميد يبدو على علاقة سرية بالميتة، وهو لم ينجُ كضحية فساد وظيفي لغاية تجيب للمناصب، فيُرحّل إلى المدينة الصحراوية، ويبدأ معركته مع خطاياها، من دون أن يعلم أنه أرسل للزواج من إحدى فتياتها، والعيش لهفاً للقاء مغنية الفندق. تحتلّ النساء جانباً من سيرة الألم، إذ تخرج أمهات يتربصن بمستقبل أبنائهن، إلى جانب محاميات تمرّدن على عالمهن، وبقين عالقات في دوامة الأحكام المسبقة والطعن في تأخرهن عن الزواج. فالمحامية نورة تتولى الدفاع عن بشير لبطم، المتهم بقتل المغنية، تبرز أشجانها أثناء سعيها للتفرد والاختلاف عن باقي فتيات المدينة، فيما تحلم المحامية حسينة كذلك بالخلاص والزواج من أي رجل في العاصمة. هكذا يخرج القهر عبر استرجاع سيرهن الذاتية، كما سيرة زكية الميتة الحية، إذ تربط بموتها أحوالهن في مكان منع عنهن أبسط أسباب الحياة، وتحت سلطة عجزت عن إدارة ما تبقى من البلاد.

يسود الضياع، ويفقد أهل المدينة بوصلتهم. يودع بشير السجن في صورة شبه مفلسة، إذ لا يتضح وجود متهم آخر، ويبقى إبراهيم في دوامة بحثه عن براءة أبيه. حتى العائدون من دول الغرب إلى بلادهم، يأخذون نصيبهم، ويغتالهم نقص الأغذية، والافتقار للأدوية، والجوع الذي أحال المدينة إلى مكان ممسوم. أما كمال، موظف الاستقبال في الفندق، فيبدو محكوماً باللهاث لحيازة السطوة والمكانة، ليُذاع على الألسن أخبار إضراب قادم، وتتعقد قصة مقتل زكية، لتطال مالك الفندق حين يثبت تورّطه في إخفاء قصة والد إبراهيم، ويمضي ليالٍ أرقاً من مقتل حيوات الجميع، فلا أحد بريء، كما أن لا أحد قاتل، وهكذا تصنع الفوضى أكثر الفترات حرجاً في تاريخ البلاد، بصورة تكسر من عنفوان الشعب، وتقضي على تفاؤلهم، وتؤرخ سيرة البسطاء في بحثهم الدائب عن معنى عيشهم المفقود.

«تكاد هذه المدينة تصير عاصمةً للمتسولين» من هنا يطرح الكاتب تساؤلاته عبر الرواية؛ فما هو معنى الدولة؟ وأين اختفت النخب التي راحت تحسم صراعاتها بعيداً عن الشعب؟ وهل من يحاسب مهدري قدرات الشباب ومالكي المدن بمقابير المجهولين؟ كله يُطرح كتجربة سردية لما يلي تاريخ ثورة أبهرت العالم، إذ يتسول الناجون حيواتهم من تبعاتها، فالموجَع بالسجن ظلماً يتوق إلى حريته، والقاتل مدفن أبيه يتسول نظرات القبول والرضا، والأمهات المكلومات يتسوّلن الهروب من القهر، في وقت يُعرف فيه اسم القاتل، ويشتعل حراك شعبي يفضي إلى إضراب عام، وتحت ستار الفوضى وغياب القانون، يدرك الجميع خَلَبية شعارات النخب الحاكمة، ويعلمون أنهم لم يكونوا في تلك المرحلة، على حد تعبير الكاتب، سوى جماعاتٍ جرارٍ مبتور الأجنحة.

أوراق

بريندا زلاماني ــ «طير» (زيت على خشب ــ 30,5 × 30,5 سنتم ــ 2016)

طيور النبي إبراهيم في «سورة البقرة»

زكريا محمد *

ورد في «سورة البقرة» تعبير غامض جداً أثار الجدل طوال قرون عديدة، وهو: فصرّهن إليك: «وإذ قال إبراهيم: رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً» (البقرة 260).

والاتجاه العام أن كلمة «صرّهن»، تعني: أملهن أو اجمعهن إن كانت بضم الصاد (صُرّهنّ)، أو قطّعهن إن كانت بكسرها (صِرّهنّ): «فصُرْهُنَّ إليكَ، قال: فسروه كلُّهم فصُرهُنَّ: أَمِلْهُنَّ، قال: وأما فصِرهُنَّ، بالكسر، فإنه فُسِّر بمعنى: قَطِّعْهُنَّ، قال [الأزهري في التهذيب]: ولم نجد قَطَّعْهُنَّ معروفة» (لسان العرب). يضيف اللسان: «وكلهم فسروا فصُرهن أمِلْهن، وبالكسر فسّر بمعنى قطّعهن، قال الزجاج: قال أهل اللغة معنى صرهن إليك أملهن واجمعهن إليك» (لسان العرب).

هذا هو مختصر النقاش حول الجملة الملغزة. وكما نرى، فالمعنى العام للآية واضح. فهناك طيور تُقتل بشكل ما، وتُفرّق على الجبال، ثم تُعاد حية بأمر الله كي يطمئن إبراهيم. لكن ما هو غير واضح إنما هو المعنى الدقيق لجملة «فصرهن إليك». ويبدو لي أنّ جعل «صرهن» بمعنى قطّعهن نبع من وجود كلمة «جزءاً». إذا افترض أنّ الجزء هنا تشير إلى التقطيع إلى أجزاء. لكن، وكما رأينا من الأزهري أعلاه، فهناك تشكيك في أن «صرهن» تعني قطّعهن «ولم نجد قطّعهن معروفة». بذا، يمكن لي أن أقترح أن معنى التقطيع في الجذر «صرر» ابتدع من أجل تفسير الآية لا غير. فمن الواضح أن الآية تتحدث عن تقطيع الطيور، لذا كان لا بد لـ «صرّهن» أن تعني: قطعهن، حتى لو كان الجذر لا يعطي هذا المعنى. لكن أخذ الكلمة بهذا المعنى، يتعارض بقوة مع التقطيع. فكيف يمكن لإبراهيم أن يقطعهن إليه؟ ولماذا يقطعهن إليه؟

بالتالي، فكلمة «إليك» تنقض هذا التفسير. عليه، فإن اقتراح التقطيع خلق مشكلة أخرى هي كلمة «إليك».

وإذا أسقطنا احتمال التقطيع كما فُهم، يظل أمامنا احتمالان حسب المفسرين: اجمعن وأملهن. وفكرة الجمع لا تبدو مناسبة بالمرة. فإبراهيم أخذ الطيور الأربعة بين يديه، أي أنه جمعهن في الواقع. فلماذا عليه إذن أن يجمعهن ثانية؟ كذلك، فإن «أملهن» لا تبدو مناسبة. فكيف يميلهن إليه، وهن بين يديه، ويمسكهن من أرجلهن أو أجنحتهن في ما نفترض؟ والحقيقة أن فكرة الإمالة نابعة من الوجود المربك لكلمة «إليك». فهي لا تتوافق مع القتل والتقطيع، كما بيّنا أعلاه. إذ لا ينفع أن نقول: قطّعهن إليك، أو اقتلهن إليك. ومن هنا برزت الحاجة إلى الإمالة (أملهن إليك)، التي تزيد الأمور إبهاماً بدل أن توضحها.

بذا، فلدينا عقدتان اثنتان وليس عقدة واحدة في جملة فصرهن إليك: هما «صرهن» و«إليك». وعلينا أن نجد لكل منهما تخريجة كي نفهم طقس الطيور الأربعة في الآية. وقد حاول جيمس بيلامي أن يحل عقدة «إليك»، فاقترح أنها في الأصل «لبك»، بمعنى خلط، وأن الناسخ قرأها خطأ «إليك»، مضيفاً إليها الألف. بالتالي، فإبراهيم قطّع الطيور وخلط أجزاءهن جزءاً من هذا الخليط على جبل. لكن هذا اقتراح غير مناسب. فإذا كان الصر يعني التقطيع، فلا يجوز أن نقول: صرهن لبكاً. ذلك أن لبكاً تكون حالاً. ولا يجوز أن نقول قطّعهن خلطاً. المفروض أن يقال: قطعهن واخلطن خلط. أي: فصرّهن ولبّكهن لبكاً. عليه، فاقتراح بيلامي غير مناسب.

البكّ وليس إليك

أما أنا، فسأبدأ بكلمة «إليك». ذلك أن حلّ أمرها سيفتح الباب لحل أمر «فصرّهن». لكن قبل أن أقدّم حلّي، عليّ أن أذكّر بأن القرآن كان في البدء غير منقوط. بذا، فحرف الياء في «إليك» يمكن أن يُقرأ باء أو تاء أو ثاء أو نوناً. وأنا أقترح أنه يجب أن يُقرأ باء لا ياء. أي أننا مع «البكّ» لا مع «إليك». والبَكّ يعني كسر العنق، كما يعني التفريق والتخرق والزحم: «البَكُّ: دق العنق. بَكَّ الشيءَ يَبُكُّه بَكاً: خرقه أو فرقه. وبَكَّ فلان يَبُكُّ بَكَّةً أي زحم» (لسان العرب). يزيد القرطبي: «والبك: دق العنق. وقيل: سميت [مكة بكة] بذلك لأنها كانت تدق رقاب الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم» (تفسير القرطبي).

المعنى العام للآية واضح. هناك طيور تقتل بشكل ما، وتُفرق على الجبال، ثم تُعاد حية بأمر الله

ومن بين هذه المعاني، يبدو لي أنّ كسر العنق هو ما يتوافق مع معنى الآية. فالطيور «بُكّتْ» أعناقها، أي قُتلت بكسر أعناقها وقطعها في ما يبدو. وطقس القتل بكّاً، أي بكسر العنق، ليس مجهولاً، بل نحن نعرفه من التوراة: «ولكن كل بكر حمار تفديه بشاه. وإن لم تفده فتكسر عنقه» (خروج 13:13). وهكذا يفدى بكر الحمار من الموت بشاة، مثله مثل الإنسان، لكن إن لم يفد بشاه، فإنه يقتل بطريقة خاصة، هي بكّ العنق، أي كسره.

إذا صح هذا، فهو يستتبع أن «فصرّهن» يجب أن تعني اقتلهن، امتهن. والمشكلة أنّ أياً من القواميس، لم تقل لنا أن «الصرّ» يعني القتل والإماتة هكذا مباشرة. كما أن هناك من شكك بقوة في أن الصر يعني التقطيع، كما رأينا أعلاه.

بناء على هذا، فاقتراحي يقوم على أنّ تصحيفاً بسيطاً حصل في «فصرهن». فقد كانت هناك باء حُذفت وأضيعت. بذا فالآية تقول في الأصل: «فصَرِّبْهُنّ البكّ». و«الصرب هو القطع: والصرب: الكسب... وهو القطع أيضاً» (الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة). بذا، فالفعل صرب مثل الفعل صرم الذي يعني القطع: «والصرم مثل الصرب» (الزبيدي تاج العروس). يضيف الزبيدي: «صرب بمعنى صرم، بالميم، أي قطع».

بذا فالآية تقول: فصرّبهن، أي الطيور، تصريب البكّ، أي: صرّبهن بكّا. وهو ما يعني اقطع أعناقهن بطريقة البكّ، أو اقطع أعناقهن بكّا، أي عبر دق أعناقهن وكسرها. وهذا يعني في النهاية أمتهن، أو اقتلهن، بكّاً.

بذا فضياع الباء هو الذي أدى إلى كل هذا الغموض والتشوّش في الآية. وحين نقرأ «إليك» على أنها «البكّ» و«فصرّهن» على أنها «فصربهن»، فإن الغموض والتشوش يزولان، ويصبح للآية معنى واضح. كذلك، فإن هذا يمكن أن يوضح سبب وجود كلمة «جزءاً» في الآية. إذا أن كل طائر يُقطع إلى قطعتين: رأسه وعنقه التي فُصلت عنه. الجسد يوضع على جبل، والعنق على جبل، ثم يلتحمان معاً بإرادة الله، فتعود الطيور سعياً.

* شاعر فلسطيني

Samedi 4 Juin 2022 no21
السبت 4 حزيران 2022 العدد الواحد والعشرون

القوس

www.alqaous.com

12 صفحة

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

يموتُ مَنْ لا يستطيع الركض في الطرقات (...)
أهدي إلى جاري الجريدةَ كي يفتّش عن أقاربه، أُعزّيه غداً (...)
يا فجرَ بيروتَ الطويلا
عَجِّلْ قليلا
عَجِّلْ لأعرفَ جيّداً: إن كنتُ حيّاً أم قتيلا.

محمود درويش

جرائم الحرب الخامسة

[2022 - 1982]

مجزرة بناية عكر، الصنايع، بيروت 6 آب 1982 (أرشيف)

متابعة

جرائم لا يمرّ عليها الزمن

مرور اربعين عاماً على استشهاد 17825 شخصاً ليس مناسبة لتعزية ذويهم فحسب، بل للتذكير بان الجرائم التي ارتكبها العدو الإسرائيلي بحقهم في لبنان لا يمرّ عليها الزمن، وان افلاته من العقاب لا يعني ان القضية انتهت. بل على العكس، اذ ان القصف الذي تعرضت له المدن والبلدات من اقصى الجنوب وصولاً الى العاصمة، من البحر والجو والارض، قتله ودمّر واحرق كل شيء، لكنه لم يقوَ على شباب تمكنوا، منذ عام 1982، من ممارسة حقهم بمقاومة الاحتلال، وهو حق كرّسته المادة 51 من ميثاق الامم المتحدة. وعليه، فلا راية بيضاء في بيروت

■ عمر نشابة

كانت الساعة الواحدة ظهراً يوم الأحد 6 آب 1982، وكانت الطائرات الحربية الإسرائيلية تحوم في سماء العاصمة وكأنها ترصد هدفاً ما. لم تمرّ دقائق قليلة حتى سُمع صوت انفجار كبير في منطقة الصنائع، على بعد أمتار من مبنى وزارة الاعلام وكلية الحقوق في الجامعة اللبنانية. تبين لاحقاً أن الهدف كان بناية عكر المؤلفة من سبع طبقات، وقد دمرها العدو الإسرائيلي بالكامل. البناية

يذكر ان عدد الشهداء ليس دقيقاً لان بعضهم دفنوا في قبور جماعية لتعذّر نقلهم إلى برادات المستشفيات، او بسبب تقطع جثثهم اشلاء مبعثرة، وبعضهم لم يعثر على جثثهم بين ركام الابنية

كانت مكتظة بالأطفال والنساء والشيوخ، معظمهم كانوا قد هُجّروا من مخيمي الضبية وجسر الباشا خلال الحرب الاهلية. دمّر الإسرائيليون المبنى على قاطنيه فقتل أكثر من 250 مدنياً خلال ثوان. وبدا ان العدو الإسرائيلي لم يكتفِ بذلك بل اراد ان يوسّع اجرامه. ففي الخامسة بعد الظهر، وفيما كان طواقم الإسعاف تنتشل الجثث من تحت أنقاض بناية عكر، انفجرت عبوة ناسفة في سيارة مفخخة كانت على مقربة منهم، أمام مدخل وزارتي الاعلام والسياحة، واستشهد 11 شخصاً لتبلغ حصيلة القتل الإسرائيلي 261 شخصاً خلال ساعات قليلة وفي وضح النهار. كانت هذه الجولة من مسلسل الاجرام المكثف قد بدأت في 4 حزيران 1982 واستمرت الى ما بعد مجزرة صبرا وشاتيلا في 16 أيلول 1982.

أظهرت قيود المستشفيات والمستوصفات والدفاع المدني أن عدد الذين استشهدوا وجرحوا منذ بداية الغزو الإسرائيلي للبنان في 4 حزيران 1982 وحتى نهاية شهر آب بلغ 17825 شهيداً و30103 جرحى توزعوا كالآتي:

- 2195 شهيداً و3081 جريحاً في صور وعدلون والبص والبرج الشمالي والرشيدية وقرى قضاء صور.
- 5376 شهيداً و8439 جريحاً في قضاء صيدا والمية ومية وعين الحلوة والمرية والجية والسعديات والدلهمية وسبلين ووادي الزينة والدامور.
- 933 شهيداً و1578 جريحاً في الناعمة وحارة الناعمة وخلده والاوزاعي.
- 3806 شهداء و5966 جريحاً في الشوف وعاليه والبقاع الغربي.
- 5515 شهيداً و11139 جريحاً في بيروت والضاحية الجنوبية.
- وتبلغت أجهزة الأمن عن فقدان 237 شخصاً.

لنستعد بعض ابرز الجرائم التي ارتكبت خلال هذه الفترة التي تعد محطة اساسية في تاريخ تكوين الجمهورية اللبنانية من خلال رمزية حصار العاصمة بيروت واحتلالها، وكون لبنان الدولة العربية الوحيدة التي تعرضت عاصمتها لهجوم عسكري بهذا الحجم.

حزيران: قتلة من الجو والبحر والبر

غارات مكثفة للطيران الحربي الاسرائيلي وبشكل متتال على أحياء سكنية ومؤسسات صحية وتربوية مجاورة لمنشات المدينة الرياضية وجامعة بيروت العربية وفي مناطق الفاكهاني وبئر حسن وبرج البراجنة وحي السلم والليلكي والبسطة والسوديري وبرج ابي حيدر والكولا والروشة ومخيمي صبرا وشاتيلا ومطار بيروت الدولي ومحيطه وكورنيش المزرعة وراس النبع مع مشاركة البوارج الإسرائيلية الموجودة قبالة الشاطئ اللبناني في القصف. ومنذ 18 حزيران، تكثف القصف من البوارج الحربية ومدفعية الميدان للأحياء السكنية في حي السلم وبرج البراجنة والرملة البيضاء والأوزاعي وطريق المطار ومحيطه وأطراف صبرا وشاتيلا ومنطقة بئر حسن. واستُهدف مستشفى غزة بعدة قذائف ما أدى الى استشهاد بعض المرضى والأطباء والممرضين. كما تعرض مبنى دار العجزة الإسلامية للقصف وأصيب عدد من المسنّين. وفي 22 حزيران، أغارت طائرات هليكوبتر حربية على محلة المنارة وقصفت الحمام العسكري التابع للجيش اللبناني حيث استشهد عدد من الجنود وجرح آخرون.

وتركز القصف في 24 و25 حزيران على برج البراجنة ومحيط المطار والأوزاعي، كما قصفت الزوارق الإسرائيلية المنطقة الممتدة من عين المريسة حتى الجناح مروراً بالرملة البيضاء والمنارة والروشة، وأغارت الطائرات الإسرائيلية على مناطق المزرعة وأبي شاكر والبسطة وقصقص والملعب البلدي ومحيط جامعة بيروت العربية وبئر حسن وشاتيلا، وألقت صواريخ من وزن ثقيل هدمت ثلاثة مبان في محلة أبي شاكر، واشعلت حرائق في منازل وسيارات عدة. علماً ان سيارات الإطفاء كانت تعاني من نقص في المياه بسبب الحصار.

تموز: قطع المياه والكهرباء

أحكم العدو الإسرائيلي الطوق على بيروت وضاحيتها الجنوبية وقطعت قواته بوابات العبور بين المنطقتين الشرقية والغربية في غاليري سمعان والمتحف وفرن الشباك والمرفأ.

وضيّق جيش الاحتلال الحصار ليشمل المواد التموينية والصحية مع تصعيد عسكري بقصف مكثف على أحياء العاصمة والضاحية الجنوبية.

كما منع العدو الإسرائيلي في 8 وفي 16 تموز دخول شاحنات محملة بالطحين والمحروقات والخضار والمواد الغذائية الأخرى الى بيروت، ومنع مرور قافلة محملة بالأدوية ترفع علم الصليب الأحمر. واستمر قطع مياه الشرب. وفي 9 تموز توسعت دائرة القصف الإسرائيلي لتطال فرن الشباك والبرزة والقيادية وعين الرمانة والحازمية والحدث وبعبدا.

وقد يكون يوم 11 تموز الأعنف منذ بدء الحرب العربية الإسرائيلية الخامسة حيث تساقطت القذائف بمعدل ثلاثين قذيفة في الدقيقة على مدى 18 ساعة متواصلة. واستخدم العدو في قصفه البري والبحري مختلف أنواع القذائف العنقودية والانشطارية والفوسفورية. وأدى تساقط القذائف إلى اصابة المستشفى الحكومي في بعبدا ومستشفى البربير ومستشفى عكا ودار الأيتام الإسلامية ما أدى إلى استشهاد أكثر من 75 قتيلاً و180 جريحاً.

صعّد العدو في 27 تموز عمليته العسكرية جواً وبحراً وبراً، فتعرضت منطقة الروشة المكتظة بالسكان لغارات جوية متتالية وقصف بحري عشوائي أدى إلى تدمير مبنيين على من فيهما واصابة عشرات الأبنية المأهولة.

وفي 29 تموز منع الجيش الاسرائيلي إدخال ثماني شاحنات محملة بالطحين وابلغت اللجنة الدولية للصليب الأحمر المشرفة على نقل هذه المادة قرار المنع. وأحرق جيش العدو ثلاث شاحنات محملة خضاراً وفاكهة كانت تحاول الدخول الى بيروت من جهة حي السلم.

آب: اطنان من الحديد والنار

يوم الاول من آب 1982 يعرف بالأحد الأسود: 185 ألف قذيفة سقطت على بيروت والضاحية الجنوبية (26 ألف طن متفجرات) وأصابت آلاف الأبنية السكنية ما أدى الى عدد كبير من الضحايا. كما نفذت الطائرات الحربية الإسرائيلية نحو 210 غارات على أحياء عدة بمعدل غارة كل ثلاث دقائق على مدى 15 ساعة متواصلة، وشاركت في القصف البوارج البحرية الحربية والدبابات الثقيلة.

وفي 12 آب شهدت بيروت وضاحيتها الجنوبية 11 ساعة من القصف المتواصل براً وبحراً وجواً ما أدى إلى سقوط عدد كبير من الضحايا انتشل بعضهم من تحت المباني المدمرة في الرادوف في الضاحية الجنوبية. وذكر ان الطائرات الإسرائيلية التي شنت 200 غارة ألقت أكثر من 1500 قذيفة من عيار 500 رطل و350 رطلاً فضلاً عن 12 ألف قذيفة من البحر و30 ألف قذيفة من الدبابات والمدفعية الأرضية في يوم واحد.

يُذكر أن منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف) وثقت بين 4 حزيران و15 آب 1982، استشهاد 29506 شخص 80% منهم مدنيون.

ستخصص القوس عددا خاصا لمجزرة صبرا وشاتيلا في شهر ايلول المقبل

الحروب العربية الاسرائيلية

- الحرب الاولى 1948
- الحرب الثانية 1956
- الحرب الثالثة 1967
- الحرب الرابعة 1973
- الحرب الخامسة 1982
- الحرب السادسة 1996
- الحرب السابعة 2006
- الحروب المستمرة بحق الشعب الفلسطيني في الضفة وغزة والداخل الفلسطيني.

خلال هذه الحروب ارتكب العدو جرائم ضد الانسانية وجرائم حرب من خلال الاعتداء على المدنيين والطواقم الطبية والمستشفيات واستخدام اسلحة محرمة دولياً ومصادرة الاملاك والاراضي ومحاولة ابادة الشعب الفلسطيني

17825
شهيداً

30103
جرحى

من 4 حزيران حتى آخر آب 1982

تحت القوس

شهادة من زمن الحرب الخامسة

40 سنة على الحصار

■ معن بشور *

ظلمنا، مرتين، الحرب العربية الخامسة التي كان لبنان ساحة لها صيف 1982، وشارك فيها لبنانيون وفلسطينيون وسوريون وعرب وأحرار من ارجاء العالم.

ظلمناها مرّة حين سميناها «الاجتياح»، فيما كانت حرباً استمرت أكثر من ثلاثة أشهر بين السادس من حزيران والثامن والعشرين من أيلول 1982، عندما اضطرت قوات الاحتلال إلى الانسحاب من العاصمة، فيما كان جنودها يصرخون عبر مكبرات الصوت «يا أهل بيروت... لا تطلقوا النار علينا إننا منسحبون».

وظلمناها مرة أخرى حين تغاضت أطراف رسمية معنية بهذه الحرب، كالدولة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية، عن ملاحقة جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبها جيش الاحتلال أمام المحاكم الدولية. ولولا محاولة يتيمة لم يكتب لها الاستمرار قامت بها لجنة من شخصيات فلسطينية ولبنانية لملاحقة مرتكبي جريمة مجزرة صبرا وشاتيلا، يمكن القول إن واحدة من أبشع الحروب التي ارتكبت فيها جرائم ومجازر وفظائع مرّت من دون حساب.

من هنا تأتي مبادرة «القوس»، اليوم، بفتح ملف هذه الحرب بعد نصف قرن، لتؤكّد أن محطات حرب 1982 لا تموت في ذاكرة الأحرار، وأن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية لا تسقط بمرور الزمن، ما يتطلب تحركاً لبنانياً وفلسطينياً وعربياً أمام القضاء الجنائي الدولي لمحاكمة مجرمي الحرب في الكيان الصهيوني، حتى من فارق منهم الحياة كمجرم الحرب أرييل شارون، وكل من تثبت الوقائع مشاركته في التحضير لهذه الحرب وتنفيذها.

وإذا كانت مجزرة صبرا وشاتيلا التي ارتكبت يومي 15 و16 أيلول/سبتمبر 1982 العنوان الأبرز للجرائم التي ارتكبها جيش الاحتلال الصهيوني، بعد انسحاب القوات الفلسطينية والسورية من بيروت بموجب اتفاق فيليب حبيب (المبعوث الأميركي المقيم في لبنان خلال الحرب) التي أقرّت حماية دولية للمخيمات قبل أن تنسحب القوات المتعددة الجنسية من مواقعها عشية المجزرة لسبب لا يزال مجهولاً، فإن ما ارتكبه المحتل من مجازر أخرى لا يزال ماثلاً في الأذهان.

فكل الجرائم ضد الإنسانية التي ينص عليها القانون الدولي وتفصّلها الاتفاقيات الدولية ذات الصلة، ارتكبها جنود الاحتلال الصهيوني في الحرب التي امتدت على جزء كبير من الأرض اللبنانية، من الجنوب إلى البقاع الغربي والشوف وبعبدا، وصولاً إلى العاصمة بيروت التي شهدت حصاراً شاملاً امتّد ثلاثة أشهر، ويمكن أن

ظلمناها مرّة حين سميناها «الاجتياح»، فيما كانت حرباً استمرت أكثر من ثلاثة أشهر بين السادس من حزيران والثامن والعشرين من أيلول 1982

يشكّل وحده قرينة على ارتكاب العدو لجرائم ضد الإنسانية.

ففي ذلك الحصار لم يكتفِ العدو بمنع دخول مواد عسكرية أو مقاتلين إلى العاصمة اللبنانية، بل شمل الحصار المواد الغذائية وحليب الأطفال، ناهيك عن قطع المياه والكهرباء عن سكان عاصمة يتجاوز عدد من بقي فيها مئات الآلاف من المواطنين. وكل من عاش تلك الحرب علم كيف كانت تجري اتصالات، كلما طالت فترة انقطاع الكهرباء، بين الملك فهد بن عبد العزيز والرئيس الأميركي رونالد ريغان الذي كان بدوره يتصل برئيس حكومة العدو مناحيم بيغن لإعادة التيار الكهربائي أو ضخ المياه إلى الأطفال والشيوخ والمرضى الصامدين في بيوتهم في العاصمة. واشتد الحصار مع حلول شهر رمضان المبارك، فحُرم الصائمون من كثير من المواد الغذائية، بل وأضاف العدو إلى ذلك جرائم متعمّدة حيث كان يشدّد من قصفه الجوي والبحري للعاصمة خلال موعد الإفطار، لا بل يفجر سيارات مفخخة في موعد توجه الصائمين إلى بيوتهم.

ولعل من أبشع الجرائم التي ارتكبها العدو بحق المدنيين العزّل قصفه لأبنية بكاملها بـ«القنابل الفراغية»، كما حصل في «بناية عكر» في محلة الصنائع، التي استمرت أعمال إسعاف الجرحى وإخلاء الجثث منها أياماً، وبلغ عدد الضحايا بين شهيد وجريح أكثر من 200، إضافة إلى تدمير أبنية على من فيها في الطريق الجديدة وبرج أبو حيدر والنويري والروشة بذريعة وجود مكاتب عسكرية أو مقرات لبعض قادة المقاومة فيها... وهو ما ذكّرتنا به بجريمة قصف الجيش الأميركي لملجأ العامرية في العراق عام 1991، والتي بلغ عدد شهدائها المئات ولا يزال مرتكبوها من دون أي ملاحقة قانونية.

لم تكن السيارات العسكرية وحدها هدفاً لطيران الاحتلال، بل أيضاً السيارات المدنية وسيارات الاسعاف. وقد قدّم متطوعو الدفاع المدني في جمعيات مدنية بيروتية شهداء عديدين تم استهدافهم اثناء قيامهم بأعمال إنسانية في أكثر من منطقة في العاصمة والضواحي. وقد بدأ هذا الاستهداف منذ الساعات الأولى للحرب، مع قصف بعض هذه السيارات والمتطوعين في محيط المدينة الرياضية التي كانت أول أهداف الحرب الصهيونية ظهر يوم الجمعة في السادس من حزيران 1982.

وإذا كنت قد ركّزت في هذه العجالة على بعض جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبت في العاصمة، فهذا لا يعني التقليل من جرائم مماثلة ارتكبها العدو في كل المناطق التي دخلتها قواته، بما فيها المخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان التي شهدت أكثر من مجزرة.

إن أي استعادة لمجريات تلك الحرب من قبل مراكز توثيق وأجهزة رسمية تتوفر للحكومة اللبنانية، كما لمنظمة التحرير الفلسطينية، مادة كافية لملاحقة قضائية للكيان الصهيوني، لا سيّما أن مثل هذه الجرائم لا تسقط بمرور الزمن، خصوصاً أن هذا الكيان لا يزال يرتكب حتى الساعة مجازر وجرائم بحق شعبنا العربي الفلسطيني، وضد لبنان وسورية وصولاً إلى أقطار بعيدة عن خطوط المواجهة.

فهل يقدم المسؤولون اللبنانيون والفلسطينيون على ذلك؟ وهل تقدم المنظمات والنقابات المحلية والإقليمية والدولية المعنية بالعدالة والإنصاف وحقوق الإنسان على مبادرات، وتضغط لملاحقة جرائم العدو، ليس إحقاقاً للحق فحسب، بل أيضاً لوضع حدّ لجرائم هذا العدو المستمرة حتى الآن.

* تجمع اللجان والروابط الشعبية

في العمق

إعداد **بشرى زهوة**

سجل الجرائم الإسرائيلية... أدبيات ناقصة

سيرة جريمة

4 حزيران 1982

«قصف الطيران الإسرائيلي في 11 غارة متتالية منشآت المدينة الرياضية ومخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة وطريق المطار وبئر حسن، وأغار على منطقتي النبطية والزهراني في الجنوب».

5 تموز 1982

«الحصار الإسرائيلي المضروب على بيروت الغربية، وضاحيتها الجنوبية، شمل الماء والكهرباء والمواد التموينية والصحية».

6 حزيران 1982

«اجتاحت القوات الإسرائيلية جنوب لبنان، بعد ساعات على صدور قرار مجلس الأمن الرقم 508 الذي دعا إلى وقف فوري ومتبادل لإطلاق النار في لبنان. ودخلت الأراضي اللبنانية ثلاثة ألوية إسرائيلية معزّزة بالدبابات وناقلات الجند على ستة محاور في القطاعات الشرقي والأوسط والغربي. وتقدمت القوات الإسرائيلية على جبهة عرضها 90 كيلومترًا، من شبعا شرقًا حتى صور غربًا».

11 تموز 1982

«اشتعلت بيروت، وأمضت يومًا هو الأعنف منذ بدء الغزو الإسرائيلي، وقد تساقطت القذائف على مدى 18 ساعة متواصلة».

9 حزيران 1982

«استمرت العمليات الإسرائيلية في الشوفين الأعلى والأوسط والساحل الممتد من خلدة إلى السعديات مرورًا بالدامور، وفي الجنوب والبقاع الغربي».

16 تموز 1982

«شددت القوات الإسرائيلية الحصار التمويني على بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية، ومنعت مرور قافلة أغذية وأدوية ترفع علم الصليب الأحمر، وكذلك منعت عبور شاحنات طحين وصهاريج محروقات».

28 تموز 1982

«واصلت إسرائيل قصفها البربري المجنون على بيروت الغربية والضاحية الجنوبية، مستهدفة المناطق والأحياء السكنية الآهلة بالسكان».

10 حزيران 1982

«قصفت الطائرات الإسرائيلية أحياء في منطقة بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية وصبّت قذائفها عشوائيًا على محلات صبرا والفاكهاني وشاتيلا. وفي البقاع أغارت على طريق بعلبك - حمص وألقت بصواريخها على قافلة من السيارات المدنية... فسقط 60 قتيلًا و200 جريح معظمهم نازحون من مناطق القتل».

1 آب 1982 – الأحد الأسود

«ألف قذيفة سقطت فوق بيروت الغربية والضاحية الجنوبية. زهاء 26 ألف طن متفجرات، حصدت آلاف الأبنية وعشرات الشهداء، وغيّرت معالم الشوارع والطرقات والأحياء».

25 حزيران 1982

«تعرّضت بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية لقصف وحشي مجنون لم يسبق له مثيل من البر والبحر والجو حصد أكثر من 400 شخص بين قتيل وجريح».

2 آب 1982

«خرقت إسرائيل وقف إطلاق النار التاسع، وقصفت بشكل مركّز أحياء حي السلم والليلكي ومخيم برج البراجنة».

2 تموز 1982

كشفت صحيفة «تايمز» البريطانية أن الجيش الإسرائيلي استخدم على نطاق واسع وبكثرة القنابل العنقودية (المحرّمة دوليًا) ضد المدنيين في لبنان».

10 آب 1982

«واصلت إسرائيل قصفها البربري المجنون على بيروت الغربية والضاحية الجنوبية، وصبّت قذائفها على منطقتي النبطية والزهراني في الجنوب».

كانت للأدب مساهمة في رصد الأحداث التي مرّت على لبنان إبان الحرب العربية – الإسرائيلية الخامسة وحصار بيروت والجرائم التي ارتكبت بحق الآف السكان. عشرات الكتّاب سجّلت مشاهدات ووثّقت أحداثاً سياسية وعسكرية واجتماعية وإنسانية، لكنها أصبحت شبه منسية وكأنها جزء من ماضٍ سحيق، فيما الجرائم الإسرائيلية التي نقرأ عنها في منشورات صدرت منذ أكثر من ثلاثة عقود لا تزال تتكرر وتتمادى.

بعض ادبيات الحرب الخامسة في سطور

● في أواخر شباط 1984، نشر الأديب الفلسطيني إدوارد سعيد (1935-2003) مقالته «إذن بالرواية» (بالإنكليزية) حول أهوال الحرب الخامسة على بيروت، صيف 1982، لنقد آلية صياغة رواية العدو النقيضة في الإعلام الغربي، وخصوصًا الأميركي، بشأن الحدث ذاته، وتحديدًا مجزرة صبرا وشاتيلا.

● «أربع ساعات في شاتيلا»، مقال لا يتجاوز حجمه العشرين صفحة، للشاعر الفرنسي جان جينيه، اعتُبر أكثر من شهادة جريئة، بل فعل مقاومة في وجه الجلّادين المفتخرين بانتصاراتهم، وثّق فيه جينيه مشاهد المجزرة التي ارتكبها العدو في مخيمَي صبرا وشاتيلا.

● «بيروت صغيرة بحجم راحة اليد.. يوميات من حصار عام 1982»، كتاب للأديب والشاعر الأردني أمجد ناصر يصف فيه مشهد الحرب الإسرائيلية الخامسة لبيروت عام 1982 بأنّه كان أشبه بنهاية مصغّرة للعالم، إذ كانت نيران القصف كثيفة و«تتجاوز الانتقام» إلى ما يصفه بالإفناء والعقاب الجماعي.

> **الجرائم الإسرائيلية التي نقرأ عنها في منشورات صدرت منذ أكثر من ثلاثة عقود لا تزال تتكرّر وتتمادى**

● «كرة الثلج.. أسرار التدخل الإسرائيلي في لبنان» للصحافي الإسرائيلي شيمون شيفر، وهو كتاب ينقل وجهة نظر العدو، ويكشف خفايا وأسرار دخول العدو الإسرائيلي إلى لبنان، كما يحملنا إلى دهاليز الجلسات الخاصة والاجتماعات السرية بين الأطراف المعنية، والتي أدّت إلى حصار بيروت.

● كتاب "Lebanon: Levantine Calvary، 1958–1990" للصحافي الجنوب أفريقي ال جي فينتر، وهو عبارة عن تسلسل زمني للأحداث، إضافة إلى صور فوتوغرافية. يروي فينتر المقرب من أرييل شارون أحداث الحرب من وجهة نظر العدو الإسرائيلي.

● كتاب "Final Conflict: The War in the Lebanon" للسياسي الأميركي جون بولوك الذي يقدّم في كتابه هذا تقريرًا شاملًا عن التوغل الإسرائيلي الذي بدأ في حزيران 1982، وخلّف 19 ألف قتيل و31 ألف جريح و60 ألف مشرد، ودمر ربع العاصمة اللبنانية، كما جاء على ذكر المذبحة المروّعة في مخيمي صبرا وشاتيلا.

● كتاب Km into Lebanon: 40 Israel's Invasion 1982 لتوماي ديفيس، وفيه عرض لتصاعد الأحداث منذ عام 1981 وحتى اندلاع الحرب عام 1982، كما يتضمّن خرائط لسير الغزو الإسرائيلي، مركزًا على الشق السياسي للحرب أكثر من الجوانب الأخرى.

● كتاب "Dilemmas of Security: Politics, Strategy, and the Israeli Experience in Lebanon" للباحث الإسرائيلي أفنير يانيف، وهو عبارة عن دراسة شاملة حول الحرب الإسرائيلية على لبنان عام 1982 وتداعياتها. يعرض يانيف العوامل التي ساهمت في صنع القرار الإسرائيلي، ويظهر من هم أصحاب القرار استناداً إلى بحث مكثف ومعرفته الشخصية بكيفية عمل حكومة الإحتلال الإسرائيلي وجيشه، كما واجه أسئلة صعبة أثارها الصراع، أحدها: لماذا لجأت «إسرائيل» إلى القوة لحل مشاكلها؟

«أحرقوا

هدموا المنازل على من فيها
شرّدوا الآف العائلات والأطفال
قتلوا الآف المدنيين الأبرياء
قصفوا المساجد والكنائس والمستشفيات
بصماتهم في كل قرية ومدينة في جنوب لبنان، وفي البقاع، وفي الجبل، وفي كل حي من أحياء بيروت الغربية والضاحية الجنوبية»

جاء ذلك في مقدمة المسلسل اليومي للحرب الخامسة من كتاب «اجتياح بيروت» الذي أعدّته «وكالة مختارات الأخبار العربية والعالمية» (1983) التي يرأس تحريرها رجا سري الدين. يكاد هذا الكتاب يكون واحداً من المراجع القليلة التي توثّق جرائم العدو بالتاريخ والأحداث التفصيلية والصُوَر. تضمّن الكتاب تقارير ووثائق سياسيّة متزامنة مع أحداث الحرب.

> **مزيد من الادبيات عن الحرب الخامسة وحصار بيروت على موقع القوس**

كتاب ويلات وطن - روبرت فيسك (1946-2020)

«تصرّف الإسرائيليون بوحشية، وأساؤوا معاملة الأسرى، وقتلوا آلاف المدنيين، وكذبوا في وصف ما قاموا به من أعمال، والحقيقة هي أنهم تصرفوا بالطريقة غير المتحضرة التي كانوا في السنوات الثلاثين الماضية ينسبونها إلى الجيوش العربية للحطّ من شأنها.

«إن انهيار الصورة الإنسانية لإسرائيل لحظة مدمّرة في تاريخها. فقد كان لأخبار حصار بيروت الغربية - بخاصة التلفزيونية التي يظهر فيها جيش في غاية القوة وهو يقصف في أكثر الأحيان مناطق مدنية - تأثير لا يوصف على الرأي العام في الغرب. فأولئك الذين كانوا يشعرون - ولو بدون وعي - أن إسرائيل راعية القيم والأخلاق في عالم مضطرب اضطروا إلى إعادة النظر في ذلك. وليس هناك ما يثير الدهشة في أن مناصري إسرائيل في الخارج - وخصوصًا يهود الشتات - أصيبوا بصدمة كبيرة وتملّكهم الشعور بالغضب عندما رأوا الشواهد والأدلة».

"تمتُ قبل ساعتين .. وضعتُ قطعتي قُطن في أُذنيّ ونمت بعدما استمعتُ إلى نشرة الأخبار الأخيرة. لم تقل إنّي ميّت، معنى ذلك أنّني حيّ".

جريمة في السينما

السينما والتلفزيون
البروباغندا التزوير التاريخ

■ **شفيق طبارة**

(ناجي العلي ـ فلسطين)

لا شك في أن السينما، قبل أي شيء آخر، أداة عظيمة لإيصال الأفكار. منذ ظهورها، صُمّمت لإغواء الجمهور بالوتيرة والقوة والفعالية التي لا تتوافر لأي وسيلة اتصال جماهيرية أخرى. ومع المهارات السينمائية والتقنيات الصحيحة، يمكن أن تصبح ملهماً للشعوب. لذلك، ليس مستغرباً أن تستخدم الحكومات في كل أنحاء العالم هذا الوسيط الفني على نطاق واسع. البروباغندا (سينما دعائية) تعني نشر الرسائل التي يكون محتواها أيديولوجياً بطبيعته، بهدف مشاركة الجمهور في الالتزام أو الاقناع أو التعاطف أو استدراج سلوكيات أو مواقف معينة. ولطالما استخدمت الأنظمة السياسية السينما لأغراض ترويجية. عند تأسيس «دولة» إسرائيل، مثلاً، تم تبنّي السينما الدعائية لرفع الروح المعنوية للشعب، وللتأكيد على حلم الدولة المستقلة لاستعادة الأرض، وبناء المدن، وخلق حياة ثقافية، وتصوير فلسطين على أنها خالية من الناس وتنتظر الخلاص. كما لجأت «إسرائيل»، دائماً، إلى السينما لتبييض صورتها، تماماً كما فعل الصهاينة قبل قيام «الدولة» عبر أفلام الهولوكوست في هوليوود، من خلال إظهار شخصية اليهودي المقهور والضحية. وبعد قيام الكيان الصهيوني، بدأ الإسرائيليون يكتم التاريخ وكتابته بلغتهم ومخيماتهم وبالطريقة التي تناسب حركتهم.

افلام الحرب

الخدمة العسكرية والحروب نقطتان محوريتان في حياة الإسرائيليين، ولهذا شاعت «أفلام الحرب» بشكل كبير في السينما الإسرائيلية. نجاح هذه الأفلام في طمس معالم الجرائم التي ارتكبها الصهاينة دفع بالقائمين على السينما إلى المضي قدماً في هذا المجال. تحاول هذه الأفلام ترسيخ أهمية الحرب في عقل المشاهد الإسرائيلي وموقعها في تحديد مصير مئات الآلاف من اليهود واستمرار بقاء الدولة. أفلام مثل «لبنان» (2009) و«فالس مع بشير» (2009) و«زيتون» (2012) وغيرها الكثير حاولت إظهار «إنسانية» الجندي الإسرائيلي ضد «وحشية» أعدائه الذين «يجبرونه» على قتلهم، والتركيز على صدمة الجنود الإسرائيليين من الحرب، فيما تتجنّب المواجهة الأخلاقية عن الحرب والمجازر، خصوصاً مجزرة صبرا وشاتيلا وما يفعله الجيش الإسرائيلي في لبنان من الأساس. بهذه الطريقة، تتحايل الأفلام على قضايا المسؤولية الفردية والجماعية لحرب لبنان والاعمال الاجرامية الإسرائيلية المستمرة في حق الفلسطينيين، هنا لا بد من الإشارة إلى تزامن إطلاق فيلم «فالس مع بشير» في الصالات خلال فترة العملية العسكرية على قطاع غزة في 2008 -2009.

تحاول هذه الأفلام الدخول في وجهات نظر الجنود «ضحايا» لأهوال الحرب وطمس الخلفية الأخلاقية والسياسية للصراع. فتصبح الحرب هي محنة الجنود، ويتحولون إلى ضحايا لها بدل المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين الذين تعرضت مدنهم ومخيماتهم للقصف والدمار. كما يتم تحويل لبنان وفلسطين في هذه الأفلام إلى ساحة لعب حيث يمكن للجنود الإسرائيليين أن ينغمسوا في افتتانهم اللاإرادي بالتهم الحربية. وتميل هذه الأفلام إلى الانشغال بالمعضلات الأخلاقية للجنود، وتعتبر المجازر والفظائع حالات شاذة لا جزءاً من ثقافة منهجية، ويُعتبر الجنود مثاليين وأبرياء. وحتى الأفلام التي تحمل رسالة «السلام» أو المناهضة للحرب فإنها تعمل بطريقة عكسية، وتحاول إخفاء العنف الذي يرتكبه الجيش الإسرائيلي. فيما تقدّم الأفلام التي تحمل خطاباً «إنسانياً» نظام الفصل العنصري وعدم المساواة في فلسطين كأمر مفروغ منه.

> **تصوّر الأفلام الاسرائيلية الجنود كـ«ضحايا» لأهوال الحرب وتطمس الخلفية الاخلاقية والسياسية للصراع**

للذهاب ابعد من كل هذا، حاولت «إسرائيل» مرات عدة الغاء الحرب اللبنانية - الإسرائيلية من التاريخ. فيلم «تساهال» (1994) لكلود لانزمان، عن «جيش الدفاع الإسرائيلي»، ومدته خمس ساعات، فشل تماماً في معالجة الحرب في لبنان، ومر بصمت أو بسطحية على الاجتياح الإسرائيلي للبنان واحتلال الجنوب اللبناني الذي كان لا يزال قائماً لدى عرض الفيلم للمرة الأولى. هكذا، محا الفيلم لبنان من تاريخ الجيش الإسرائيلي وما قصف البلدات وتدمير المخيمات وحصار بيروت ومجزرة صبرا وشاتيلا.

نتفليكس واخواتها

في السنوات الأخيرة، مع ازدهار منصات التدفق الرقمي مثل «نتفليكس» و«أبل تي في» وغيرهما، لوحظت طفرة في البرامج والمسلسلات على الشاشة الصغيرة التي تبجل الجيش الإسرائيلي وأجهزة الاستخبارات وتشيطن الفلسطينيين. تصور هذه المسلسلات والأفلام «بطولات» جهاز الاستخبارات الإسرائيلي (الموساد) وتلاقي ازدهاراً وانتشاراً عالمياً، وتعدّ أداة جديدة للترويج لإسرائيل كـ«حليفة للخير». ولأن المنصات الرقمية من المصادر الرئيسية للمعرفة لكثير من الناس، فإن هذه المسلسلات ليست اقل خطورة من السينما والتلفزيون، مثل «فوضى» (متوافر على نتفليكس) الذي يبجّل عمل «المستعربين» (وحدات امنية سرية وخاصة يُزرع أعضاؤها الذين يحملون ملامح عربية وسط المتظاهرين الفلسطينيين)، و«الجاسوس» (متوافر على نتفليكس أيضاً) الذي يقدّم مغالطات تاريخية حول العميل الإسرائيلي إيلي كوهين، و«الملاك» حول أشرف مروان (صهر الرئيس جمال عبد الناصر) الذي تعتبره إسرائيل عميلاً مزدوجاً للاستخبارات المصرية والإسرائيلية، و"The Red Sea Diving Resort" حول تهريب يهود الفلاشا من اثيوبيا إلى فلسطين المحتلة عبر السودان ويركز على الوجه «الإنساني» لعملاء الموساد وإصرارهم الكبير على إنقاذ أبناء ديانتهم من الاضطهاد رغم الاختلاف العرقي والثقافي بينهم، ومسلسل «موساد 101» ووثائقي «داخل الموساد» اللذين يركزان على الجانب «الإنساني» لعملاء الجهاز وتجاربهم الشخصية.

ما تحاول «إسرائيل» فعله من خلال الأفلام والمسلسلات الجديدة هو تقديم صورة بطولية لهذه الأجهزة وعملائها، وأن تخلق في ذهن المشاهد صورة مضلّلة عن الواقع. ويراهن الإسرائيليون على أن إعادة إنتاج قصصهم وإخبارها من وجهة نظرهم سيخلق مع الوقت رأياً عاماً جديداً مع جمهور كبير يستسقي المعلومات فقط من هذه المنصات. لذلك رحبت وكالة الاستخبارات الإسرائيلية بهذا التطور الجديد، بل وباتت تجند عملاء خصيصاً لشغل وظائف في الدعاية والاعلان على المنصات الشهيرة. لذلك نحن مدعوون في هذه الحرب الجديدة إلى تحدي الروايات التي تروّجها «إسرائيل» بالطريقة نفسها التي ينتهجها العدو. الكفاح الثقافي مهم، ومحاربة «إسرائيل» بالمسلسلات والأفلام والسينما أكثر من ضروري. إذ لا يمكن القبول بالرواية الإسرائيلية، بل إن قصصنا يجب أن تُروى... وبقوة.

المختبر الجنائي

بعد 40 سنة على الحرب العربية - الإسرائيلية الخامسة، صمت مطبق وغياب لأي مسعى جدي أو محاولة، محلية أو إقليمية أو دولية، لمقاضاة المسؤولين عن الجرائم ضد الانسانية والانتهاكات الجسيمة التي ارتكبت بحق البشر والطبيعة في لبنان صيف 1982. إن قلب صفحة ما يعرف بـ«الاجتياح» من دون تحقيق كامل وعلمي ونزيه، يعدّ إهانة للضحايا و«وصفة» لإفلات المجرمين من العقاب وتشجيعهم على إراقة مزيد من الدماء. يعرض هذا المقال معلومات عن التحقيق الجنائي في جرائم الحرب وجمع الادلة وتحليلها، وادوار المشاركين المختلفين في إجراءات التحقيق، على اساس تحقيق وتحليل موضوعيين مستندين على الادلة، ومن خلال إجراءات جنائية عادلة ومستقلة، يُفترض ان يعمل فريق التحقيق على جمع وحفظ وتخزين الادلة المتعلقة بالممارسات الإسرائيلية التي ترقى إلى جرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية وجرائم الإبادة الجماعية

التحقيق الجنائي في جرائم الحرب الخامسة

ليس لإسرائيل من يحاسبها

■ جنان الخطيب

بعد أربعين عاماً على الحرب الخامسة، فإن وفرة شهادات شهود العيان والضحايا ومشاهد الدمار وحقول الألغام والصور ومقاطع الفيديو، تقدّم كمية غير مسبوقة من الأدلة على الجرائم الفظيعة التي ارتكبها العدو الإسرائيلي بحقّ السكان في لبنان. رغم ذلك، فإن هذا الكمّ الهائل من الأدلة ليس بالضرورة ضمانًا لمحاكمة عادلة. إذ أن التجارب السابقة تؤكّد الحرص الدولي، الأميركي والأوروبي خصوصاً، على حماية «إسرائيل» من خلال السكوت عن الجرائم التي ارتكبتها وترتكبها، والاكتفاء بخطوات شكلية لا تؤدي الى محاسبة قضائية.

كان مفترضاً، منذ عام 1982، ان يشكّل مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، مثلاً، لجنة تحقيق، وان تحضر الى بيروت بعثة خبراء من مختلف المجالات، لمساعدة النظام القضائي اللبناني في شكل مباشر في جمع وحفظ الأدلة على الفظائع المرتكبة على الأراضي اللبنانية. الّا انه، حتى الآن، لم يُطلق أي تحقيق دولي جدّي في جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبها العدو الإسرائيلي آنذاك. وبما أن المسؤولية الجنائية الفردية مبدأ أساسي من مبادئ القانون الدولي الإنساني، هناك حاجة إلى تحقيقات جنائية لإثبات الحقائق وجمع الأدلة ذات الصلة من أجل محاكمة السلطات الإسرائيلية.

التحقيق في جرائم الحرب كالتحقيق في أي نشاط إجرامي آخر، يتم من خلال مقابلة الشهود ومراجعة الصور ومقاطع الفيديو وجمع الأدلة الجنائية، بما في ذلك التحليل البالستي وأنواع الأسلحة المستعملة، وتشريح الجثث أو اختبار الحمض النووي. كما يتزايد الطلب على علماء الأنثروبولوجيا الجنائيين للتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي في هذه الجرائم. ويمكن للمباحث العلمية أن تلعب دورًا أساسيًا في المحاكم الجنائية الدولية عبر تقديم أدلة جنائية تساهم بشكل فعّال في مقاضاة مرتكبي الإبادة الجماعية والعديد من الجرائم الأخرى.

ويساعد استعمال التقنيات الجنائية الحديثة لتحديد هوية الأشخاص، وبروتوكولات التحقيق في مسرح الجريمة، في تقييم وتوصيف عبء الإثبات ضد العدو الاسرائيلي أمام المحاكم الوطنية والدولية على حد سواء. تحقيقات المباحث العلمية ضرورية لجمع الأدلة المادية على جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي قام بها الجيش الإسرائيلي من تدمير عشوائي للمدن والقرى، وتعذيب واعتقال المدنيين، واستهداف المستشفيات وسيارات الإسعاف والمؤسسات الدينية والثقافية، الامر الذي يساهم في توجيه الاتهام إلى العدو الاسرائيلي ومحاكمته.

جمع الادلة

يعمل فريق التحقيق على جمع الأدلة المتعلقة بجرائم الحرب عبر إجراء مقابلات وتوثيق شهادات الضحايا وأقوال الشهود على الغارات الجوية والبحرية والقصف المدفعي المتعمد

> تحدّد نتائج التحقيقات البالستية انواع المقذوفات والاسلحة المحظورة دولياً التي استخدمها العدو في حربه على لبنان

للمدنيين، وإجراء استقصاءات ميدانية لجمع المعلومات والوثائق من المستشفيات والمؤسسات الحكومية والجمعيات الانسانية التي استقبلت الشهداء والجرحى خلال الاعتداءات الإسرائيلية، من أجل تحديد الضحايا ونوع الإصابات والجروح والحروق لتوثيق الأثر الكامل للحرب على المدنيين لا سيما الأطفال والنساء والعجز والمعوقون.

في سياق عملهم، يجمع المحققون معلومات من أفراد قوة اليونيفيل والجيش والقوى العسكرية بهدف جمع الافادات والشهادات، إضافة الى فحص صور الأقمار الاصطناعية التي تظهر طبيعة المواقع التي استهدفها العدو والأضرار الكبيرة التي لحقت بالمباني السكنية والمستشفيات والمؤسسات التربوية والدينية والبنى التحتية. أضف الى ذلك المقابلات مع الأسرى المحررين لا سيما في معسكر الاعتقال في بلدة أنصار مثلاً للإضاءة على عمليات التعذيب المنهج بحق الأسرى والتي ترقى الى توصيف جرائم ضد الإنسانية.

الى ذلك، يرتكز المحققون الى الأدلة الجنائية المادية التي كان يفترض رفعها من مواقع الاعتداء، والتي تؤكد أن جريمة حرب قد ارتكبت بالفعل. ويمكن أن تكشف نتائج التحقيقات البالستية عن أنواع المقذوفات والأسلحة المحظورة دولياً التي استخدمها جيش العدو. كما يمكن لدراسة التربة والرواسب الكيميائية في المياه الجوفية في أماكن القصف الإسرائيلي، وأنواع الحروق والاصابات على أجساد الضحايا، توفير «ملف تعريف بالستي»، كجزء من استكمال سلسلة الأدلة البالستية الأخرى، بهدف تقديم دليل على أنواع الأسلحة والقذائف التي استخدمها العدو، كالصواريخ الفوسفورية والانشطارية والعنقودية والحارقة، إضافة إلى حقول الألغام العشوائية، علماً أن زرع حقول الألغام من دون تعليمها وتسجيلها لإزالتها لاحقًا يعدّ جريمة حرب.

من جهة أخرى، يفترض ان يتعاون فريق التحقيق الدولي بشكل وثيق مع لبنان لتقييم الأدلة والمواد التي بحوزته، بناءً على موثوقيتها وقيمتها الإثباتية. ثم يتم تنظيم الأدلة التي يجمعها الفريق بشكل منهجي، وفهرستها وتسجيلها وحفظها وتخزينها في لبنان، وفقًا لمعايير القانون الجنائي الدولي ومع مراعاة القوانين الجنائية والإجراءات اللبنانية. وهذا يضمن أن الأدلة يمكن أن يكون لها أكبر قدر ممكن من قابلية الاستخدام والقبول في الإجراءات الجنائية العادلة والمستقلة التي تجريها المحاكم المحلية المختصة في لبنان.

جرائم البيئة

من الطبيعي عدم الاكتراث للآثار البيئية الناتجة عن الحرب الإسرائيلية مقارنة بالجرائم ضد الإنسانية والقتل والتعذيب والإغتصاب، الا ان هذا الضرر البيئي سيظل لعقود بعد انتهاء الحرب. فالدبابات تستبيح الغطاء النباتي، والمتفجرات تشعل الحرائق، وتطلق الأسلحة غازات وجسيمات سامة في الهواء تؤدي إلى تلوث التربة والمياه بالمعادن الثقيلة والمواد السامة.

من كتاب «اجتياح لبنان» (يوميات، صور، وثائق)

متابعة

ارشيف ـ معتقل انصار 1982

مارس العدو الاسرائيلي الاعتقال التعسفي وانتهاك حق المعتقلين بمحاكمة عادلة خلافًا للمواد 2 و9 و14 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية التي تُلزم الدول بكفالة عدم الاعتقال التعسفي وعدم حرمان الأفراد من حريتهم وتقديمهم للمحاكمة باسرع وقت، فقامت بتمديد فترات الاعتقال لعشرات السنوات، مرتكبة التعذيب وضروب المعاملة السيئة واللاإنسانية حيث قضى المئات من المعتقلين.

انتهاك ممنهج للقانون الإنساني الدولي

■ صادق علوية

خلال الحروب والاعتداءات التي قامت بها «اسرائيل» ضد لبنان، ارتكبت جرائم تشكل خرقاً فاضحاً للقانون الدولي، منها:

◄ قتل المدنيين عمداً، ولا سيما الاطفال والنساء وكبار السن، بالقصف المباشر للمباني والمنشآت المأهولة والمركبات في مخالفة فاضحة للمادة 3 من اتفاقية جنيف الأولى.

◄ التعذيب وإيذاء السلامة الجسدية والصحية والمعاملة غير الإنسانية وإحداث الام كبرى مقصودة:

○ تعذيب المعتقلين في المعتقلات في الشريط المحتل أو في المعتقلات داخل فلسطين المحتلة

○ القتل العمد، والتعذيب أو المعاملة اللاإنسانية وتعمد إحداث آلام شديدة أو الإضرار الخطير بالسلامة البدنية أو بالصحة، والنفي أو النقل غير المشروع، والحجز غير المشروع، وحرمان الاشخاص من حقهم في أن يحاكموا بصورة قانونية وغير متحيزة، وأخذ الرهائن، وتدمير واغتصاب الممتلكات على نحو لا تبرره ضرورات حربية وعلى نطاق كبير بطريقة غير مشروعة وتعسفية.

◄ تدمير البنى التحتية اللبنانية لا سيّما المدنية منها والمنشآت العامة كالمطار ومنشآت النفط في الجية ومستوعبات المشتقات النفطية. كما خالفت المادة 18 من الاتفاقية الرابعة التي تمنع الهجوم على المستشفيات المدنية والوحدات المتحركة التابعة للخدمات الطبية، حيث تم قصف منشآت طبية إضافة الى قصف سيارات اسعاف تقلّ جرحى

في مخالفة للمادة 21 منها التي تنص على احترام وحماية عمليات نقل الجرحى والمرضى المدنيين والعجزة والنساء

◄ الاعتقال غير المشروع وأخذ الرهائن وحرمانهم من حقهم في محاكمة قانونية وحيادية حسبما تفرضه الاتفاقيات الدولية. اذ اعتقل عشرات الآلاف من المواطنين من دون أن يُسمح لهم برؤية ذويهم، وتم نقلهم بسرية من سجون الشريط الحدودي السابق الى داخل فلسطين المحتلة

◄ إقصاء الأشخاص ونقلهم من أماكن تواجدهم بصورة غير مشروعة، وتدمير آلاف المنازل إبان الاحتلال وطرد السكان وإقصاؤهم بسبب رفضهم التعامل مع العدو

اتفاقيات جنيف

تلت اتفاقيات جنيف الأربعة للعام 1949، اتفاقية العام 1980 حول تحريم او تقييد استخدام بعض الاسلحة التقليدية التي تحدث آلاما واهتزازات مبرحة ومفرطة في جسم الانسان. وقد الحقت بهذه الاتفاقية بروتوكولات تتعلق بالشظايا الخطرة والألغام والاسلحة الحارقة، اضافة الى اتفاقية بشأن الاسلحة الكيميائية 1993، واتفاقية بشأن الالغام المضادة للافراد للعام 1997 في أوتاوا.

تهدف هذه الاتفاقيات الى حماية المدنيين أثناء النزاع المسلح، ويُقصد بالمدنيين الأشخاص الذين لا يشاركون في القتال أو الذين توقفوا عن القتال، كما تحفظ حقوق أسرى الحرب وتُسبغ عليهم حماية تمنع تجريدهم من كرامتهم الإنسانية وتحافظ على صحتهم. إذ تتناول اتفاقية جنيف الأولى للعام 1949 توفير الحماية والرعاية لجرحى ومرضى القوات المسلحة في ميدان المعركة. أما اتفاقية جنيف الثانية فتتعلق بتوفير الحماية والرعاية لجرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار.

وتضع اتفاقية جنيف الثالثة أسس معاملة أسرى الحرب، وتعالج اتفاقية جنيف الرابعة حماية المدنيين في وقت الحرب.

تجدر الإشارة الى أن عدد الدول الأعضاء المصدّقة على اتفاقيات جنيف بلغ 194، وهي من أكثر الاتفاقيات الواجبة التطبيق في العالم.

الاتفاقيات على موقع الصليب الاحمر الدولي

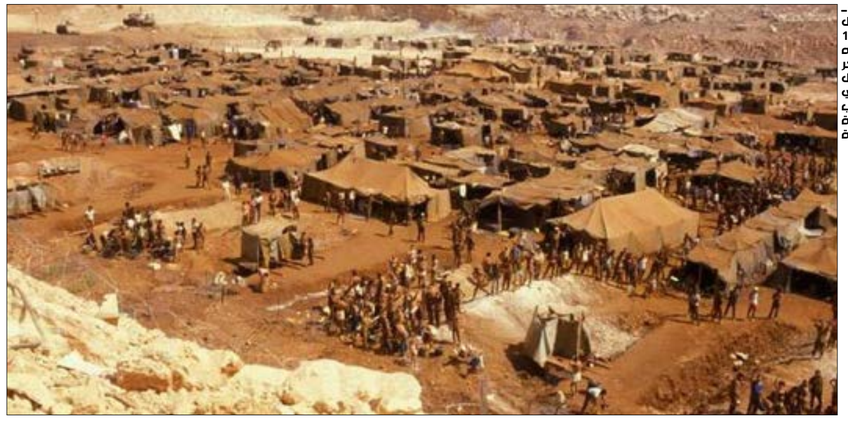

ارشيف ـ معتقل انصار 1982 وهو اشبه بمعسكر اعتقال الماني خلال الحرب العالمية الثانية

فلسطين

إعادة توصيف جرائم العدو
أبعد من القتل والاحتلال والتعذيب

وضع الجرائم الإسرائيلية في إطارها الصحيح يغيّر في توصيفها، ويجعلها جرائم دولية موصوفة. جيش العدو الإسرائيلي لم يرتكب جرائم قتل وخطف وتعذيب واستهداف الطواقم الطبية والمستشفيات فحسب، بل ارتكب جرائم حرب. فالحرب قائمة ومستمرة. والاعمال الجنائية العدائية لم تتوقف منذ عام 1937. كما ارتكب الإسرائيليون جرائم ضد الانسانية من خلال شنهم هجمات ممنهجة وواسعة النطاق ضد السكان المدنيين، تضمنت القتل والابادة والإبعاد او النقل القسري للسكان وجرائم الابارتايد. اما اقتلاع الاشجار المعمرة وجرف الاراضي الزراعية وتدمير المنشآت التراثية فلا يفترض التعامل معها قضائياً بشكل منفرد او منفصل، بل هي جزء من جريمة الإبادة (Genocide) التي بدأها العدو الإسرائيلي منذ عقود واقيم كيانه على اساسها. اذ ان قيام «الدولة العبرية» يشترط إبادة الشعب الفلسطيني بشكل كامل

إعداد **جنان الخطيب، عمر نشابة**

في 24 أيار الماضي، نظّم مرصد قانا لحقوق الإنسان ندوة قانونية متخصصة بعنوان «مقاربة تصحيحيّة لجرائم العدو الإسرائيلي»، عالجت إشكالية إعطاء الوصف القانوني الصحيح لجرائم الاحتلال وتمييزها عما يماثلها من جرائم، بحكم ارتباطها بجريمة أصلية ومتمادية هي طرد شعب من موطنه الأصلي وارتكاب أفعال إبادة ثقافية ورمزية ومادية وتاريخية لأمة كاملة، بما انطوت عليه من تهجير قسري واغتصاب أراض وطمس هوية واستيلاء على المقدسات. وفي مهمة تقديم إجابة علميّة على الإشكالية المطروحة، شارك في الندوة عدد من الخبراء والجامعيين القانونيين هم الدكتورة نيلوفر باغوت (جامعة مومباي) وهي قاضية في المحكمة الدولية، الدكتور سليم حداد (الجامعة اللبنانية)، والدكتور عادل يوسف شكري (جامعة الكوفة)، والدكتور أحمد عمر (جامعة دمشق)، المستشار في المحكمة الجنائية الدولية فؤاد بكر، والمستشار في محاكم الاستئناف في مصر الدكتور حسن عمر لوضع الارتكابات الإسرائيلية في الفئة الصحيحة من الجرائم، الأمر الذي ينطوي على تطوير لمفاهيم القانون الدولي والذي قد يتطلب إعادة النظر في بعض مجالاته.

شرح المحامي حداد ان المشروع الإسرائيلي في فلسطين يقوم بشكل أساسي على تغيير الحقيقة التي تؤول الى محو أي أثر للوجود الفلسطيني، سواء في المكان او الزمان. وكان هذا يقتضي أمرين عمل العدو على تنفيذهما، تغيير الوجه الطبيعي للأراضي الفلسطينية وتفريغ هذه الأراضي من سكانها الفلسطينيين.

ازالة الاحراج والغرس والقلع هي وسيلة للتأثير على المدى الطبيعي وتحويله بصورة دائمة، كما أن الشجرة هي مرتكز الذاكرة الوطنية وضمانة الملكية لأرض متنازع عليها. بالنسبة للفلسطينيين هي رمز مهم للمقاومة. أما بالنسبة للعدو، فهي تمثّل النجاح في غرس الجذور في الوطن القديم وتؤمّن استمرارية رمزية بين الماضي الموصوف في التوراة والحاضر.

> **أُدين بناء جدار الفصل العنصري من قبل محكمة العدل الدولية في لاهاي في تموز 2004 لكنه لا يزال قائماً ولم يتحرك المجتمع الدولي لإزالته**

فاشجار الزيتون والصبار والليمون، كانت ولا تزال اكثر تعرّضاً للحرق والقلع من قبل الإسرائيليين، إضافة الى الاعتداءات التي يرتكبها المستوطنون في كل الأراضي الفلسطينية المحتلة من إتلاف للمحاصيل. ولا يلاحق المستوطنون أولاً لأن القانون الفلسطيني لا يطبق عليهم، وثانياً لان سلطات الاحتلال الإسرائيلية تغض الطرف عن هذه الاعتداءات. ويشير تقرير خاص بتطبيق القوانين على المستوطنين في فلسطين المحتلة الى أن 7% فقط من الإسرائيليين المسؤولين عن قتل فلسطينيين أدينوا أمام المحاكم الإسرائيلية بجرائم قتل، وفي 50% من الحالات تقريباً يختم الملف أو لا يجري التحقيق.

جرائم التهجير القسري

أوضح عادل يوسف شكري، أستاذ القانون الجنائي في جامعة الكوفة، ان التهجير القسري للسكان الفلسطينيين يعد جريمة دولية منظمة تنطبق عليها أركان وعناصر هذه الجريمة كما وصفتها الاتفاقيات الدولية، وأوردتها المواثيق والأنظمة الأساسية للمحاكم الجنائية الدولية. إذ تصنف عمليات التهجير القسري ضمن الجرائم التي تدخل في الاختصاص الموضوعي للمحكمة الجنائية الدولية. كما أن انضمام فلسطين إلى المحكمة، يجعل من اختصاص المحكمة قائمًا في التحقيق والمحاكمة في أي جريمة ترتكبها سلطة الاحتلال، ومنها جريمة التهجير القسري، ولكن يبقى العامل السياسي المؤثر على عمل المحكمة، وضعف المحرك القانوني العربي، العاجز عن دفع المحكمة لتحريك نشاطها الاجرائي، هو الحائل دون خضوع تلك الجرائم لطائلة المساءلة والعقاب كجرائم دولية.

جرائم مصادرة الاراضي

أشار المستشار القانوني في المحكمة الجنائية الدولية فؤاد بكر الى توظيف العدو الإسرائيلي «القانون» من أجل حرمان الفلسطينيين من الاستفادة من الارض من خلال مصادرتها أو فرض السيطرة الكاملة عليها. وشرح بكر أن مصادرة الأرض تأتي بذريعة الادعاء أنها محمية طبيعية أو حديقة وطنية أو مناطق تماس أو غيرها من الذرائع.

فنظام مصادرة الاراضي الفلسطينية يعتمد على مجموعة واسعة من القوانين الإسرائيلية التي تسمح بنقل ملكية الارض، وهو ما يشكل خرقا واضحا للقانون الدولي. وكانت سلطات الاحتلال الإسرائيلية قد صادرت نحو 70% من أراضي الضفة الغربية عام 2008 بحجة أنها «ضرورية لأغراض عسكرية»، كما أصدرت المحكمة العليا الاسرائيلية حكما يقضي بأن «الاستيلاء على الاملاك الخاصة في الاراضي المحتلة بهدف بناء مستوطنات مدنية لا يتنافى مع القانون العرفي الدولي، وذلك بهدف تلبية الاحتياجات العسكرية». وجرت مصادرة «الاملاك المتروكة»، وهي ممتلكات مهجورة تعود للفلسطينيين الذي طردوا منها عام 1967، ووضع قانون «حارس أملاك الغائبين الإسرائيلي من دون إعلام مالكي هذه الأراضي.

كما بنت سلطات الاحتلال جدار الفصل العنصري الذي يمتد على مسافة 708 كيلومترات، ويتوغل في الضفة الغربية، ويضم العديد من المستوطنات الاسرائيلية، ويعزل المزارعين الفلسطينيين عن أراضيهم.

أُدين بناء الجدار من قبل محكمة العدل الدولية في لاهاي في تموز عام 2004، الا انه ما زال قائما. ويصل ارتفاع هذا الجدار الى ثمانية أمتار وتحيط به منطقة أمنية يصل عرضها الى 50 متراً من الجانبين. وهو يقوم بنسبة 90% منه على الاراضي الفلسطينية المصادرة التي اقتلعت أشجارها، ويمنع الفلسطينيين من الوصول الى أراضيهم بالإضافة الى حصرهم في قراهم ومدنهم.

السيطرة على مصادر المياه

ذكّر حداد بأن قواعد القانون الدولي واتفاقية لاهاي المتعلقة بقواعد الحرب البرية شددت على وجوب التزام دولة الاحتلال باحترام الملكية الخاصة وعدم مصادرتها. غير أن سلطات العدو الإسرائيلي تجاوزت ذلك وأولت أهمية بالغة لمياه الأراضي المحتلة منذ وقوعها تحت الاحتلال. وتم إدراج موضوع المياه في خطة دائرة الاستيطان. فمجمل الموارد المائية في الضفة الغربية والاراضي المحتلة تحت السيطرة الاسرائيلية، وحصة المواطن الفلسطيني من المياه هي 25 الى 30 ليتراً في اليوم، وهناك العديد من القرى التي لا تصلها المياه إلا مرة واحدة كل 21 يوما.

السلطات الإسرائيلية كانت قد استولت على كل مصادر المياه والبنى التحتية الخاصة بها بعد حزيران 1967. ومنذ ذلك التاريخ، وبقرار عسكري رقم 158، لا يستطيع الفلسطينيون إقامة بنى تحتية مائية جديدة، من دون ترخيص مسبق من جيش الاحتلال الإسرائيلي.

ويقوم الإسرائيليون بتطوير شبكة مياه للمستوطنين وحفر الابار بانتظام وباستثمار الينابيع والموارد المائية في الضفة لتموين الاسرائيليين بالمياه لغايات منزلية وزراعية وصناعية، وتُباع المياه للفلسطينيين بكميات محدودة من قبل السلطات الإسرائيلية بأسعار عالية جدًا تتراوح بين 4 و10 دولارات أميركية للمتر المكعب الواحد. وهي تمنعهم من الوصول الى المياه في العديد من المناطق بحجة أنها مناطق عسكرية مقفلة. أما في غزة فالوضع يلامس حد الكارثة، إذ إن 10% فقط من الغزيين تصلهم مياه الشفة، فيما 90 الى 95% من المياه ملوثة وغير صالحة للاستهلاك البشري، بسبب نضوب الينابيع وتسرّب مياه الصرف الصحي ومياه البحر الى المياه الجوفية.

الاسرى = رهائن مختطفون

أشار المحامي حسن أحمد عمر، الخبير في القانون الدولي، أنه رغم ان السلطة الفلسطينية توجهت إلى الأمم المتحدة لاعتبار السجناء الفلسطينيين القابعين في سجون الاحتلال والمعسكرات الإسرائيلية «أسرى حرب»، إلا ان هذه الصفة، وان كانت تتفق وأحكام اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة الأسرى لعام 1949، وأحكام اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب لعام 1949، قبل تعديلهما، اضحت خصوصاً بعد العام 1979 لا تتجاوب مع الاتفاقيات الدولية التي عدلت من أحكام الاتفاقيتين المذكورتين. علماً ان اتفاقية نيويورك (مناهضة خطف الرهائن 1979)، قد منحت المدنيين والمقاتلين الفلسطينيين حماية دولية، تدعيما لكفاحهم كشعب ضد قوات الاحتلال الاسرائيلية بوصفها تسلطا استعماريا، ونظاما عنصريا، يحاول قهر واخماد ثورة الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وتحرير أرضه. على هذا الأساس، يعد الفلسطينيون المسجونون بمثابة رهائن مختطفين، قامت سلطة الاحتلال الاسرائيلية بالقبض عليهم، أو بحجزهم، وهددت بقتلهم، أو إيذائهم، وذلك كله بمخالفة قواعد وأحكام ومبادئ القانون الدولي الإنساني. وتعتبر قوات الاحتلال الاسرائيلي وفقا لديباجة اتفاقية نيويورك قوات مرتزقة إرهابية دولية، تقوم بعمل من أعمال الارهاب الدولي.

الحرب الاستباقية = عدوان

شرح أحمد أسعد عمر، المدرس في قسم القانون الدولي في كلية الحقوق - جامعة دمشق، ان جرائم العدو الاسرائيلي لم تعد مقتصرة على الأراضي العربية المحتلة من خلال الاستيطان والانتهاكات المرتكبة بحق المدنيين والاسرى فحسب، بل بدأت تأخذ أشكالاً اخرى باعتبار الصهاينة مجنياً عليهم، ولا بد ان يتم الدفاع عنهم بكل الوسائل، ومن هنا بات استخدام فكرة الحرب الاستباقية لتبرير العدوان على الدول العربية وتنفيذ عمليات ينطبق عليها وصف العدوان.

فالعقيدة العسكرية الاسرائيلية انتقلت من مرحلة الحروب المباشرة الى مرحلة الضربات الاستباقية متذرعة بالدفاع الشرعي الوقائي لتحقيق أهدافها التوسعية على حساب دول الجوار وتقويض سيادة الدول. الا ان استخدام القوة في حل المنازعات الدولية بات محظوراً (الفقرة الرابعة من المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة). ويتذرع العدو الاسرائيلي بأن استخدامه للقوة واستناده الى نظرية الحرب الاستباقية يعتبر «أعمالاً شرعية» ويتوافق مع المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة التي تحدثت عن الحق في الدفاع الشرعي عن النفس. ولكن على العكس من ذلك، فهذه المادة تقتصر على حالة وقوع هجوم مسلح مباشر، وليس الدفاع الوقائي لخطر محتمل الوقوع. بالتالي ما تقوم به قوات العدو الاسرائيلي من استخدام غير مشروع للقوة ضد غيرها من الدول بدعوى الدفاع الشرعي الوقائي . إنما هو عدوان ينطبق عليه وصف الأعمال الإرهابية التي تمارسها ضد دول اخرى مستقلة وذات سيادة.

«تجميل» محاكمة الاطفال

أوضح حسن عمر ان النصوص الدولية تؤكد على وجوب توفير الرعاية والمعونة للنساء والأطفال بقدر ما يحتاجون إليه، وأولت الاتفاقيات حماية خاصة للنساء خاصة ضد اي صورة من الصور الخادشة بالحياء عبر إصدارها أحكاماً ملزمة للأطراف المتحاربة بالالتزام بها، إلا انه في الأراضي المحتلة هناك تجاهل تام للضمانات القانونية والقواعد في ما يخص وضع المرأة والطفل التي أصبحت أعرافاً دولية ملزمة لكافة الدول بصفة مطلقة.

أضاف حسن عمر انه من مفارقات التحدي الإسرائيلي الساعي إلى «تجميل محاكمة الأطفال»، هو إنشاء محاكم خاصة للاطفال الفلسطينيين، وترشيح قضاة متخصصين لمحاكمتهم، الا ان المحكمة الجنائية الدولية، التي انشأت لمحاكمة مرتكبي الجرائم الأكثر خطورة، تستبعد بموجب المادة 26 منها من لم يبلغ من هؤلاء المجرمين الثامنة عشرة من عمره. وفي حين ان قوات الاحتلال الإسرائيلي - قادة وأفرادا – التي ترتكب جرائم فظيعة سيُستبعد منهم من لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره، من الخضوع للمحكمة الجنائية الدولية، نجد العدو يسعى لمحاكمة الرهائن الفلسطينيين، الذين تقل أعمارهم عن ستة عشر عاما.

جرائم تعذيب الاسرى

أشار أحمد عمر الى ان ما يقوم به العدو الاسرائيلي من عمليات تنكيل يتنافى والمادة الخامسة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فيتذرع العدو بأنه لم ينضم إلى اتفاقية مناهضة التعذيب، علماً أن عدم انضمام دولة إلى اتفاقية ما لا يعفيها من الالتزام بها وخاصة إذا كانت قواعد هذه الاتفاقية آمرة ولا يجوز التحلل منها أو مخالفتها.

- في ما يخص الرعاية الطبية والصحية وأماكن وجود الاسرى أكّد أحمد عمر انه على مدى العقود الماضية تمرس العدو الصهيوني في جعل الأسرى والمعتقلين العرب دروعاً بشرية من أجل صد هجمات المقاومة والفدائيين العرب ضدها، بانتهاك واضح لاتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 في ما يتعلق بالتدابير الاحترازية الخاصة لحماية الأسرى. كما أشار إلى ما ذكره بعض الأسرى من أن الأطباء كانوا يتعمدون استفحال الأمراض داخل أجساد الأسرى، وكانت سلطات العدو الصهيوني تتعمد تدريب الأطباء المتخرجين حديثاً في أجساد الأسرى وكأنهم حقول تجارب.

محاكمة «الاسرى» امام محاكم العدو

شرح أحمد عمر طريقة اختيار القضاة التي تتناقض مع مبدأ الحياد، اذ ان « الحاكم العسكري يعين للمنطقة ضباطاً من رتبة نقيب وما فوق مؤهلين قانونياً ليقوموا بمهام القضاة». وشكك في قانونية تشكيل تلك المحاكم حسب المادة (3) من اتفاقية جنيف الرابعة والمادتين (9، 14) من الاتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية اللتين نصتا على وجوب اختيار القضاة بشكل حيادي وموضوعي وعدم الجمع بين الادعاء والحكم حيث لا يجوز للقاضي الذي يوجه الاتهام أن يكون نفسه من يصدر الحكم.

كما تحدث عمر عن الطريقة غير القانونية لنزع اعترافات المعتقل وتدوينها باللغة العبرية. إذ أن من الضمانات الأساسية للمحاكمة العادلة عدم الإقرار بشرعية الأقوال المأخوذة تحت التهديد والإكراه، وان تدوين الأقوال يجب أن يكون بلغة يفهمها المتهم وإلا يجب توفير مترجم كفؤ له.

كما ألقى عمر الضوء على الإثباتات السرية التي يقدمها الادعاء للمحاكم فقط، والذي يتناقض مع الضمانات الأساسية للمحاكمة العادلة التي توجب إطلاع المتهم على الأدلة القائمة ضده، كما يتعارض مع اتفاقية جنيف المادة (72).

القاضية بهاجوات: «دولة إسرائيل» مستعمَرة

أشارت القاضية في المحكمة الدولية في طوكيو الهندية نيلوفر بهاجوات الى ان قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1947 الذي أدى إلى إنشاء مستعمرة سمّيت «دولة إسرائيل» هو انتهاك لجميع قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين وبشأن إنهاء الاستعمار وتقرير المصير القومي، وانتهاك لقرارات الجمعية العامة بشأن حركات التحرير الوطني والنضالات المناهضة للاستعمار.

بحسب نيلوفر، القضية الحقيقية في حالة «إسرائيل» ليست مجرد انتهاك لحقوق الإنسان كما تحاول بعض المنظمات غير الحكومية لحقوق الإنسان ومقرري الأمم المتحدة، انما من منظور القانون الدولي والقانون الجنائي الدولي وميثاق الأمم المتحدة، يعتبر المشروع الإسرائيلي انتهاكًا للمبادئ الأساسية والتأسيسية للقانون الدولي والمبادئ الحضارية للفقه ولمبادئ نورمبرغ. أضافت نيلوفر، انه لم يتم طرد إسرائيل أو تعليق عضويتها من قبل الأمم المتحدة أو من قبل مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة على عكس ليبيا التي دُمرت عمدًا للاستيلاء على موارد الذهب والنفط فيها، من خلال قصف الناتو.

في الواجهة

حرّاس العدالة على وسائل التواصل الاجتماعي

قضاة أونلاين

استنفر بعض القضاة في لبنان مطالبين بحقهم في سلطة قضائية مستقلة. فاقتحموا ساحات وسائل التواصل الإجتماعي رافعين شعار المظلومية التي لحقت بهم من قبل مجلس القضاء الأعلى. بعد سلسلة دعاوى قدمت في حق بعضهم بتهم مختلفة. وطلبوا مساندتهم في هذه المعركة. إلا ان الامر لم يقتصر على هذا الحد. بعدما ادخله بعض القضاة انفسهم في جدالات واتهامات أظهرت حجم التباين والإنقسام في المؤسسة القضائية

سمر فرحات

لا شك في أن وسائل التواصل الاجتماعي باتت نافذة مهمة للتعبير عن الرأي والتأثير في الرأي العام. إلا أن استخدام هذه المنصات من قبل بعض الشرائح، كالقضاة مثلاً، يطرح أسئلة عديدة حول كيفية استخدامها على نحو لا يمس بمكانة القضاء ودوره في تحقيق العدالة.

فمشاركة تعليق على حدث معين أو نشر آراء وصور امور عادية، أما بالنسبة إلى القاضي فقد يؤدي ذلك الى تداعيات ومخاطر معينة. فالقاضي ينبغي أن يلتزم بمعايير الحياد ويحافظ على كرامة القضاء واستقلاله، وأي إستخدام لا أخلاقي لتلك المنصات قد ينعكس على سمعة القضاء ككل.

يعتبر بعض القضاة أن إستخدام وسائل التواصل الاجتماعي يساعدهم على التقرب من المجتمع ونشر خبرتهم وخلق مساحة من الثقافة القانونية. لكن، ولأن لبعض المنشورات تداعيات سلبية، شكّل دخول القضاة الى العالم الإفتراضي حالة جدلية، فانقسمت الآراء بين من يعتبر القاضي فرداً من المجتمع يحق له التعبير عن رأيه عبر هذه المنصات، ومن يحذّر من أنّ إستخدام وسائل التواصل الإجتماعي قد يضّر بسمعة القضاء ونزاهته ويحدّ من ثقة الناس بالمحاكم. ودعا إلى إعتماد معايير قانونية تنظم إستخدام القضاة لوسائل التواصل الإجتماعي.

في لبنان، يعاني القضاة من تغلغل السلطة السياسية في القضاء، ما يعيق مسار التحقيقات، خصوصاً تلك التي تتعلق بمكافحة الفساد وإسترداد الأموال المنهوبة ولاحقاً التحقيق في إنفجار المرفأ. هذا الأمر زاد من الضغوطات التي يواجهها القاضي بعدما وضع في موقع المتهم، فلجأ بعض القضاة الى وسائل التواصل الإجتماعي لرفع الصوت، والدعوة إلى «ثورة قضائية» و«تطهير القضاء». فهل من معايير ينبغي على القضاة مراعاتها لدى استخدامهم تلك المنصات؟ وهل تعرضهم هذه المخالفات للعقوبات التأديبية؟

تغريدات خارج السرب القضائي

اكتسبت منصة «تويتر» أهمية كبيرة في السنوات الأخيرة، نظراً إلى السرعة التي تتيحها لتبادل المعلومات، والقدرة على الوصول الى الفئة المستهدفة بشكل أدق. وهذا ما دفع بالقضاة في لبنان إلى إستخدام هذه المنصة؛ سواء للتعبير عن آرائهم، أو لنشر الوعي المجتمعي والثقافة القانونية. وأبرز القضاة هم:

1. النائب العام الأستئنافي في جبل لبنان: في 12 نيسان، أحيلت قاضية إلى التفتيش القضائي لمساءلتها عن تصريحات أدلت بها خلال زيارتها لباريس برفقة مرشح للإنتخابات النيابية، بعد تصنيف هذه التصريحات في خانة تسريب شؤون قضائية، والتشهير بزملائها القضاة. إلا أن القاضية شككت في صوابية الإتهام ودافعت عن نفسها عبر سلسلة تغريدات على حسابها. ومن خلال نظرة سريعة للحساب على «تويتر»، يتبين عدم التقيد الواضح بموجب التحفظ الذي أشارت له «المدونة الأخلاقية». وجاءت أبرز التغريدات على الشكل التالي:

-

نشر تغريدات تحت عنوان «الجردة» تضمنت اتهاماً لرئيس التفتيش بالتقاعس عن ملاحقة بعض المتهمين، ومحاولة إيقافها عن متابعة التحقيقات في بعض الملفات من خلال إتهامها وإحالتها للتفتيش.

- وضع علامة إعجاب (like) لحديث أحد مرشحي الإنتخابات النيابية.

- إعادة نشر (retweet) لتغريدات ذات طابع سياسي معين.

- إعادة نشر (retweet) لتغريدات وفيديوات تتعلق بأحد المدعى عليهم.

- اتهام مباشر لأحد القضاة بالخوف بعد تنحيه عن العمل.

- اتهام النائب العام التمييزي في قصر العدل بأنه جزء من شبكة المصالح المهيمنة على الدولة.

2. رئيس نادي القضاة ورئيس دائرة التنفيذ في بيروت: بحكم رئاسته نادي القضاة، أكد على حماية حق القضاة في التعبير المكرّسة في كل المواثيق والعهود التي يلتزم بها لبنان من دون أي إذن أو موافقة من أي كان.

وفي حسابه الخاص حملت بعض منشوراته انتقادات مباشرة للسلطة السياسية باستتباع القضاة وتعيين قضاة «فاشلين» في مراكز حساسة.

3. المحامي العام المالي: على خلفية التحقيق في دعاوى عدة، اتهمه أحد الإعلاميين بالإخلال الوظيفي، والتحايل على القضاء. نشر تغريدة وضّح فيها الالتباس الحاصل ودافع عن نفسه ووعد متهمه بملاحقة قضائية، فتنوعت الآراء بين مؤيد للقاضي وبين من طالبه بالدفاع عن نفسه من خلال القضاء.

4. مفوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية: بعد تقديم إستقالته وانتظار توقيع رئيس الجمهورية عليها، أمضى وقته بالتنقل بين موقعي التواصل الإجتماعي «فيس بوك» و«تويتر»، مطلقاً العنان لسلسلة منشورات وتغريدات يوميّة تبحث في شتّى صنوف الحياة، من السياسة إلى الإقتصاد، إلى القانون إلى الطبّ. بعدها «استعجل إنهاء حياته القضائية على طريقته بعد إنتقاده أداء زميلته»(https://mahkama.net/).

يعاني القضاة من تغلغل السلطة السياسية في القضاء، ما يعيق مسار التحقيقات، خصوصاً تلك التي تتعلق بمكافحة الفساد وإسترداد الأموال المنهوبة

في القانون اللبناني

يعتبر (المرسوم التشريعي رقم 83/150) وتعديلاته المصدر الرئيسي للقانون المنظم للقضاء العادي والذي يحدد الإطار المتعلق بالمسائلة القضائية. فوفقاً للمادّة 83 منه «كل اخلال بواجبات الوظيفة وكل عمل يمس الشرف أو الكرامة أو الأدب يؤلف خطأ يعاقب عليه تأديبياً». يعتبر إخلالاً بواجبات الوظيفة التخلف عن الجلسات، وتأخير البت بالدعاوى والتمييز بين المتقاضيين وإفشاء سر المذاكرة (الجلسات).

وتنص المادّة 89 من (المرسوم 83/150) على أن «العقوبات التأديبية تتضمن التنبيه، اللوم، تأخير الترقية لمدة لا تتجاوز السنتين، إنزال الدرجة، التوقيف عن العمل بدون راتب لمدة لا تجاوز السنة، الصرف من الخدمة، والعزل مع الحرمان من تعويض الصرف أو معاش التقاعد».

بالنظر الى الأمثلة التي ذكرها المرسوم، فإنها تعتبر غير شاملة ولا تحدد المعايير التي يقتضي على القاضي اتباعها. هذا الأمر ينطبق أيضاًعلى العقوبات التي لا ترتبط بنوع معين من المخالفة التأديبية مما يعرض القضاة الى عقوبات تعسفية من قبل المجلس التأديبي.

وفي العام 2005، اعتمد وزير العدل «القواعد الأساسية لأخلاقيات القضاء» بموافقة كل من مجلس القضاء الأعلى ومجلس شورى الدولة. تم اعداد هذه القواعد من قبل لجنة مؤلفة من الرئيس الأول لمحكمة التمييز- رئيس مجلس القضاء الأعلى، ورئيس مجلس شورى الدولة، والرئيس الأول لمحكمة التمييز شرفاً، ورئيس هيئة التفتيش القضائي شرفاً.

تضمنت قواعد أخلاقيات القضاء ثماني قواعد وهي على التوالي: «الاستقلال، التجرد، النزاهة، موجب التحفظ، الشجاعة الأدبية، التواضع، الصدق والشرف، الأهلية والنشاط». لم تصدر هذه القواعد في صورة قانون، لذا يمكن أعتبارها وثيقة استشارية، ويذكر مدخل القواعد أن «خيار الوثيقة الملزمة معنوياً هو أفضل من خيار المبادىء المقننة في تشريع وضعي»، وأن محتوى الوثيقة «لا يشكل بالضرورة قواعد لنظام تأديبي رادع وشامل».

استوحت هذه القواعد من شرعة بنغالور العالمية للأخلاقيات القضائية، الا أنها تمايزت عنها في بعض القواعد. حيث حددت شرعة بنغالور ست قيم أساسية: الأستقلالية، والحياد، والنزاهة، واللياقة، والمساواة، والاختصاص والحرص. وبالعودة إلى المعايير الأخلاقية التي يقتضي على القضاة إتباعها عند استخدامهم لوسائل التواصل الاجتماعي، فإن هذه القواعد تشكل مرجعاً لهم وتضبط إنجرارهم خلف انواع مختلفة من المخالفات التي تخلقها منصات التواصل المتنوعة.

فموجب التحفظ مثلاً: يشير الى أهمية التزام القاضي بطريقة عيش تناسب مهنته والابتعاد عن كل مظهر رخي. وأن يتنبه الى علاقاته الشخصية، والامتناع عن المجاهرة بأي رأي من شأنه زرع الشك لدى المتقاضين حول تجرده، وعدم البوح بأي معلومة وصلت اليه عن طريق وظيفته.

في اميركا: عقوبات تأديبية للتجاوزات الاخلاقية

واجه عدد من القضاة في الولايات المتحدة عقوبات تأديبية بسبب منشورات على «فيسبوك».

ففي ولاية مينيسوتا ، تم وضع علامة على القاضي في قضية القاضي ماثيو إم كوين (2021) في عدة صور على «فيسبوك»، بما في ذلك واحدة كان يرتدي فيها قبعة MAGA ويقود قاربًا عليه علمان على الأقل من ترامب في موكب قارب ترامب. اعجب القاضي أيضًا بالعديد من منشورات ترامب. ورأى المجلس أنه لا يمنع القضاة من استخدام وسائل التواصل الاجتماعي ومع ذلك، يجب أن يتوافق استخدام Facebook مع مدونة السلوك القضائية.

في 28 أبريل 2021 ، صرّحت لجنة آراء أخلاقيات القضاء بالمحكمة العليا في كاليفورنيا ("CJEO") أن للقضاة كل الحق في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي ولكن ينبغي افتراض أن كل شيء سيكون في متناول عامة الناس بغض النظر عن الاحتياطات المتخذة لتقييد الوصول إليها. خلص CJEO في رأي استشاري نُشر على موقع اللجنة على الويب إلى أنه يمكن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لإصدار بيانات متعلقة بالقانون، لكن اتصالاتها تخضع لنفس المبادئ الأخلاقية مثل أي نشاط قضائي آخر.

القضاة، على سبيل المثال ، ممنوعون من الإدلاء بأي تصريحات على وسائل التواصل الاجتماعي من شأنها أن تعرض حيادهم للخطر، أو تشوه سمعة القضاء، أو تشكل تعليقًا سياسيًا محظورًا. وبينما لا يُسمح للقضاة بالتعليق على قضايا محددة، يتم تشجيعهم على المشاركة في مجتمعاتهم لتحسين النظام القضائي. قد يستخدم القضاة وسائل التواصل الاجتماعي لإصدار إعلانات قانونية بنفس الطريقة التي يفعلون بها في الأماكن التقليدية، طالما أنهم يفكرون بعناية في ما يريدون نشره ومراقبة الردود لضمان الامتثال المستمر .

في عام 2020 ، وجهت لجنة ولاية نيويورك للسلوك القضائي اللوم إلى قاضي محكمة مركز مدينة برونزويك روبرت شميدت لنشره مذكرة تشير إلى أن الرئيس السابق بيل كلينتون قتل جيفري إبستين، وربطها بمنشور آخر على «فيسبوك» يدعم مرشحًا لمجلس المدينة، ضمن أشياء أخرى.

في 2021 ، قام مجلس تينيسي للسلوك القضائي Tennessee Board of Judicial Conduct بتوبيخ علني لقاضي محكمة جلسات مقاطعة هاميلتون جيرالد ويب لمشاركته ما كان من المفترض أن يكون نصيحة قانونية .

غروبات فيس بوك وصور شخصية وعائلية

إختار بعض القضاة التواصل مع المعارف والأصدقاء ونشر آرائهم المطوّلة من خلال تطبيق «فيس بوك»، إضافة إلى ميزة إنشاء «غروب» يضم عدداً كبيراً من الأصدقاء، يمكنّهم من التواصل والنقاش حول مسائل محددّة. وأبرز القضاة هم:

1. القاضي المنفرد الجزائي في بعبدا: بعد الإدعاء عليه من مجلس القضاء الأعلى بتُهمة تحقير القضاء والقضاة على خلفية إنسحابه من جلسة محكمة الجنايات، ونشره اتهامات بحق زملائه، أكد أن هذا الإجراء لن يثنيه عن نشر الحقيقة، ودعا الى مساندته ودعمه في معركته تحت شعار «الثورة القضائية» و«تطهير القضاء». وكان القاضي قد أنشأ سابقاً «غروب» تحت مسمّى «القاضي الثائر» يدعو من خلاله إلى إطلاق صرخة وثورة مطلبية لإستعادة حقوق المودعين، والدعوة إلى إجتثاث الفساد وإستقلالية القضاء.

2. قاضي التحقيق في الشمال: حثّ في أحد منشوراته المواطنين على الإنتخاب بإعتباره الحل الوحيد للإصلاح. ويشارك مع متابعيه صوره الشخصية خلال رحلاته الخاصّة وصوراً تجمعه بعائلته.

3. القاضي المنفرد الجزائي في بعبدا: أنشأ «غروب» تحت مسمّى «القاضي الثائر» يدعو من خلاله إلى إطلاق صرخة وثورة مطلبية لإستعادة حقوق المودعين، والدعوة إلى إستقلالية القضاء. وفي تعليق مُلفت يُشير القاضي إلى أننّا نعيش في ظرف إستثنائي يتطلب منّا توسيع هامش «موجب الشجاعة الأدبية» مع الأخذ في الإعتبار «التحفظ البناء والمسؤول».

4. النائب العام الإستئنافي في النبطية: حسابها يتضمن صوراً لرحلاتها مع عائلتها، وحفلاتها الخاصة مع أصدقائها.

في العمق

قضاة يتعاركون في وسائل التواصل

وآخرون يستعملون حق الدعوى ضد خصومهم

يتعارك قضاةٌ وقاضيات على صفحات وسائل التواصل الاجتماعي او ببيانات اعلامية ويتبادلون الاتهامات علناً مع محامين او مع مدّعى عليهم او مع متهمين او حتى مع قضاة آخرين . فيدّعي احدهم على الآخر، ليس بصفة شخصية، وإنما بصفته قاض/ية يملك هذه السلطة باسم الشعب... الشعب الذي لا ينصفه ولا يعطيه حقه في هذه البلاد هؤلاء المتصارعون

■ صادق علوية

يعرّف قانون أصول المحاكمات المدنية الدعوى بأنها الحق الذي يعود لكل ذي مطلب بأن يتقدم به الى القضاء للحكم له بموضوعه، ولكن عندما يدّعي قاض على خصم انتمائه السياسي، نكون طبعا في الدَرك الأسفل.

لكن ما يحصل أن قاضياً اختلف مع زميله، فادّعى عليه ليلجأ الأخير الى سلطة قضائية أعلى ادّعت بدورها على الأول، ثم قامت قاضية بانتهاك موجب التحفظ فأحيلت الى التفتيش القضائي وتم تسريب هذا الخبر والعدل منتهك بينهم.

كلما ارتقى القضاء والقضاة نكون اقرب الى دولة القانون، القانون الذي يحكم القاضي به باسم الشعب.

لا يكفي أن نعلم بأن الأحكام تصدر باسم الشعب، ولا يكفي أن ننفّذ قانون أصول المحاكمات الذي ينص على أن صدور الحكم يكون باسم الشعب اللبناني، ولا يكفي أن يذكر ذلك صراحة فيه، وإنما علينا أن نفقه معنى ذلك ونعيه.

في ظل هذا التهريج الإعلامي والأختلاط بين الأسود والأبيض، لا يمكن أن يكون لقاض أو قاضية المشاركة فيه.

إن صدور الحكم باسم الشعب، الذي هو مصدر السلطات، يعني أن الشعب بمجموعه ارتضى أن يعهد الى حَكَم عدل وعادل يحكم في ما يعترضُ شؤونه وشجونه وحقوقه، وان هذا الشعب قد وضع ثقته في هذا الحَكَم مرتضياً الاحتكام اليه والخضوع الى حكمه ومنحه قدسية تسمو بالحكم. هذه القدسية تنتقل الى القاضي بصفته الحاكم بالعدل باسم الشعب، التهريج منتشر، وبانتشاره يختلط الصالح بالطالح.

فالإثبات ليس ما يدعيه الخصوم سيما اذا كان هذا الخصم قاضياً، وإنما هو إقامة الدليل امام القضاء على واقعة أو عمل قانوني يسند إلى أي منهما طلب أو دفع أو دفاع.

حق الادعاء العام أو الدعوى ليس سلاحاً نشهره ضد خصمنا او ضد من يرهقنا، حتى ان حق الادعاء الخاص مقيّد بعدم التعسّف باستعمال هذا الحق، تحت طائلة الحكم بتعويض وعطل وضرر على من يسيء هذا الاستعمال. هذا في النصوص، أما التطبيق فيحتاج إلى تهذيب.

بالعودة أيضاً الى القانون، فإن للنيابة العامة حق الادعاء في الأحوال التي عيّنها القانون والأحوال المتعلقة بالنظام العام، عند حدوث وقائع أو أفعال من شأنها المساس به، ولكن لم يقل القانون لنا أمام من يدّعي المقيمون تحت سقف هذا القوس اللبناني اذا ما أخلّ قضاةٌ بالنظام العام القضائي وعرّضوا انتظام العمل القضائي للاهتزاز، لا بل للتكسّر او للتحطيم.

في ظل التهريج الإعلامي والاختلاط بين الأسود والأبيض، لا يمكن أن يكون لقاض أو قاضية المشاركة فيه

في الوقت نفسه، لم يقل لنا القانون يوماً إن للقضاة حق استعمال الدعوى العامة «للتأديب»، حتى ضد زميل او زميلة له.

لا باسم حزب أو تنظيم او تيار او ديانة.

تصدر الأحكام قانوناً في مقر المحكمة وليس على صفحات التواصل الخاصة بالقاضي. وحين ينهم مدّع عام أي شخص، يكون هذا الشخص موضوع تحقيق وليس محكوماً، ولهذا أعطى القانون للمتهم صك البراءة قبل الاتهام، وأعطى للحكم عبارة «النطق»، فاستعملها حين تناول الأحكام، لأن ما ينطق به القاضي يكون نابعاً من القانون وليس من عصبية او انتماء او عداوة او صداقة او قرابة.

إن قانون أصول المحاكمات المدنية ينص على ردّ القاضي، لا بل يُلزم هذا القاضي أن يعرض تنحيه من تلقاء نفسه إذا كانت بينه وبين أحد الخصوم عداوة أو مودة يرجع معها عدم استطاعته الحكم بغير ميل. وعبارة «ميل» تكفي بحد ذاتها للتعبير عن مدى وجوب تجرّد القاضي من كل هوى او بغض.

فكلام القضاة ليس القول المجازي، وليس القاضي شاعراً هاجياً لخصومه او لمن يدّعي عليهم ولا المسيءُ الظَنَّ ولا المفتون برأيه، إنه العدل، ونطقه حكم وكتابته قرار نافذ.

لا يسعنا في أيام قضائية حالكة كأيامنا إلا أن نخبر كل من يرى نفسه معنياً بتقويم الاسى القضائي الذي نعاني منه بأن يعلم جيداً أن أسوأ ما يمكن أن ينالنا هو اتباع الهوى في الحكم على الناس. ونقتبس من قول للنائب المرحوم نسيب لحود أدلى به في مجلس النواب عام 1994، حين قال: «قيل ان أسوأ ما يمكن ان يصيب الحياة العامة في أي بلد هو استشراء الفساد، وأسوأ أنواع معالجة الفساد ذاك الذي يعتمد على نشر الغسيل اليوم والفلفلة غداً. كان الفضيحة ملك خاص نطرحها في السوق عند الحاجة ونسحبها من التداول بعد استنفاد الغرض. هذا النمط من المعالجة يفتقد الى الأساس الاخلاقي، ولا يمتّ الى مكافحة الفساد بصلة، بل يحضّر الارضية الملائمة لجولة جديدة من الفضح والفلفلة.»

يقول عبد الرحمن الكواكبي في مؤلفه «طبائع الإستبداد ومصارع الاستعباد»: «كلُّ بذهبُ مذهباً في سبب الانحطاط وفي ما هو الدواء. وحيث إني قد تمحص عندي أن أصل هذا الداء هو الاستبداد السياسي ودواؤه دفعه بالشورى الدستورية». ولكن دواء ما نعانيه نحن هو تطبيق الدستور وقانون استقلالية القضاء والكثير من التربية الذي نحتاج اليه لصقل نفوس أبنائنا على احترام القضاء، وقبلها فليعاد ترميم ما تصدّع من القضاء.

السفير
صاحبها ورئيس تحريرها طلال سلمان
٤ صفحات ٢٠٠ قرش
الضغوط العسكرية الاسرائيلية على بيروت ومحاولات فك الارتباط بين المقاومة والمسلمين [ص ٢]

بيروت تحترق... ولا ترفع الأعلام البيضاء

قوات الغزو تدمّر مئات البنايات وآلاف المنازل و٩ مستشفيات وتسقط ٣٠٠ قتيل وجريح
صدّ محاولات اقتحام على ٦ محاور والغزاة يتراجعون إلى قصر العدل رغم تقدمهم في الأوزاعي

استهداف المستشفيات والاسعافات والمراكز الطبية وقوافل التموين ومستودعات المواد الغذائية

استخدام جيش العدو الاسرائيلي أسلحة وقنابل محرمة دولياً ومنها الفوسفور والنابالم

نقل شهود أخبار عن استخدام العدو الاسرائيلي العاب للأطفال مفخخة بعبوات ناسفة

استهداف دور العجزة وأماكن العبادة والمدارس والجامعات

قطع مياه الشرب والتيار الكهربائي بشكل كامل

نهب وحرق مركز الابحاث الفلسطينية في بيروت

خارطة تركّز هجمات العدو الإسرائيلي على بيروت في مختلف المناطق

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com